مفصل شرح تبیان شرح طوالع تاج پاشا و شرح مطالع حاجی پاشا
اوج لغة كتابی متن مطالع وطوالع بر جلد كذا مطالع عالیه شرح كافیه اصفهانی
شرح منصوریه بركوی بیتی بورده شرح عبری شرح مختصر مطول مصطفی
یعقول العبد و بر فارسی كتاب بصائع ملوك مقامه

كتاب اسئله واجوبه لمحمد بن ابی بكر الرازی
عدد ٢٥

آیا صوفیه

٦٨

اسوله واجوبه

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها
فاذا انتهت عنه فانت حكيم

[illegible]

68

[illegible]

كتاب الاسئلة والاجوبة المتعلقة بكلام الله تعالى الكريم لعالمه
لمحمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي
من كتب مخطوطات السلطانية

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب
قال الفقير الى رحمة ربه ومغفرته محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي عفا الله عنه وغفر له
ولجميع المسلمين هذا مختصر جمعت فيه انموذجا يسيرا من اسولة القران المجيد واجوبتها مما
مانقلته من كتب العلماء الذي نقحته ولخصته ومنه ما فتح الله علي به بسبب مذاكرة
اخ لي من اخوان الصفاء في دين الله ومحبة كتابه وكان صالحا تقيا سليم الفطرة وقاد الذهن
جامعا لجملة من مكارم الاخلاق وصفات الكمال الانساني انعم الله تعالى علي بصحبته ومذاكرته
في معاني كتابه وكان شديد العناية بها كثير البحث والسوال عنها قد هداه الله تعالى
اليها وفتح عليه فيها بغرائب لم نسمعها من العلماء ولا رايناها في كتبهم فحملتني قدرته
القارحة ونيته الصالحة على جمع هذه الصبابة وهي تزيد على الف ومائتي سوال
وان كانت بالنسبة الى معاني القران من العجائب والغرائب كالقطرة من الاماء والسهى
من نجوم السماء ولكني قصدت اختصار هذا الانموذج منها وتقريبه الى الافهام ليكثر الانتفاع
به ولا يهجر لدقته وغموضه واما الاسولة التي تتعلق بوجوه الاعراب وبالمعاني التي هي ادق — مانی صح
على الافهام واخفى وضعت لها مختصرا اخر واودعته انموذجا منها ايضا فليطلب منه وبالله
استعين وعليه اتوكل واليه اتضرع في ان يجعل علمي وعملي خالصا لوجهه الكريم ويتغمدني
واخي الصالح بمغفرته ورحمته انه غفور رحيم **سورة فاتحة الكتاب** **فان قيل** الرحمن ابلغ
في الوصف بالرحمة من الرحيم بالنقل عن الزجاج وغيره فكيف قدمه وعادة العرب في صفات
المدح الترقي من الادنى الى الاعلى **قلنا** قال الجوهري وغيره انهما بمعنى واحد كنديم ونديمان
فعلى هذا لا يرد السوال وعلى القول الاول انما قدمه لان الله تعالى اسم خاص بالباري لا يسمى به — واخره صح
غيره لا مفردا ولا مضافا فقدمه والرحيم يوصف به غيره مفردا ومضافا والرحمن يوصف به
مضافا ولا يوصف به مفردا الا الله تعالى فوسطه **فان قيل** كيف قدم العبادة على الاستعانة
والاستعانة مقدمة لان العبد يستعين الله على العبادة فيعينه الله تعالى عليها **قلنا**
الواو لا تدل على الترتيب او المراد بهذه العبادة التوحيد وهو مقدم على الاستعانة على اداء
ساير العبادات فان من لم يكن موحدا لا يطلب الاعانة على اداء العبادات **فان قيل** — او العادات صح
المراد بالصراط المستقيم الاسلام او طريق الجنة بالنقل والمومنون مهتدون الى
ذلك فما معنى قولهم اهدنا الصراط المستقيم وانه تحصيل الحاصل **قلنا** معناه ثبتنا عليه

وادمنا على سلوكه خوفا من سوء الخاتمة نعوذ بالله من ذلك كما تقول العرب للواقف
قف حتى اتيك معناه دم على وقوفك واثبت عليه او معناه طلب زيادة الهدى كما قال
الله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وقال ويزيد الله الذين اهتدوا هدى **فان قيل**
ما فايدة دخول لا في قوله تعالى ولا الضالين وقوله غير المغضوب عليهم والضالين كاف
في المقصود **قلنا** فايدته تاكيد النفي الذي دل عليه غير **سورة البقرة** **فان قيل**
كيف قال لا ريب فيه على سبيل الاستغراق وكم ضال قد ارتاب فيه ويويد ذلك قوله تعالى
وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا **قلنا** معناه لا ريب فيه عند الله ورسوله والمومنين — ونظيره قوله تعالى صح
او هو نفي معناه النهي اي لا ترتابوا فيه انه من عند الله تعالى وان الساعة اتية لا ريب فيها
فان قيل كيف قال هدى للمتقين والمتقون مهتدون فكان تحصيل الحاصل **قلنا**
انما صاروا متقين بما استفادوا منه من الهدى او اراد به ثبات لهم على الهدى وزيادة
فيه او خصهم بالذكر لانهم هم الفايزون بمنافعه حيث قبلوه واتبعوه كقوله تعالى انما انت
منذر من يخشاها او اراد الفريقين واقتصر على احدهما كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر
فان قيل المخادعة انما تتصور في حق من تخفى عليه الامور ليتم الخداع في حقه يقال
خدعه اذا اراد به المكروه من حيث لا يعلم والله تعالى لا يخفى عليه شي فكيف قال يخادعون الله
قلنا معناه يخادعون رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله وقوله تعالى ومن يطع الرسول فقد اطاع الله او سمى نفاقهم خداعا لشبهه
بفعل المخادع **فان قيل** كيف حصر الفساد في المنافقين بقوله الا انهم هم المفسدون
ومعلوم ان غيرهم مفسدون **قلنا** المراد بالفساد الفساد بالنفاق وهم كانوا مخصوصين به
فان قيل كيف قال الله يستهزئ بهم والاستهزاء من باب العبث والسخرية وهو
قبيح والله تعالى منزه عن القبيح **قلنا** سمى جزاء الاستهزاء الاستهزاء كقوله تعالى وجزاء
سيية سيية مثلها فالمعنى الله يجازيهم جزاء استهزائهم **فان قيل** ما الفايدة في قوله
تعالى او كصيب من السماء ومعلوم ان الصيب لا يكون الا من السماء **قلنا** فايدته انه
ذكر السماء معرفة واضافه اليها ليدل على انه من جميع افاق السماء لا من افق واحد اذ كل
افق يسمى سماء قال الشاعر ومن بعد ارض بيننا وسماء **فان قيل** كيف قال
فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون والمشركون لم يكونوا عالمين انه لا ند له ولا شريك بل

كانوا يعتقدون ان له اندادًا وشركاء قلنا معناه وانتم تعلمون ان الانداد لا تقدر
على شيء مما سبق ذكره في الاية او وانتم تعلمون انه ليس في التورية والانجيل جواز اتخاذ الانداد
فان قيل كيف عرّف النار هنا ونكرها في سورة التحريم قلنا تلك الاية نزلت بمكة قبل
هذه الاية فلم تكن النار التي وقودها الناس والحجارة معروفة فنكرها ثم نزلت هذه الاية
بالمدينة مشارا بها الى ما عرفوه اولا فان قيل قوله تعالى ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا
الحق ليسا فعلين متغايرين لينهوا عن الجمع بينهما بل احدهما داخل في الاخر قلنا بل هما
فعلان متغايران لان المراد بلبسهم الحق بالباطل كتابتهم في التورية ما ليس منها وبكتمانهم
الحق قولهم لا نجد في التورية صفة محمد صلى الله عليه وسلم فان قيل قوله تعالى الذين
يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون ما فائدة الثاني والاول يدل عليه
ويقتضيه قلنا قوله ملاقوا ربهم اي ملاقوا ثواب ربهم وما وعدهم على الصبر والصلوة
وقوله وانهم اليه راجعون اي موقنون بالبعث فصار المعنى انهم موقنون بالبعث
وبحصول الثواب الموعود فلا تكرار فيه فان قيل كيف قال فبدل الذين ظلموا مولوا صح
قولا غير الذي قيل لهم وهم انما بدلوا القول الذي قيل لهم لانهم قيل لهم حطة فقالوا
حنطة قلنا معناه فبدل الذين ظلموا قولا قيل لهم وقالوا قولا غير الذي قيل لهم
فان قيل قوله تعالى ولا تعثوا في الارض مفسدين العثو الفساد فيصير المعنى ما معنوه
ولا تفسدوا في الارض مفسدين قلنا معناه ولا تعثوا في الارض بالكفر وانتم مفسدون
بساير المعاصي فان قيل كيف قال لن نصبر على طعام واحد وطعامهم كان المن
والسلوى وهما طعامان قلنا المراد به دايم غير متبدل وان كان نوعين فان قيل الله صح
كيف قال ويقتلون النبيين بغير الحق وقتل النبيين لا يكون الا بغير الحق قلنا
معناه بغير الحق في اعتقادهم ولان التصريح بصفة القبيح ابلغ في ذمهم وان كانت تلك نصوصه
الصفة لازمة للفعل كما في عكسه قال رب احكم بالحق لزيادة معنى في التصريح
بالصفة ولان قتل النبي قد يكون بحق كقتل ابرهيم عليه السلام ولده لو وجد كان
بحق فان قيل كيف قال فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين وانتقالهم من صور البشر الى
صور القردة ليس في وسعهم قلنا هذا امر ايجاد لا امر ايجاب فهو من قوله تعالى كن فيكون
فان قيل بين نقيضي شيئين صاعدا فكيف جاز دخولها على ذلك وهو مفرد قلنا

ذلك يشار به الى المفرد والمثنى والمجموع ومنه قوله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك
فليفرحوا وقوله وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وقوله زين للناس الى
ان قال ذلك متاع الحيوة الدنيا ومعناه عوان بين الفارض والبكر وسياتي تمامه في قوله
تعالى بين احد من رسله ان شاء الله تعالى فان قيل قوله تعالى وان من الحجارة لما يتفجر
منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء كلاهما في المعنى واحد فما فائدة الثاني
قلنا التفجر يدل على الخروج بوصف الكثرة والثاني يدل على نفس الخروج وهما متغايران
فلا تكرار فان قيل ما الفائدة في قوله فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم والكتابة لا تكون
الا باليد قلنا فائدته تحقيق مباشرتهم ذلك التحريف بانفسهم وذلك زيادة في تقبيح
فعلهم فانه يقال كتب فلان كذا وان لم يباشره بنفسه بل امر غيره به من كاتب له ونحو
ذلك فان قيل التولي والاعراض واحد فكيف قال ثم توليتم الا قليلا منكم وانتم معرضون
قلنا معناه ثم توليتم عن الوفاء بالميثاق والعهد وانتم معرضون عن الفكر والنظر في عاقبة
ذلك فان قيل قوله ولتجدنهم احرص الناس على حيوة ومن الذين اشركوا ما فائدة قوله
ومن الذين اشركوا وهم من جملة الناس قلنا انما خصوا بالذكر بعد العموم لان حرصهم
على الحيوة اشد لانهم كانوا لا يؤمنون بالبعث فان قيل قوله تعالى وما انزل على الملكين
يدل على ان الله تعالى انزل علم السحر على الملكين فلم يكون حراما قلنا العمل به حرام لانهما كانا
يعلمان الناس السحر ليجتنبوه كما قال تعالى وما يعلمان من احد الاية نظيره لو سال انسان
ما الزنا لوجب بيانه له ليعرفه فيجتنبه فان قيل قوله تعالى ولقد علموا لمن اشتراه
ما له في الاخرة من خلاق ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون اثبت لهم العلم اولا
مؤكدا بلام القسم ثم نفاه عنهم قلنا المثبت لهم انهم علموا ان من اختار السحر ما له في
الاخرة من نصيب والمنفي عنهم انهم لا يعلمون حقيقة ما يصيرون اليه من خسار الاخرة
وانه لا يكون له نصيب منها فالمنفي غير المثبت فلا تنافي فان قيل كيف قال ولو انهم امنوا
واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون وانما يستقيم ان يقال هذا خير من ذلك
اذا كان في كل واحد منهما خير ولا خير في السحر قلنا خاطبهم على اعتقادهم ان في تعلم السحر
خيرا نظرا الى انهم الحصول مقصودهم الدنيوي به فان قيل كيف قال هنا رب اجعل
هذا بلدا امنا وقال في سورة ابرهيم عليه السلام رب اجعل هذا البلد امنا قلنا في الدعوة

الاولى كان مكانا قفرًا فطلب منه ان يجعله بلدًا وآمنًا وفي الدعوة الثانية كان بلدًا
غير آمنٍ فعرّفه وطلب له الامن اوكان بلدًا امنًا فطلب له ثبات الامن ودوامه
وكون هذه السورة مدنية وسورة ابرهيم عليه السلام مكية لاينافي هذا لان الواقع
من ابرهيم عليه السلام بلعُبد على الترتيب الذى قلنا والاخبار عنه في القرآن على غير
ذلك الترتيب اولان المكى منه منه مانزل قبل الهجرة فيكون المدنى متاخرا عنه ومنه
مانزل بعد فتح مكة فيكون متاخرا عن المدنى فلم قلتم ان سورة ابرهيم عليه السلام من
المكى الذى نزل قبل الهجرة فان قيل اى مدح وشرف لابرهيم عليه السلام في قوله تعالى
وانه في الاخرة لمن الصالحين مع ماله من شرف الرسالة والخلة قلنا قال الزجاج المراد
بقوله من الصالحين اى من الفايزين فان قيل الموت ليس في وسع الانسان وقدرته
حتى يصح ان يُنهى عنه على صفةٍ اويومر به على صفةٍ فكيف قال فلاتموتن الاوانتم
مسلمون قلنا معناه اثبتوا على الاسلام حتى اذاجاءكم الموت متم على دين الاسلام فهو في
المعنى امر بالثبات على الاسلام والدوام عليه او نهيٌ عن تركه فان قيل قوله تعالى
فان امنوا بمثل ما امنتم به فقد اهتدوا وان اريد به الله تعالى فلامثل له وان أريد به
دين الاسلام فلامثل له ايضا لان دين الحق واحد قلنا كلمة مثل زيادة معناه فان
امنوا بما امنتم به يعنى بمن امنتم به وهو الله تعالى او بما امنتم به وهو دين الاسلام
ومثل قد يزاد في الكلام كقوله تعالى ليس كمثله شئ وقوله كمن مثله في الظلمات
ومِثل ومَثَل بمعنى واحد وقيل الباء زائدة كما في قوله تعالى بجذع النخلة اى مثل ايمانكم
بالله او بدين الاسلام فان قيل كيف قال وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم
من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيهِ وهولم يزل عالما بذلك قلنا معناه لنعلمه
واقعا موجودا واراد بالعلم التمييز للعباد كقوله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب
فان قيل كيف قال فلنولينك قبلة ترضاها وهذا يدل على انه صلى الله عليه وسلم
لم يكن راضيا بالتوجه الى البيت المقدس مع ان التوجه اليه كان بامر الله تعالى وحكمه
قلنا المراد بهذا الرضا رضا المحبة بالطبع لارضا التسليم والانقياد لامر الله تعالى
فان قيل كيف قال وما انت بتابع قبلتهم ولهم قبلتان لليهود قبلة وللنصارى قبلة
قلنا كلتا القبلتين باطلة مخالفة لقبلة الحق فكانتا بحكم الاتحاد في البطلان قبلةً واحدةً

فان قيل كيف يكون للظالمين من اليهود وغيرهم حجة على المومنين حتى قال لئلا يكون
للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم قلنا معناه الا ان يقولوا ظلما وباطلا كقول الرجل
لصاحبه مالك عندى حق الا ان تظلم او الا ان تقول الباطل وقيل معناه ولا الذين ظلموا منهم
فالا هنا بمعنى واو العطف كما في قوله تعالى انى لايخاف لدى المرسلون الا من ظلم وقيل
الا فيها بمعنى لكن وحجتهم انهم كانوا يقولون ايضا تخالفنا محمدٌ في ديننا ويتبع قبلتنا فلما
حوله الله تعالى الى الكعبة انقطعت هذه الحجة فعادوا يقولون لم تركت قبلة بيت المقدس
ان كانت باطلة فقد صليت اليها زمانا وان كانت حقا فقد انتقلت عنها هذا هو المراد
بقوله الا الذين ظلموا منهم وقيل المراد به قولهم ماترك محمد قبلتنا الا ميلًا الى دين
قومه وحبًّا لوطنه وقيل المراد به قول المشركين قد عاد محمدٌ قبلتنا لعلمه ان
ديننا حق فسوف يعود الى ديننا وانما سمى باطلهم حجة لمشابهته الحجة في الصورة
كما قال حجتهم داحضة وقال فرحوا بما عندهم من العلم فان قيل ما الفائدة في قوله تعالى
ولاتكفرون بعد قوله واشكروالى والشكر نقيض الكفران فمتى وجد الشكر انتفى
الكفران قلنا قوله واشكروالى معناه استعينوا بنعمتى على طاعتى وقوله ولاتكفرون
معناه لاتستعينوا بنعمتى على معصيتى وقيل الاول امر بالشكر والثانى امر بالثبات
عليه فان قيل كيف قال والناس اجمعين واهل دينه لايلعنونه اذا مات على
دينهم قلنا المراد بالناس المومنون فقط او هو على عمومه واهل دينه يلعنونه في
الاخرة قال الله تعالى يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا وقال كلما دخلت امة
لعنت اختها فان قيل ما الفائدة في قوله تعالى اله واحد وهلا قال والهكم واحد
وكان اخصر واوجز قلنا لو قال الهكم واحد لكان ظاهره اخبارا عن كونه واحدا
في الالهية يعنى لا اله غيره ولم يكن اخبارا عن توحده في ذاته بخلاف ما اذا كرر ذكر
الاله والاية انما سيقت لاثبات احديته في ذاته ونفي مايقوله النصارى انه واحد
والاقانيم ثلاثة اى الاصول كما ان زيدًا واحد واعضاؤه متعددة فلما قال اله واحد دل
على احدية الذات والصفة ولقايل ان يقول قوله واحد يحتمل الاحدية في الذات ويحتمل
الاحدية في الصفة سواء كرر ذكر الاله اولم يكرر فلايتم الجواب فان قيل كيف وجه صحة
التشبيه في قوله تعالى ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق وظاهره تشبيه الكفار بالراعى

لما توجه النبى الى الكعبة التى المعد سماها ازى محمد اين قبلته حتى هدد سناه وكانوا يقولون ...

الى

الى يوم القيامة

قلنا فيه اضمار تقديره ومثلك يا محمد مع الكفار كمثل الراعي مع الانعام او تقديره
ومثل الذين كفروا كمثل بهايم الراعي او ومثل واعظ الذين كفروا كمثل الراعي او ومثل الذين
كفروا في دعايهم الاصنام كمثل الراعي فان قيل كيف خص المنعوق به بانه لا يسمع الا دعاء
ونداء مع ان كل عاقل كذلك ايضا لا يسمع الا دعاء ونداء قلنا المراد بقوله لا يسمع لا يفهم
كقولهم اساء سمعا فاساء اجابة اى اساء فهما فان قيل كيف قال ولا يكلمهم الله
يوم القيامة وقال في موضع اخر فوربك لنسئلنهم اجمعين عما كانوا يعملون قلنا المنفي
كلام التلطف والاكرام والمثبت سؤال التوبيخ والاهانة فلا تنافي فان قيل كيف
قال كتب عليكم القصاص في القتلى اى فرض والقصاص ليس بفرض بل الولي مخير فيه
بل مندوب الى تركه قلنا المراد به فرض على القاتل التمكين لا انه فرض على الولي الاستيفاء
فان قيل كيف قال الوصية للوالدين والاقربين عطف الاقربين على الوالدين
وهما اقرب الاقربين والعطف يقتضي المغايرة قلنا الوالدان ليسا من الاقربين
لان القريب من يدلي الى غيره بواسطة كالاخ والعم ونحوهما والوالدان ليسا كذلك ولو
كانا منهم لكن خصا بالذكر كقوله تعالى وملائكته وجبريل وميكال فان قيل كيف قال
كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم وصوم هذه الامة ليس كصوم امة موسى
وعيسى عليهما السلام قلنا التشبيه في اصل الصوم لا في كيفيته او في كيفية الافطار فانه
كان في اول الامر الافطار مباح من غروب الشمس الى وقت النوم فقط كما كان في صوم من
قبلنا ثم نسخ بقوله وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الاية او في العدد ايضا على ما روي سنة ٦٦٩
عن ابن عباس رضي الله انه فرض على النصارى صوم رمضان بعينه فقدموا عشرة واخروا
عشرة لئلا يقع في الصيف وجبروا التقديم والتاخير بزيادة عشرين فصار صومهم خمسين
يوما بين الصيف والشتاء فان قيل ما فائدة قوله وبينات من الهدى بعد قوله
هدى للناس قلنا ذكر اولا انه هدى ثم ذكر انه بينات من جملة ما هدى الله تعالى به
عباده وفرق به بين الحق والباطل من الكتب السماوية الهادية الفارقة بين الحق
والباطل فلا تكرار فان قيل ما فائدة اعادة ذكر المريض والمسافر قلنا فائدته ان
الاية المتقدمة نسخ ما فيها تخيير الصحيح وكان فيها تخيير المريض والمسافر ايضا فاعيد
ذكرهما لئلا يتوهم ان تخييرهما نسخ كما نسخ تخيير الصحيح فان قيل قوله تعالى فاني قريب

اجيب دعوة الداع اذا دعان يدل على انه يجيب دعاء الداعين ونحن نرى كثيرا من الداعين
لا يستجاب لهم قلنا روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من مسلم دعا الله بدعوة
ليس فيها قطيعة رحم ولا اثم الا اعطاه الله بها احدى ثلاث خصال اما ان يعجل دعوته
واما ان يدخرها له في الاخرة واما ان يدفع عنه من السوء مثلها ولان قبول الدعاء
شرطه الطاعة لله واكل الحلال وحضور القلب وقت الدعاء فمتى اجتمعت هذه
الشروط حصلت الاجابة ولان الداعي قد يعتقد مصلحته في الاجابة والله تعالى يعلم
ان مصلحته في تاخير ما سال او في منعه عنه فيجيبه الى مقصوده الاصلي وهو طلب المصلحة
فيكون قد اجيب وهو يعتقد انه منع فان قيل ما فائدة قوله تعالى تلك عشرة كاملة
ومعلوم ان ثلاثة وسبعة عشرة ثم ما فائدة قوله كاملة والعشرة لا تكون الا كاملة
وكذا جميع اسماء الاعداد لا تصدق على اقل من المذكور ولا على اكثر منه قلنا فائدة قوله تلك
عشرة ان لا يتوهم ان الواو بمعنى او كما في قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى
وثلاث ورباع والاصل التسع جملة فنفى بقوله تلك عشرة ظن وجوب احد العددين
فقط اما الثلاثة في الحج او السبعة بعد الرجوع وان تعلم العدد من جهتين جملة وتفصيلا
فيتاكد العلم به ونظيره فذلكة الحساب وتصنيف الكتاب واما قوله كاملة فتاكيد
كما في قوله حولين كاملين او معناه كاملة في الثواب مع وقوعها بدلا عن الهدي او في وقوعها
موقع المتتابع مع تفرقها او في وقوعها موقع الصوم في الحج مع وقوع بعضها بعده او في
وقوعها موقع الصوم بمكة مع وقوع بعضها في غير مكة فالحاصل انه كامل وصفا لا ذاتا
فان قيل ما فائدة تكرار الامر بالذكر في قوله تعالى فاذا افضتم من عرفات فاذكروا
الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم قلنا انما كرره تنبيها على انه اراد ذكرا مكررا
لا ذكرا واحدا بل مرة بعد اخرى ولانه زاد في الثاني فائدة اخرى وهي قوله كما هداكم يعني
اذكروه بتوحيده كما ذكركم بهدايته ولانه اراد بالذكر الاول الجمع بين الصلاتين بمزدلفة
وبالثاني الدعاء بعد الفجر بها فلا تكرار فان قيل كيف قال فاذا افضتم من عرفات الى
ان قال ثم افيضوا من حيث افاض الناس والمراد به الافاضة من عرفات بلا خلاف
وبعد المجيء الى مزدلفة والذكر فيها مرتين كما فسرنا كيف يفيضون من عرفات
قلنا فيه تقديم وتاخير تقديره من ربكم ثم افيضوا من حيث افاض الناس فاذا افضتم

من عرفات فان قيل كيف قال فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم
عليه ومعلوم ان المتعجل التارك بعض الرمي اذا لم يكن عليه اثم لا يكون على المتاخر
الآتي بالرمي كاملا قلنا كان اهل الجاهلية فريقين منهم من جعل المتعجل آثما ومنهم
من جعل المتاخر آثما فاخبر الله تعالى بنفي الاثم عنهما جميعا او معناه لا اثم على المتاخر
في ترك الاخذ بالرخصة مع ان الله يحب ان يوتى رخصه كما يحب ان يوتى عزايمه
او معناه ان انتفاء الاثم عنهما موقوف على التقوى لا على مجرد الرخصة او العزيمة في الرمي
ثم قيل المراد به تقوى المعاصي في الحج وقيل تقوى المعاصي بعد الحج في بقية العمر بالوفاء
بما عاهد الله تعالى عليه في عرفة وغيرها من مواقف الحج من التوبة والانابة والمشكل
في هذه الاية قوله تعالى في يومين والتعجيل المرخص فيه انما هو التعجيل في اليوم الثاني من
ايام التشريق فكيف ذكر لفظ اليومين واراد بهما اليوم الثاني فقط فان قيل كيف قال
والى الله ترجع الامور وهو يدل على انها كانت الى غيره كقولهم رجع الي فلان عبده ومنصبه
قلنا هو خطاب لمن كان يعبد غير الله وينسب افعاله الى سواه فاخبرهم انهم اذا
كشف لهم الغطاء يوم القيامة ردوا اليه ما اضافوه الى غيره بسبب كفرهم وجهلهم
وان رجع يستعمل بمعنى صار ووصل كقولهم رجع علي من فلان مكروه ومنه
قول لبيد وما المرء الا كالشهاب وضوءه يحور رمادا بعد اذ هو ساطع ولانها
كانت اليه قبل خلق عبيده فلما خلقهم ملكهم بعضها خلافة ونيابة ثم رجع اليه
بعد هلاكهم ومنه قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد وقوله الملك يومئذ الحق
للرحمن وانما قال والى الله ترجع الامور ولم يقل واليه وان كان قد سبق ذكره مرة
لقصد التفخيم والتعظيم وذلك ينافي الايجاز والاختصار فان قيل كيف طابق الجواب
السؤال في قوله يسالونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين
فانهم سالوا عن بيان ما ينفقون واجيبوا ببيان المصرف قلنا قد تضمن قوله تعالى
قل ما انفقتم من خير بيان ما ينفقونه وهو كل خير ثم زيدوا على الجواب ببيان المصرف
ونظيره قوله تعالى وما تلك بيمينك يا موسى الاية وقوله صلى الله عليه وسلم حين سئل
عن الوضوء بماء البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته فان قيل كيف جاء يسئلونك
ثلاث مرات بغير واو يسالونك ماذا ينفقون يسئلونك عن الشهر الحرام يسئلونك

عن الخمر والميسر ثم جاء ثلاث مرات بالواو ويسالونك ماذا ينفقون ويسئلونك
عن اليتامى ويسئلونك عن المحيض قلنا لان سؤالهم عن الحوادث الاول
وقع متفرقا وعن الحوادث الاخر وقع في وقت واحد فجيء بحرف الجمع دلالة على ذلك
فان قيل كيف قال وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم وعزمهم الطلاق
مما يعلم لا مما يسمع قلنا الغالب ان العازم على الطلاق وترك الفيء لا يخلو عن مقاولة
ودمدمة وان خلا عنهما فلا بد له ان يحدث نفسه ويناجيها بما عزم عليه
وذلك حديث لا يسمعه الا الله كما يسمع وسوسة الشيطان فان قيل كيف
قال وبعولتهن احق بردهن ولا حق للنساء في الرجعة وافعل يقتضي الاشتراك
قلنا المراد ان الزوج اذا اراد الرجعة وابت المراة وجب ايثار قوله على قولها
لا ان لها حقا في الرجعة فان قيل كيف قال وبعولتهن احق بردهن في ذلك
ان ارادوا اصلاحا والزوج احق بالرجعة سواء اراد الاصلاح او الاضرار بها بتطويل
العدة قلنا المراد ان الرجعة اصوب واعدل ان قصد الزوج بها الاصلاح
وتركها اصوب واعدل ان قصد الاضرار بها فان قيل كيف الجمع بين قوله
تعالى فقال لهم الله موتوا ثم احياهم وقوله لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى
قلنا المراد بالاية الاولى اماتة العقوبة مع بقاء الاجل وبالاية الثانية الاماتة
بانتهاء الاجل نظيره قوله تعالى في قصة موسى عليه السلام ثم بعثناكم من بعد موتكم
لانها كانت اماتة عقوبة او كان احياؤهم اية لنبيهم على ما عرف في قصتهم فصار كاحياء
العزير حين مر على القرية وايات الانبياء نوادر مستثناة فكان المراد بالاية الثانية
الموتة التي ليست بسبب اية لنبي من الانبياء واحياء قوم موسى عليه السلام اية
له ايضا فكان هذا جوابا عاما مع ان في اصل السؤال نظرا لان الضمير في قوله لا يذوقون
للمتقين وهو في قوله فيها للجنات على ما ياتي بيانه في سورة الدخان ان شاء الله تعالى على
وجه يندفع به السؤال من اصله فان قيل كيف قال والله يوتي ملكه من يشاء والله
تعالى لا يوتي ملكه احدا قلنا المراد بهذا الملك السلطنة والرياسة التي انكروا اعطاها
الله لطالوت وليس المراد انه يوتي كل ملكه لاحد لان سياق الاية عنه فان قيل
كيف قال في الماء ومن لم يطعمه ولم يقل ومن لم يشربه والماء مشروب لا ماكول قلنا

طعم بمعنى اكل و بمعنى ذاق والذوق هو المراد هنا وهو يعم فان قيل
كيف خص موسى وعيسى من بين الانبياء بالذكر في قوله تعالى تلك الرسل الاية
قلنا لما اوتيا من الايات الظاهرة والمعجزات الباهرة مع الكتابين العظيمين
المشهورين فان قيل كيف قال من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة
وفي يوم القيامة شفاعة للانبياء وغيرهم بدليل قوله تعالى من ذا الذي يشفع عنده
الا باذنه وقوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى ولا ينفع الشفاعة عنده الا لمن اذن
له قلنا هذه الايات لا تدل على وجود الشفاعة يوم القيامة بل تدل على انها لا توجد
ولا تنفع بغير اذنه ولا توجد بغير مرضي عنده وهذا لا ينافي نفي وجودها بل
المنافي له الاخبار عن وجودها لا الاخبار عن امكان وجودها ولو سلم فالمراد به نفي
شفاعة الاصنام والكواكب التي كانوا يعتقدونها ولهذا اعترض بذكر الكفار بقوله
تعالى والكافرون هم الظالمون وقيل المراد انه لا شفاعة في اثم ترك الواجبات لان
الشفاعة في الاخرة في زيادة الفضل لا غير والخطاب مع المومنين في النفقة الواجبة
وهي الزكوة فان قيل كيف قال والكافرون هم الظالمون على جهة الحصر وغيرهم ظالم
ايضا قلنا لان ظلمهم اشد فكانه لا ظالم الاهم نظيره انما يخشى الله من عباده العلماء
فان قيل كيف قال الله تعالى الله ولي الذين امنوا يخرجهم بلفظ المضارع ولم يقل اخرجهم
بلفظ الماضي والاخراج قد وجد لان الايمان قد وجد قلنا لفظ المضارع فيه دلالة
على استمرار ذلك الاخراج من الله تعالى في الزمن المستقبل في حق من امن بزيادة
كشف الشبه ومضاعفة الهداية وفي حق من لم يومن ممن علم الله انه سيومن
بابتداء الهداية وزيادتها ايضا ولفظ الماضي لا يدل على هذا المعنى فان قيل متى
كان المومنون في ظلمات الكفر والكافرون في نور الايمان ليخرجوا من ذلك قلنا
الاخراج يستعمل بمعنى المنع عن الدخول يقال لمن امتنع عن الدخول في امر خرج
منه واخرج نفسه منه وان لم يكن دخل فيه فعصمة الله تعالى المومنين عن الدخول
في ظلمات الضلال اخراج لهم منها وتزيين قرناء الكفار لهم الباطل الذي يصدونهم به
عن الحق اخراج لهم من نور الهدى ولان ايمان اهل الكتاب بالنبي صلى الله عليه وسلم
قبل ان يظهر كان نورا لهم وكفرهم به بعد ظهوره خروج منه الى ظلمات الكفر ولانه

لما ظهرت معجزاته صلى الله عليه وسلم كان موافقه ومتبعه خارجا من ظلمات
الجهل الى نور العلم ومخالفه خارجا من نور العلم الى ظلمات الجهل فان قيل كيف
انتقل ابرهيم عليه السلام الى حجة اخرى وعدل عن نصرة الاولى مع انها تنقطع
بما عارضه به نمرود من قتل احد المحبوسين واطلاق الاخر فان ابرهيم عليه
السلام ما اراد هذا الاحياء والاماتة قلنا انما انه راى خصمه قاصر الفهم
عن ادراك معنى الاحياء والاماتة التي اضافها ابرهيم عليه السلام الى الله تعالى
حيث عارض معارضة لفظية وعمي عن اختلاف المعنيين او لانه علم انه فهم
الحجة لكنه قصد التمويه والتلبيس على اتباعه واشياعه فعدل ابرهيم عليه السلام
الى امر ظاهر يفهمه كل احد ولا يقع فيه تمويه ولا تلبيس فان قيل كيف طبع
الله تعالى على قلبه فلم يعارض بالعكس في طلوع الشمس قلنا لانه لو عارض به
لم يات الله بها من المغرب لان ذلك امارة قيام الساعة فلا يوجد الا قريبا من
قيامها ولانه واتباعه كانوا عالمين ان طلوعها من المشرق سابق على وجوده ولو ادعاه
لكذبوه فان قيل كيف قال عزير منكرا مستبعدا انى يحيي هذه الله بعد موتها
وهو نبي والنبي لا يخفى عليه قدرة الله تعالى على احياء قرية خربة واعادة اهلها اليها
قلنا ما قاله منكرا مستبعدا لعظيم قدرة الله تعالى بل متعجبا من عظم قدرته تعالى
او طلبا لرؤية كيفية الاعادة لان انى بمعنى كيف ايضا وقد نقل عن مجاهد ان المار
على القرية القايل ذلك كان رجلا كافرا شاكا في البعث وان كان الاول هو المشهور
فان قيل كيف قال الله تعالى لابرهيم عليه السلام اولم تومن وقد علم انه اثبت
الناس ايمانا قلنا ليجيب بما اجاب به فيحصل به الفائدة الجليلة للسامعين من
طلبه لاحياء الموتى فان قيل كيف يجوز ان يكون النبي غير مطمئن القلب بقدرة الله
تعالى على احياء الموتى حتى قال ابرهيم عليه السلام ولكن ليطمئن قلبي قلنا معناه ليطمئن
قلبي بعلم ذلك عيانا كما اطمان به برهانا او ليطمئن بانك تتخذني خليلا او بانني
مستجاب الدعوة ولهذا السائل يقول على الوجه الاول كيف يزداد يقينا بالمشاهدة وقد
روي عن علي رضي الله عنه انه قال لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا وابرهيم عليه السلام
اعظم رتبة واجل وجوابه ان عليا رضي الله عنه اراد بذلك قوة يقينه قبل العيان حتى

كان الذي له الحاصلة له بالعيان يسيرة لا تعتد بها فان قيل ما فائدة قوله
تعالى فصرهن اليك اى فضمهن ولفظ الاخذ مغني عنه قلنا الفائدة فيه
ذلك تاملها ومعرفة اشكالها وصفاتها لئلا يلتبس عليه بعد الاحياء فيتوهم
انها غيرها فان قيل كيف مدح المنفقين بترك المن الضامع انه وصف نفسه
بالمنان قلنا من بمعنى اعطى ومنه المنان فى صفات الله تعالى وقوله فامنن او امسك
وقوله لقد من الله على المؤمنين اى انعم وقوله فاما منا بعد اى انعاما بالاطلاق بغير
عوض ومن بمعنى اعتد بالنعمة وذكرها واستعظمها وهو المذموم فان قيل
قوله تعالى بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان من القسم الثانى قلنا ذلك اعتداد
بنعمة الايمان فلا يكون قبيحا بخلاف نعمة المال ولانه يجوز ان يكون من صفات الله تعالى
ما هو مدح فى حقه ذم فى حق العبد كالجبار والمتكبر والمنتقم ونحو ذلك فان قيل كيف
قال ايود احدكم ان يكون له جنة من نخيل واعناب ثم قال له فيها من كل الثمرات
قلنا لما كان النخيل والاعناب اكرم الشجر واكثرها منافع خصهما بالذكر وجعل الجنة
منهما وان كان فيها غيرهما تغليبا لهما وتفضيلا فان قيل قوله تعالى لا يسألون
الناس الحافا يدل بمفهومه على انهم كانوا يسألون برفق فكيف قال يحسبهم الجاهل
اغنياء من التعفف قلنا المراد به نفى السؤال والالحاف جميعا كقوله تعالى لا ذلول
تثير الارض وكقول الاعشى لا يغمز الساق من اين ولا وصب معناه ليس
بساقه اين ولا وصب فيغمزها فان قيل كيف قال الذين يأكلون الربوا الاية
لحق الوعيد بآكله مع ان البسه ومتخذه وواهبه ايضا فى الاثم سواء قلنا لما كان
اكثر الانتفاع واهمه بالمال انما هو الاكل لانه مقصود لا غنى عنه ولا بد منه غنى عن
انواع الانتفاع بالاكل كما يقال اكل فلان ماله كله اذا اخرجه فى مصالح الاكل وغيره فان
قيل كيف خص الآكل بذكر الوعيد دون المطعم وكلاهما آثم قلنا لان انتفاعه
الدنيوى بالربوا اكثر من انتفاع المطعم فان قيل كيف قال انما البيع مثل الربوا
والكلام فى الربوا ومقصودهم تشبيهه بالبيع وقياسه انما الربوا مثل البيع قلنا جاؤا
بالتمثيل على طريق المبالغة وذلك انه بلغ من اعتقادهم استحلال الربوا انهم جعلوه
اصلا فى الحل والبيع فرعا كقولهم القمر كوجه زيد والبحر ككفه اذا ارادوا المبالغة

ونحو عن المنة

فان قيل كيف قلتم ان اهل الكبائر لا يخلدون فى النار وقد قال الله تعالى فى حق
آكلى الربوا ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون قلنا الخلود يستعمل بمعنى
طول البقاء وان لم يكن بصفة التابيد يقال خلد الامير فلانا فى الحبس اذا اطال
حبسه او قوله فاولئك اشارة الى من عاد الى استحلال الربوا بقوله انما البيع مثل الربوا
بعد نزول اية التحريم وذلك يكون كافرا والكافر يخلد فى النار فان قيل انظار المعسر
فرض بالنص والتصدق عليه فرض تطوع فكيف قال وان تصدقوا خير لكم قلنا
كل تطوع كان محصلا للمقصود من الفرض بوصف الزيادة كان افضل من
الفرض كما ان الزهد فى الحرام فرض وفى الحلال تطوع والزهد فى الحلال افضل
لما بينا كذلك هنا فان قيل ما فائدة قوله تعالى بدين وقوله تداينتم مغن عنه قلنا
فائدته رجوع الضمير اليه فى قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكره لقال فاكتبوا الدين والاول
احسن نظما الثانى ان تداينا مشترك بين الاقراض والمبايعة وبين المجازاة وانما يميز
بينهما بفتح الدال وكسرها ومنه مالك يوم الدين يسالون ايان يوم الدين فذكر
الدين لتعيين اى المعنيين هو المراد فان قيل كيف شرط السفر فى الارتهان
بقوله تعالى وان كنتم على سفر الاية وجواز الرهن لا يختص بالسفر قلنا لم يذكره لتخصيص
الحكم به بل لما كان السفر مظنة عوز الكاتب والشاهد الموثوق بهما امر على سبيل الارشاد
بحفظ مال المسافرين باخذ الرهان فان قيل ما فائدة ذكر القلب فى قوله فانه آثم
قلبه مع ان الجملة هى الموصوفة بالاثم لا القلب وحده قلنا كتمان الشهادة هو ان
يضمرها ولا يتكلم بها فلما كان ذلك اثما مقترفا بالقلب ومكتسبا به اسند اليه
لان اسناد الفعل الى الجارحة التى يعمل بها ابلغ كما يقال هذا مما ابصرته عينى
وسمعته اذنى وعلمه قلبى فان قيل كيف قال وان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه
يحاسبكم به الله وما يحدث به الانسان نفسه لا يأثم به ما لم يفعله اما لانه لا يدخل
الاحتراز عنه فى الوسع والطاقة او بالحديث المشهور قلنا لم يرد بالاية العموم
ثم نسخ بقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها وقيل لا نسخ فيه لانه خبر لا امر ونهى
بل العموم غير مراد وانما المراد ما يمكن الاحتراز عنه وهو العزم القاطع والاعتقاد
الجازم لا مجرد حديث النفس والوسوسة ولانه اخبر عن المحاسبة لا عن المعاقبة فهو يوم

القيامة تخبر العباد بما ابدوا واخفوا ليعلموا احاطة علمه بجميع ذلك ثم
يغفر لمن يشاء فضلاً و يعذب من يشاء عدلاً كما اخبر في الاية قال قيل
اى شرف للرسول صلى الله عليه وسلم في مدحه بالايمان مع انه في مرتبة الرسالة
ودرجتها وهي اعلى من درجة الايمان فما فائدة قوله امن الرسول قلنا فائدته ان
يبين للمؤمنين زيادة شرف الايمان حيث مدح به خواصه ورسله ونظيره في
سورة الصافات قوله تعالى في خاتمة ذكر كل نبي انه من عبادنا المؤمنين قال قيل
روى عن ابن عباس انه قرأ وملائكته وكتابه فسئل عن ذلك فقال الكتاب اكثر
من كتب فما وجهه قلنا قيل فيه انه اراد ان الكتاب جنس والكتب جمع والجنس اكثر
من الجمع لانه حقيقة في الكل على ما ذهب اليه بعضهم ويرد على هذا ان يقال الكلام في
الجمع المضاف والفرد المضاف والجمع المضاف للاستغراق عرفا وشرعا كقوله
لعبيد اكرم اصدقائي واهن اعدائي وقوله زوجاتي طوالق وعبيدي احرار بخلاف
قوله صديقي وعدوي وعبدي وامراتي فظهر ان الجمع المضاف اكثر قال قيل
بين لا يضاف الا الى اثنين فصاعدا فكيف قال لا نفرق بين احد من رسله قلنا
احد هنا بمعنى الجمع الذي هو احاد كقوله تعالى فما منكم من احد فانه ثم بمعنى الجمع بدليل
قوله حاجزين فكانه قال لا نفرق بين آحادٍ من رسله كقولك المال بين احاد الناس
ولان احد يصلح للمفرد المذكر والمؤنث وتثنيتهما وجمعهما نفيا واثباتا تقول ما رايت
احداً الا بني فلان او الا بنات فلان سواء، وتقول ان جاك احد بكتابي فاعطه وديعتي
يستوي فيه الكل فالمعنى لا نفرق بين اثنين منهم او بين جماعة منهم ومنه قوله
تعالى يا نساء النبي لستن كاحدٍ قال قيل ما الفرق بين قوله تعالى لها ما كسبت وعليها
ما اكتسبت على ان الاول في الخير والثاني في الشر قلنا قيل هو من كسبت واكتسبت
فان الاول للخير والثاني للشر وليس بسديد لقوله تعالى ومن يكسب خطيئة
او اثما وقوله كل نفس بما كسبت رهينة وقوله او يوبقهن بما كسبوا وقوله ومن
يقترف حسنة والاقتراف الاكتساب بمعنى واحد وقيل هو من اللام وعلى وليس
بسديد ايضا لقوله تعالى اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار وقوله تعالى ان احسنتم
احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها وقوله تعالى اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة اللهم

الا ان يدعي ان اللام وعلى عند الاطلاق يقتضيان ذلك كما في هذه الاية لا مقرونين
بذكر الحسنة والسيئة والحسن والقبيح ويدل عليه قوله تعالى ولا تكسب كل
نفس الا عليها اطلقه واراد به الشر بدليل ما بعده وقولهم الدهر يومان يوم لك
ويوم عليك وقولهم فلان يشهد لك وفلان يشهد عليك ويقول الرجل لصاحبه هذا
الكلام حجة عليك لا لك وقال الشاعر على انني راضٍ بان احمل الهوى واخلص
منه لا علي ولا ليا واما قوله تعالى من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها وان كان
مقيدا الا ان فيه دلالة ايضا من جهة اللام وعلى لان القيد شامل لطرفيه سورة ال
عمران قال قيل كيف قال نزل عليك الكتاب بالحق وانزل التورية والانجيل
قلنا لان القران نُزِّل منجما والتورية والانجيل أُنزلا جملة واحدة كذا اجاب الزمخشري
وغيره ويرد عليه قوله تعالى بعد ذلك وانزل الفرقان قال الزمخشري قال اراد به
جنس الكتب السماوية لا الثلاثة المذكورة خصوصا او اراد به الزبور او اراد به
القران وكرر ذكره تعظيما ويرد عليه قوله تعالى بعد ذلك هو الذي انزل عليك الكتاب
منه ايات محكمات وقوله تعالى والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك
وقوله تعالى وقال الذين كفروا لولا انزل عليه القران جملة واحدة والذي وقع لي فيه
والله اعلم ان التضعيف في نزّل والهمزة في انزل كلاهما للتعدية لان نزل فعل لازم
في نفسه واذا كانا للتعدية لا يكونان لمعنى اخر وهو التكثير ونحوه لانه لا نظير له
فانما جمع بينهما والمعنى واحد وهو التعدية جريا على عادة العرب في افتنانهم في الكلام
وتصرفهم فيه على وجوه شتى ويؤيد هذا قوله تعالى لولا نُزّل عليه اية من ربه وقال
في موضع اخر لولا انزل عليه اية من ربه قال قيل كيف قال منه ايات محكمات
ومن للتبعيض وقال في موضع اخر كتاب احكمت اياته وهذا يقتضي كون جميع اياته محكمة
قلنا المراد بقوله منه ايات محكمات اي ناسخات واخر متشابهات اي منسوخات
وقيل المحكمات العقليات والمتشابهات الشرعيات وقيل المحكمات ما ظهر معناها
والمتشابهات ما كان في معناها غموض ودقة والمراد بقوله تعالى كتاب أُحكمت اياته
ان جميع القران صحيح ثابت مصون عن الخلل والزلل فلا تنافي قال قيل كيف قال
هنا واخر متشابهات جعل بعضه متشابها وقال في موضع اخر كتابا متشابها وصفه

كذلك يكونه متشابها قلنا المراد بقوله واخر متشابهات ما سبق ذكره والمراد بقوله
كتابا متشابها انه يشبه بعضه بعضا في الصحة وعدم التناقض وتايد بعضه لبعض
ولا تنافي فان قيل ما فايدة انزال المتشابه بالمعنى الاخير والمقصود من انزال
القران انما هو البيان والهدى والغموض والدقة في المعاني ينافي هذا المقصود او
يبعده قلنا لما كان كلام العرب ينقسم الى ما يفهم معناه سريعا والى ما يحتمل غير ظاهره والى
ما هو مجاز وكناية واشارة وتلويح والمعاني فيه متعارضة متزاحمة وهذا القسم هو
المستحسن عندهم والمستبدع في كلامهم نزل القران بالنوعين تحقيقا لمعنى الاعجاز كانه
قال عارضوه باي النوعين شئتم فانه جامع لهما او انزله الله تعالى محكما ومتشابها
ليختبر من يومن بكله ويرد علم ما تشابه منه الى الله فيثيبه ومن يرتاب فيه
ويشك وهو المنافق فيعاقبه كما ابتلى عباده بنهر طالوت وغيره او اراد
ان يشتغل العلماء برد المتشابه الى المحكم بالنظر والاستدلال والبحث
والاجتهاد فيثابون على هذه العبادة ولو كان كله ظاهرا جليا لاستوى فيه العلماء
والجهلاء ولماتت الخواطر لعدم البحث والاستنباط فان نار الفكر انما تقدح بزناد
المشكلات ولهذا قال بعض الحكماء عيب الغنى انه يورث البلادة ويميت الخواطر
وفضيلة الفقر انه يبعث على اعمال الفكر واستنباط الحيل في الكسب فان قيل
قوله تعالى يرونهم مثليهم راي العين اي يرى الفئة الكافرة الفئة المسلمة
مثلي عدد نفسها او بالعكس على اختلاف القولين وكيفما كان فهو مناف لقوله
تعالى في سورة الانفال واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا ويقللكم في اعينهم
لانه يدل على ان الفئتين تساويا في استقلال كل واحد منهما للاخرى قلنا
التقليل والتكثير في حالين مختلفين قلل الله المشركين في نظر المومنين اولا والمومنين
في نظر المشركين حتى اجترات كل فئة على قتال صاحبتها فلما التقتا كثر الله المومنين
في نظر المشركين حتى جبنوا وفشلوا فغلبوا او كثر الله المشركين في نظر المومنين واراهم
اياهم على ما هم عليه وكانوا في الحقيقة اكثر من المومنين ليعلموا صدق ما وعدهم الله
تعالى بقوله فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين الاية فان المومنين غلبوهم في تلك
الغزاة وهي غزاة بدر مع انهم كانوا اضعاف عدد المومنين وقيل ارى الله المسلمين

المشركين مثلي عدد المسلمين وكانوا ثلاثة امثالهم لكنه قللهم في اعين المسلمين
واراهم اياهم بقدر ما اعلمهم انهم يغلبونهم لتقوى قلوبهم بما سبق من الوعد
المائة من المومنين تغلب المائتين منهم فان قيل ما فايدة تكرار قوله لا اله الا هو
في قوله شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قايما بالقسط لا اله الا هو
قلنا الاول قول الله تعالى والثاني حكاية قول الملائكة واولي العلم وقال جعفر الصادق
رضي الله عنه الاول وصف والثاني تعليم اي قولوا واشهدوا كما شهدوا فان قيل
ما فايدة قوله وهم معرضون في قوله الم تر الى الذين اوتوا نصيبا يدعون الى كتاب من الكاشف
الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون والتولي والاعراض واحد كما سبق
ذكره قلنا معناه يتولون عن الداعي ويعرضون عما دعاهم اليه وهو كتاب الله تعالى
او يتولون بابدانهم ويعرضون عن الحق بقلوبهم او كان الذين تولوا علماءهم والذين
اعرضوا اتباعهم فان قيل كيف قال بيدك الخير خص الخير بالذكر وبيده الخير
والشر والنفع والضر قلنا لان الكلام انما ورد ردا على المشركين فيما انكروه مما وعد
الله تعالى به نبيه على لسان جبريل من فتح بلاد الروم وفارس ووعد النبي صلى الله عليه
وسلم الصحابة بذلك فلما كان الكلام في الخير خصه بالذكر باعتبار الحال او اراد الخير والشر
فاكتفى باحدهما لدلالته على الاخر كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر وانما خص الخير بالذكر
لانه المرغوب فيه المطلوب للعباد من الله تعالى فان قيل كيف قال يولج الليل في
النهار ويولج النهار في الليل وايلاج الشيء في الشيء يقتضي اجتماع حقيقتيهما بعد الايلاج
كايلاج الخيط في الابرة والاصبع في الخاتم ونحوهما وحقيقة الليل والنهار لا يجتمعان
قلنا الايلاج قد يكون كما ذكرتم وقد يكون مع تبدل صفة احدهما لغلبة صفة الاخر
عليه مع بقاء ذاته فيه كايلاج يسير من خبز في لبن كثير او بالعكس فان المحققين
مجتمعان وزنا وصفة احدهما غالبة على الاخر كذلك الليل والنهار اذا كان الليل
اربع عشرة ساعة بالنسبة الى زمن الاعتدال ففيه من النهار ساعتان قطعا
وكذلك على العكس او معناه يولج زمن الليل في زمن النهار وبالعكس او يولج الليل
في النهار وبالعكس باعتبار ان ليل قوم هو نهار آخرين وبالعكس او معناه انه
خلق ليلا صرفا خالصا ونهارا صرفا خالصا وخلق ما هو ممتزج منهما وهو ما قبيل

طلوع الشمس وقبيل غروبها والجواب الثالث والرابع نعمان جميع السنة
فان قيل مافايدة قولها وليس الذكر كالانثى وهو معلوم من غير ذكر قلنا
هي ظنت ان ما في بطنها ذكر ولهذا نذرت ان تجعله خادما للبيت المقدس وكان
من شريعتهم صحة هذا النذر في الذكور خاصة فلما وضعت انثى استحيت حيث
خاب ظنها ولم يقبل نذرها فقالت ذلك معتذرة تعني ليست الانثى بصالحة
لما يصلح له الذكر من خدمة المسجد لانها ارادت ان الانثى ليست كالذكر صورة
اوقوة اونحو ذلك فلما قالت ذلك منكسرة خجلة من الله تعالى عليها بتخصيص مريم
بقبولها في النذر دون غيرها من الاناث وقال فتقبلها ربها بقبول حسن فان قيل
المستعمل في مثله ادخال حرف النفي على القاصر وحرف التشبيه على الكامل نحو ليس
الفضة كالذهب وليس العبد كالحر وليس الانثى كالذكر قلنا لما كان جعل الاصل
فرعا والفرع اصلا في التشبيه في حالة الاثبات يقتضي المبالغة في المشابهة القمر كوجه
زيد والبحر ككفه كان جعل الاصل فرعا والفرع اصلا في حالة النفي يقتضي نفي المبالغة
في المشابهة لانفي المشابهة وذلك هو المقصود هنا لان المشابهة واقعة بين الذكر
والانثى في اعم الاوصاف واغلبها ولهذا يقلا احدهما الاخر وانما ارادت ام مريم
نفي المشابهة بينهما في صحة النذر به خادما للبيت المقدس لاغير ولذلك عكست
الثاني ان ذلك قول الله تعالى والمعنى ليس الذكر الذي طلبت ان يكون خادما للكنيسة
كالانثى التي وهبت لما علم الله تعالى من جعلها وابنها آية للعالمين وهو تفسير
للتعظيم والتفخيم الجمل في قوله تعالى والله اعلم بما وضعت وهي لاتعرف مقدار شرفه
واللام في الذكر والانثى للعهد هذا كله قول الزمخشري وغامه في الكشاف وقال الفقيه
ابو الليث قال بعضهم هذا قول الله تعالى لمحمد عليه السلام اي وليس الذكر كالانثى يا محمد
وقال بعضهم هو من كلام ام مريم فان قيل كيف نادت الملايكة زكرياء وهو قايم
يصلي في المحراب والحال انه في الصلوة كما قال تعالى فنادته الملايكة وهو قايم يصلي في
المحراب الاية قلنا المراد بقوله يصلي اي يدعو كقوله تعالى ولا تجهر بصلوتك ولا تخافت
بها اي بدعايك فان قيل مافايدة تخصيص يحيى عليه السلام بقوله ان الله يبشرك
بيحيى مصدقا بكلمة من الله وكل واحد من المومنين مصدق لجميع كلمات الله تعالى قلنا

معناه مصدقا بعيسى الذي كان وجوده بكلمة من الله وهي كن من غير واسطة اب وكان
تصديق يحيى بعيسى اسبق من تصديق كل احد في الوجود اوفي المرتبة فان قيل زكرياء
عليه السلام سأل الله الولد بقوله هب لي من لدنك ذرية طيبة والله تعالى بشره
بيحيى على لسان الملايكة فكيف انكر بعد هذا كله قدرة الله تعالى على اعطائه الولد حتى قال
رب انى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامراتي عاقر قلنا انما قاله على سبيل الاستفهام
والتعجب من عظيم قدرة الله لا على طريق الانكار والاستبعاد واشتبه عليه هل يعطي الولد
وهو شيخ وامراته عاقر اويتزول عنهما هاتان الصفتان فسال لكشف الحال وتقديره
انى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامراتي عاقر ولهاذكر بقوله اخر الاية انما سبب هذا
الجواب فان قيل مافايدة تكرار ذكر الاصطفاء في قوله تعالى ان الله اصطفاك وطهرك
واصطفاك قلنا الاصطفاء الاول للعبادة التي في خدمة البيت المقدس وخصصها
بقبولها في النذر مع كونها انثى والاصطفاء الثاني لولادة عيسى عليه السلام او اعيد ذكر
الاصطفاء ليفيد بقوله على نساء العالمين فيندفع وهم انها مصطفاة على الرجال فان
قيل كيف نفى حضور النبي صلى الله عليه وسلم في زمن مريم بقوله وما كنت لديهم
اذ يلقون اقلامهم الاية وذلك معلوم عندهم لاشك فيه وترك نفي استماعه ذلك الخبر
من حفاظه وهو الذي كانوا يتوهمونه قلنا كان معلوما ايضا عندهم علما يقينا انه
ليس من اهل القراة والرواية وكانوا منكرين للوحي فلم يبق الا المشاهدة والحضور
وهي في غاية الاستحالة فنفيت على طريق التهكم بالمنكرين للوحي مع علمهم انه لاقراة
له والارواية ونظيره قوله تعالى وما كنت بجانب الغربي وما كنت بجانب الطور فان
قيل كيف قال اسمه المسيح عيسى بن مريم والخطاب مع مريم وهي تعلم ان الولد
الذي بشرت به يكون ابنها قلنا لان الابناء ينسبون الى الاباء لا الى الامهات
فاعلمت بنسبته اليها انه يولد من غير اب فلا ينسب الا الى امه فان قيل اي
معجزة لعيسى عليه السلام في تكليم الناس كهلا واي خصوصية له في هذا الحال ويكلم
الناس في المهد وكهلا قلنا معناه ويكلم الناس في هاتين الحالتين كلام الانبياء من غير
تفاوت بين حال الطفولة وحال الكهولة التي يستحكم فيها العقل وينبا فيها الانبياء فكانه
قال ويكلم الناس في المهد كما يكلمهم كهلا وقال الزجاج هذا خرج مخرج البشارة لمريم انه

عليه السلام يبقى الى زمن الكهولة فهو بشارة لها بطول عمره وقيل المقصود
منه ان الزمان يوثر فيه كما يوثر في غيره و ينقله من حال الى حال ولو
كان الها لم يجز عليه التغير فان قيل كيف قال انى متوفيك ورافعك الى
والله تعالى رفعه ولم يتوفه قلنا لما هدده اليهود بالقتل بشره بانه انما
يقبض روحه بالوفاة لا بالقتل والواو لا تفيد الترتيب لتلزم من الاية موته
قبل رفعه الثانى ان فيه تقديما وتاخيرا تقديره انى رافعك ومتوفيك الثالث
ان معناه قابضك من الارض تاما وافيا في اعضائك وجسدك لم ينالوا منك
شيئا من قولهم توفيت حقى على فلان اذا استوفيته تاما وافيا الرابع ان معناه
انى متوفى نفسك بالنوم من قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتى
لم تمت في منامها ورافعك وانت نايم حتى لا تخاف بل تستيقظ وانت في السماء
آمن مقرب فان قيل كيف قال ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم وآدم
خلق من التراب وعيسى من الهواء وادم خلق من غير اب وام وعيسى خلق
من ام قلنا المراد به التشبيه في وجوده بغير واسطة اب والتشبيه لا يقتضى
المماثلة من جميع الوجوه بل من بعضها فان قيل كيف خص اهل الكتاب بان
منهم امينا وخاينا بقوله تعالى ومن اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار يوده
اليك الاية والمسلمون وغيرهم من اهل الكتاب كذلك منهم الامين والخاين
قلنا انما خصهم باعتبار واقعة الحال فان سبب نزول الاية ان عبد الله بن
سلام اودع الفا ومايتى اوقية من الذهب فادى الامانة فيها وفنحاص بن
عازوراء اودع دينارا فخانه ولان خيانة اهل الكتاب المسلمين تكون عن
استحلال بدليل آخر الاية بخلاف خيانة المسلم المسلم فلذلك خصهم بالذكر
فان قيل كيف قال وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واكثر
الانس والجن كفرة قلنا المراد بهذا الاستسلام والانقياد بما قضاه عليهم وقدره
من الجوع والموت والمرض والصحة والشقاوة والسعادة ونحو ذلك فان قيل
كيف قال ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم ومعلوم ان
المرتد كيف ما ازداد كفرا فانه مقبول التوبة قلنا الاية نزلت في قوم ارتدوا

ثم اظهروا التوبة بالقول ليستروا احوالهم والكفر في ضمائرهم قاله ابن عباس
وقيل نزلت في قوم تابوا من ذنوبهم غير الشرك وقيل معناه لن تقبل توبتهم وقت
حضور الموت فان قيل كيف قال ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة
وكم من بيت بنى قبل الكعبة من زمن ادم الى زمن ابرهيم عليهما السلام قلنا معناه
ان اول بيت وضع قبلة للناس ومكان عبادة لهم او وضع مباركا للناس وقال
ابن عباس رضى الله عنه قال اول من بناه ادم عليه السلام ثم اهبط من
السماء اوحى الله تعالى اليه ابن لى بيتا في الارض واصنع حوله نحو ما رايت
الملايكة تصنع حول عرشى فبناه وجعل يطوف حوله فان قيل كيف
قال كنتم خير امة ولم يقل انتم خير امة قلنا معناه كنتم في سابق علم الله او
كنتم يوم اخذ الميثاق على الذرية فاراد الاعلام بكون ذلك صفة اصلية فيهم
لا عارضة متجددة او معناه خلقتم ووجدتم فهى كان التامة وخير امة نصب
على الحال وتمام الكلام فى كان ذكرناه فى قوله تعالى انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا
فان قيل كيف قال ولو آمن اهل الكتاب لكان خيرا لهم ولا يصح ان يقال هذا خير
من ذلك الا اذا كان فى كل واحد منهما خير قلنا معناه ايمانهم بمحمد صلى الله عليه
وسلم مع ايمانهم بموسى وعيسى عليهما السلام خير من ايمانهم بموسى وعيسى فقط فان
قيل كيف قال مثل ما ينفقون فى هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر الاية والمقصود
تشبيه نفقة الكفار اموالهم فى تحصيل المفاخر وطلب الصيت والسمعة او ما ينفقونه
فى الطاعات مع وجود الكفر او ما ينفقونه فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالزرع الذى اصابته ريح شديدة البرد فاهلكته فضاع ولم ينتفع به فان التشبيه
فى الحقيقة بالزرع وفى لفظ الاية بالريح قلنا فيه اضمار تقديره مثل اهلاك ما ينفقون
كمثل اهلاك ريح فيها صر او مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح ونظيره قوله تعالى مثل
الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة الاية وقوله ومثل الذين كفروا كمثل
الذى ينعق الاية وقال ثعلب فيه تقديم وتاخير تقديره كمثل حرث قوم ظلموا
انفسهم اصابته ريح فيها صر فاهلكته فان قيل كيف قال ان تمسسكم
حسنة تسوهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها فوصف الحسنة بالمس والسيئة بالاصابة

قلنا المس مستعار بمعنى الاصابة فكان المعنى واحدا الا يرى الى قوله تعالى ان
تصبك حسنة تسوءهم وان تصبك مصيبة وقوله ما اصابك من حسنة فمن الله وما
اصابك من سيئة وقوله ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه
الخير منوعا فان قيل كيف قال وسارعوا والنبي صلى الله عليه وسلم يقول العجلة
من الشيطان والتاني من الرحمن قلنا قد استثنى النبي صلى الله عليه وسلم خمسة مواضع
فقال الاناة التوبة من الذنب وقضاء الدين الحال وتزويج البكر البالغة ودفن الميت واكرام
الضيف اذا نزل والمسارعة المامور بها في الاية هي المسارعة الى التوبة وما في معناها
من اسباب المغفرة فان قيل كيف قال والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم
عطف عليه بكلمة او وفعل الفاحشة داخل في ظلم النفس بل هو من ابلغ انواع
ظلم النفس قلنا اريد بالفاحشة نوع من انواع ظلم النفس وهو الزنا او كل
كبيرة خصّ بهذا الاسم تنبيها على زيادة قبحه واريد بظلم النفس ما وراء ذلك من
الذنوب فان قيل كيف قال هنا ومن يغفر الذنوب الا الله وقال في موضع
اخر واذا ما غضبوا هم يغفرون قلنا معناه ومن يستر الذنوب من جميع
الوجوه الا الله ومثل هذا الغفران لا يوجد الا من الله تعالى فان قيل كيف
قال افان مات او قتل وهلا اقتصر على قوله افان مات وكان القتل يدخل
فيه فانه موت قلنا القتل وان كان موتا لكن اذا اطلق الميت في العرف لا يفهم
منه المقتول فلذلك عطف احدهما على الاخر فان قيل كيف قال ومن
يغلل يات بما غلّ يوم القيمة وقال في موضع اخر ولقد جئتمونا فرادى كما
خلقناكم اول مرة قلنا معناه يات به مكتوبا في ديوانه او يات حاملا له ومعنى
فرادى منفردين عن الاموال والاهل او عن الشركاء في الغي او عن الالهة
المعبودة من دون الله وتمام الاية تشهد للكل فان قيل ولجاء في الصحيح
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الغالّ ياتي يوم القيمة حاملا عين ما غلّه على
عنقه صامتا كان او ناطقا هذا معنى الحديث فاندفع الجواب قلنا على هذا
يكون المراد بالاية الاخرى فرادى عن مال واهل تعتزون بها وتستنصرون
ويشهد بصحته تمام الاية فان قيل كيف قال هم درجات عند الله والعبيد انفسوا

نفس الدرجات قلنا فيه اضمار تقديره هم ذوو درجات او اهل درجات فحذف
المضاف لعدم الالباس وقيل المراد بالدرجات الطبقات فلا يكون فيه اضمار بل
معناه انهم طبقات عند الله تعالى متفاوتون كتفاوت الدرجات فان قيل
كيف جعل لكلا الفريقين درجات واحد الفريقين لهم دركات لا درجات
قلنا الدرجات تستعمل في الفريقين بدليل قوله تعالى في سورة الاحقاف بعد
ذكر الفريقين ولكل درجات مما عملوا والتحقيق ان بعض اهل النار اخف عذابا
فكانه فيها اعلى وبعضهم اشد عذابا فكانه فيها اسفل ولو سلّم اختصاص
الدرجات باهل الجنة كان قوله هم درجات راجعا اليهم خاصة تقديره افمن
اتبع رضوان الله وهم درجات عند الله كمن باء بسخط من الله وهم دركات
الا انه حذف البعض لدلالة المذكور عليه فان قيل الذين قالوا ان الله
فقير ونحن اغنياء كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قالوا ذلك لما سمعوا
قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فكيف قال سنكتب ما قالوا
وقتلهم الانبياء ونكتب قتلهم الانبياء وهم لم يقتلوا نبيا قط قلنا لما رضوا
بقتل اسلافهم الانبياء كانهم باشروا ذلك فاضيف اليهم وقد تكرر
هذا المعنى في القران كثيرا فان قيل كيف قال وان الله ليس بظلّام للعبيد
وظلّام صيغة مبالغة من الظلم ولا يلزم من نفي الظلام نفي الظالم وعلى العكس
يلزم فهلا قال ليس بظالم ليكون ابلغ في نفي الظلم عن ذاته المقدسة قلنا صيغة
المبالغة جيء بها لكثرة العبيد لا لكثرة الظلم كما قال تعالى ولا يظلم ربك احدا وقال
عالم الغيب وعلّام الغيوب لما افرد المفعول لم يات بصيغة المبالغة ولما جمعه
اتى بصيغة المبالغة ونظيره قولهم زيد ظالم لعبده وعمرو ظلّام لعبيده فهما في
الظلم سيان وكذا قال تعالى محلقين رؤسكم فشدد لكثرة الفاعلين لا لتكرر
الفعل الثاني ان العذاب من العظيم القدر الكثير العدل لولا سبق الجناية
يكون افحش واقبح من الظلم ممن ليس عظيم القدر كثير العدل فيطلق عليه اسم
الظلّام باعتبار زيادة قبح الفعل منه لا باعتبار تكرره فحاصله ان صيغة المبالغة
تارة تكون باعتبار زيادة ذات الفعل وتارة باعتبار زيادة صفته واصل الظلم

لو وُجد من الله تعالى وتقدس لكان اعظم من الظلم يوجد من عبيده باعتبار
ان يكون وصف القبح ونظيره قوله تعالى وحملها الانسان انه كان ظلومًا جهولا على
ما يأتي بيانه في موضعه ان شاء الله تعالى فان قيل في قوله تعالى وان كذبوك فقد
كُذّب رسلٌ من قبلك من حق الجزاء ان يتعقب الشرط وهذا سابق له
قلنا معناه وان يكذبوك فتأسّ بتكذيب الرسل قبلك وضعا للسبب وهو
تكذيبهم موضع المسبب وهو التأسي بهم فان قيل ما فائدة قوله تعالى ولا تكتمونه
في قوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه والاول
مغنٍ عن الثاني قلنا معناه لتبيننه في الحال ويدومون على ذلك البيان ولا تكتمونه
في المستقبل الثاني ان الضمير الاول للكتاب والثاني لنعت النبي صلى الله عليه وسلم
وذكره فانه قد سبق ذكر النبي صلى الله عليه وسلم قُبيل هذا فان قيل متى بينوا
الكتاب لزم من بيانه بيان صفة النبي صلى الله عليه وسلم وذكره لانه من جملة الكتاب
الذي هو التورية والانجيل فقوله بعد ذلك ولا تكتمونه تكرار قلنا على هذا يكون تأكيدا
فان قيل كيف قال ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته وقال في موضع اخر
يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه ويلزم من هذا ان لا يدخل المومنون النار كما
قالت المعتزلة والخارجية قلنا اخزيته بمعنى اذللته واهنته من الخزي وهو الذل
والهوان وقوله يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه من الخزاية وهي النكال
والفضيحة فكل من يدخل النار يذل وليس كل من يدخلها يُنكّل به وتفضح او المراد
بالاية الاولى ادخال الاقامة والخلود لا ادخال تحلة القسم المدلول عليها بقوله
تعالى وان منكم الا واردها او ادخال التطهير الذي يكون لبعض المومنين بقدر ذنوبهم
وقيل ان قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي كلام تام وقوله والذين امنوا معه كلام مبتدا
غير معطوف على ما قبله فان قيل كيف قال سمعنا مناديا والمسموع نداء المنادي
وقوله لا نفس المنادي قلنا لما قال مناديا ينادي صار تقديره نداء منادي
كما يقال سمعت زيدا يقول كذا اي سمعت قول زيد فان قيل ما فائدة قوله تعالى
ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتكفير السيئات داخل في غفران الذنوب
قلنا الغفران مجرد فضل والتكفير محو السيئات بالحسنات فان قيل ما فائدة

قولهم

قولهم وتوفنا مع الابرار مع انهم لا ينفعهم توفيهم مع الابرار بل النافع لهم كونهم
من الابرار سواء توفيهم معهم او قبلهم او بعدهم قلنا معناه وتوفنا مخصوصين
بصحبتهم معدودين في جملتهم كما يقال اعطاني الامير مع اصحاب الخلع والجوائز
اي جعلني من جملتهم وان تقدم اعطاؤه عنهم او تاخر فان قيل كيف قالوا
واتنا ما وعدتنا على رسلك اي على لسان رسلك دعوه بانجاز الوعد مع
علمهم وقولهم ايضا انك لا تخلف الميعاد قلنا الوعد من الله تعالى على السنة
الرسل للمومنين عامٌّ يحتمل ان يراد به الخصوص كما في اكثر عمومات القران
فسالوا الله تعالى ان يجعلهم من الداخلين في حكم الوعد الثاني انهم سالوا تعجيل
النصر الذي وُعدوا فانه تعالى وعدهم النصر على اعدائهم غير موقت بوقت
خاص فان قيل كيف يجوز ان يغتر الرسول بنعم الذين كفروا حتى نهي
عن الاغترار بقوله تعالى لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد اي تصرفهم فيها
بالتجارات متنعمين قلنا معناه لا يغرنكم ايها المومنون فان رئيس القوم
ومقدمهم يخاطب بشيء والمراد اتباعه وجماعته الثاني انه صلى الله عليه وسلم
كان غير مغترٍّ بحالهم فقيل له ذلك تاكيدا لما كان عليه وتثبيتا على الدوام عليه
كما قيل له فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن من المشركين فلا تطع المكذبين
فان قيل كيف نهي التقلب وهو ليس مما يُنهى قلنا معناه لا تغتر بتقلبهم
فيكون تقلبهم قد غرتك وهذا من تنزيل السبب منزلة المسبب لان تقلبهم لو غره
لاغتر به فمنع السبب وهو غرور تقلبهم اياه ليمتنع المسبب وهو اغتراره
بتقلبهم فان قيل كيف قال لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد ولم يقل
لا يغرنك نعمهم واموالهم والذي يحتمل ان يغتر الرسول عليه السلام والمومنين
النعم والاموال لا التقلب في البلاد قلنا المراد بتقلبهم تصرفهم في التجارات
والتنعم والجد والتلذذ بالاموال والفقير انما يتالم وينكسر قلبه اذا راى
الغني يتقلب في النعمة ويتمتع بها فلذلك ذكر التقلب وقيل معناه لا يغرنك
تقلبهم في المعاصي غير ماخوذين بذنوبهم فان قيل كيف قال اولئك لهم اجرهم
عند ربهم ان الله سريع الحساب وقولهم اجرهم عند ربهم موضع البشارة بالثواب

دام

وسرعة الحساب انما تذكر في موضع التهديد والعقاب قلنا معناه لا تشترون
بايات الله ثمنا قليلا خوفا من حسابه فانه سريع الحساب فهو راجع الى ما قبله نساء
سورة نساء قال قيل قوله وخلق منها زوجها اذا كانت حواء مخلوقة من
ادم ونحن مخلوقون منه ايضا فكون نسبة حواء الى ادم نسبة الولد لانها متفرعة
منه فيكون اختا لا اما قلنا قال بعض المفسرين من لبيان الجنس لا للتبعيض
معناه وخلق من جنسها زوجها كما في قوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم الثاني
وهو الذي عليه الجمهور انها للتبعيض ولكن خلق حواء من ادم لم يكن بطريق التوليد
كخلق الاولاد من الاباء فلا يلزم منه ثبوت حكم البنتية والاختية فيها قال
قيل كيف قال وآتوا اليتامى اموالهم واليتيم لا يعطى ماله حتى يبلغ اتفاقا قلنا
المراد به اذا بلغوا وانما سموا يتامى لقرب عهدهم بالبلوغ باعتبار ما كان
كما تسمى الناقة عشراء بعد الوضع وقد يسمى البالغ يتيما باعتبار ما كان كما يسمى
الحي ميتا والعنب خمرا باعتبار ما يكون قال الله تعالى انك ميت وانهم ميتون وقال
اني اراني اعصر خمرا ومنه قولهم للنبي صلى الله عليه وسلم بعد ما نبأه الله تعالى
يتيم ابي طالب قال قيل اكل مال اليتيم حرام وحده ومع اموال الاوصياء فلم ورد
النهي مخصوصا عن اكله معها بقوله تعالى ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم اي معها قلنا لان
اكل مال اليتيم مع الاستغناء عنه اقبح فلذلك خص بالنهي ولانهم كانوا ياكلونه
مع الاستغناء عنه فجاء النهي على ما وقع منهم قال قيل لما قال مما ترك الوالدان
والاقربون دخل فيه القليل والكثير فما فائدة قوله مما قل منه او كثر قلنا انما
قال ذلك على جهة التاكيد والاعلام ان كل تركة تجب قسمتها لئلا يتهاون بالقليل
من التركات ويحتقر فلا يقسم وينفرد به بعض الورثة قال قيل كيف قال
ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد مع انه لو كان الولد بنتا
فللاب الثلث قلنا الاية وردت لبيان الفرض دون التعصيب وليس للاب
مع البنت بالفرض الا السدس قال قيل كيف قطع عن العاصي بالخلود في
النار بقوله ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها قلنا
المراد به من يعص الله برد احكامه وجحودها وذلك كفر والكافر يستحق الخلود في النار

قال قيل كيف قال حتى يتوفيهن الموت والتوفي والموت بمعنى واحد
فصار كانه قال حتى يميتهن الموت قلنا معناه حتى يتوفيهن ملائكة الموت
الثاني معناه حتى ياخذهن الموت ويستوفي ارواحهن قال قيل كيف قال
انما التوبة على الله ولم يقل انما التوبة على العبد مع ان التوبة واجبة على العبد قلنا
معناه انما قبول التوبة على الله فحذف المضاف الثاني ان معنى التوبة من الله
رجوعه على العبد بالمغفرة والرحمة لان التوبة في اللغة الرجوع قال قيل كيف
قال بجهالة ولو عمله بغير جهالة ثم تاب قبلت توبته قلنا معناه بجهالة بقدر قبح
المعصية وسوء عاقبتها لا بكونها معصية وذنبا وكل عاص جاهل بذلك حال مباشرة
المعصية معناه انه مسلوب كمال العلم به بسبب غلبة الهوى وتزيين الشيطان
قال قيل كيف قال ثم يتوبون من قريب مع انهم لو تابوا بعد الذنب من بعيد
قبلت توبتهم قلنا معناه قبل معاينة سلطان الموت كذا قاله ابن عباس رضي الله
عنه قال قيل كيف قال وآتيتم احداهن قنطارا الاية مع ان حرمة الاخذ ثابتة
وان لم يكن قد اعطاها المهر بل كان في ذمته او في يده قلنا المراد بالايتاء الضمان
والالتزام كما في قوله تعالى اذا سلمتم ما آتيتم اي ما ضمنتم والتزمتم قال قيل كيف قال
اتاخذونه بهتانا واخذ مهر المراة ظلم وليس ببهتان لان البهتان الكذب قلنا
قال ابن عباس وابن قتيبة المراد بالبهتان الظلم وقال الزجاج المراد به الباطل
والمشهور في كتب اللغة ان البهتان ان يقول الانسان على غيره ما لم يفعله والمراد به
ان الرجل كان يرمي امراته بتهمة ليتوصل بذلك الى ان ياخذ منها مهرها ويفارقها
وقيل المراد به انكاره ان لها مهرا في ذمته قال قيل كيف قال الا ما قد سلف
ولا تنكحوا نهي عن الفعل في المستقبل والا ما قد سلف ماض فكيف يصح استثناء
الماضي من المستقبل قلنا ان الا هنا بمعنى بعد كما في قوله تعالى لا يذوقون فيها
الموت الا الموتة الاولى وقيل هو استثناء من محذوف تقديره فانكم تعذبون به
الا ما قد سلف وقيل فيه تقديم وتاخير تقديره انه كان فاحشة الاية الا ما قد
سلف قال قيل كيف قال انه كان فاحشة بلفظ الماضي مع ان نكاح منكوحة
الاب فاحشة في الحال وفي الاستقبال الى يوم القيامة قلنا كان تارة تستعمل للماضي

المنقطع كقولك كان زيد غنيا وكان الخزف طينا وتاره يستعمل للماضي المستمر المتصل
بالحال كقول ابي جُنْدُب الهذلي وكنتُ اذا جاري دَعَا لِمَضُوفَةٍ اُشَمِّرُ حتى
تَنْصُفَ الساقَ مِيْزَرِي اي واتي الآن لانه انما يتمدح بصفة ثابتة له في الحال
لا بصفة زايلة ذاهبة والمَضُوفة بالفاء الامر الذي يشفق منه والقاف تصحيف
ومنه قوله تعالى وكان الله بكل شيء عليما وكان الله على كل شيء قديرا وما اشبه
ذلك وما نحن فيه من هذا القبيل وسياتي تمام الكلام بعد هذا في كان ان شا الله
تعالى في قوله تعالى ان الصلاة كانت على المومنين كتابا موقوتا **قال قيل** كيف
قال وربايبكم اللاتي في حجوركم قيد التحريم بكون الربيبة في حجر زوج امها والحرمة
ثابتة مطلقا وان لم تكن في حجره **قلنا** خرج ذلك مخرج العادة والغالب لا مخرج القيد
والشرط ولهذا اكتفى في موضع الاحلال بنفي الدخول فتامل **قال قيل** لما قال
من نسايكم اللاتي دخلتم بهن ثم قال في اخر الاية واُحِلّ لكم ما وراء ذلكم علم من
مجموع ذلك ان الربيبة لا تحرم اذا لم يدخل بامها فما فايدة قوله فان لم تكونوا دخلتم بهن
فلا جناح عليكم **قلنا** فايدته ان لا تتوهم ان قيد الدخول خرج مخرج العادة والغالب
لا مخرج الشرط كما في قيد الحجر **قال قيل** كيف قال في نكاح الاما فانكحوهن باذن
اهلهن واتوهن اجورهن والمهر ملك المولى وانما يجب تسليمه الى المولى لا الى الامة **قلنا**
لما كانت الامة وما في يدها ملك المولى كان اداوه اليها كادايه الى المولى الثاني ان معناه
واتوا مواليهن اجورهن بطريق حذف المضاف **قال قيل** كيف قال ذلك لمن خشي
العنت منكم وجواز نكاح الامة ثابت من غير خوف العنت عند بعض العلماء **قلنا** فيه
اضمار تقديره ذلك اصوب واصلح لمن خشي العنت (الفجور والزنا) منكم فيكون شرطا لما هو الارشد
والاصلح كما في قوله تعالى فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا **قال قيل** كيف قال يريد الله ليبين لكم
والارادة انما تقترن بان يقال اريد ان تفعل وقال الله تعالى يريد الله ان يخفف عنكم
قلنا قد ورد في الكتاب العزيز اللام بمعنى ان كثيرا قال الله تعالى واُمِرتُ لاعدل
بينكم وقال واُمِرنا لنسلم وقال يريدون ليُطفِئوا نور الله وقال في موضع اخر يريدون
ان يطفِئوا كذلك هذا **قال قيل** كيف خص التجارة بالذكر في قوله تعالى الا ان تكون تجارة
عن تراض منكم مع ان الهبة والصدقة والوصية والضيافة وغيرها يقتضي الحلّ

ايضا كالتجارة **قلنا** انما خصها بالذكر لان معظم تصرف الخلق في الاموال
انما هو بالتجارة او لان اسباب الرزق اكثرها متعلقة بها **قال قيل**
قوله تعالى لو تسوى بهم الارض قالوا معناه انهم يتمنون يوم القيامة ان يجعلوا
ترابا كما جاء في اخر سورة النبا وظاهر اللفظ يعطي انهم يتمنون ان يجعل
الارض مثلهم ناسا كما تقول سويت زيدا بعمرو ومعناه جعلت زيدا وهو المسوى
مثل عمرو وهو المسوّى به **قلنا** سويت هذا بهذا له معنيان احدهما اخراجكم
الثاني على الاول كقولك سويت زيدا بعمرو وكما تقول ساويت والثاني ان يكون
المسوّى مفعولا والمسوّى به الآلة كقولك سويت القلم بالسكين والثوب
بالمقراض بمعنى صلحته به فقوله لو تسوّى بهم الارض يحتمل الوجهين ان يكون
بمعنى ساويت ويكون من المقلوب اي لو يسوّون بالارض لجعلهم ترابا كقوله
تعالى لتنوء بالعصبة وقوله وامسحوا برؤسكم في قول من لم يجعل البا زايدة
وقولهم ادخلت الخاتم في اصبعي ونحوه وان يكون بمعنى الالة معناه ودّوا لو تمهّد بهم
الارض وتوطى بان يجعلوا ترابا وسوافي ووهادها وخفضها التساوي
يفاعها واكامها وقوله تعالى لا ترى فيها عوجا ولا امتا اي لا انخفاضا ولا ارتفاعا
وان كان يدل على ان الارض يوم القيامة متساوية السطوح ان كان قبل البعث
الموتى من قبورهم خلت منهم قبورهم وحفرهم تحصل في الارض تفاوت وان
كان بعد البعث فيجوز ان يكون هذا التمني سابقا على جعلها متساوية السطوح
قال قيل قولنا هذا خير من ذلك يقتضي ان يكون في كل واحد منهما خير حتى يصح
تفضيل احدهما على الاخر لان خيرا في الاصل فعل التفضيل فكيف قال لكان خيرا لهم
واقوم بعد ما سبق من قولهم في الاول الاية **قلنا** المراد بالخير هنا الخير الذي هو ضد الشر
لا الذي هو افعل التفضيل كما تقول في فلان خير **قال قيل** كيف قال وكان امر الله
مفعولا والمفعول مخلوق وامر الله تعالى وقوله غير مخلوق **قلنا** ليس المراد بهذا
الامر ما هو ضد النهي بل المراد به ما يُحدِثه من الحوادث فان الحوادث تسمى ايضا امرًا
ومنه قوله تعالى لعل الله يُحدِث بعد ذلك امرا وقوله اتاها امرنا ليلا او نهارا **قال
قيل** كيف قال ان الله لا يغفر ان يشرك به مع ان شرك الساهي والمكره والتايب

مغفور **فلنا** المراد به شرك غير هولاء المخصوصين من عموم الاية بادلة من
خارج او نقول قيد المشية متعلق بالفعلين المنفي والمثبت كانه قال ان الله
لا يغفر الشرك لمن يشاء ويغفر ما دونه لمن يشاء **فان قيل** هذه الاية تدل
على ان غير الشرك من الذنوب لا يقطع بانتفاء مغفرته بل ترجى مغفرته وقوله تعالى
ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا
يدل على القطع بانتفاء المغفرة في الكفر والظلم وهما غير الشرك فكيف الجمع بينهما **فلنا**
المراد بالظلم ههنا الشرك قاله مقاتل والشرك يسمى ظلما قال الله تعالى ان الشرك لظلم
عظيم وكانه قال ان الذين اشركوا الثاني ان قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء
ليس قطعا بالمغفرة لغير الشرك بل هو تعليق للمغفرة له بالمشية ثم بين بالاية الاخرى
ان الكافر ليس داخلا في من يشاء المغفرة له فتعين دخوله فيمن لا يغفر له لانه
لا واسطة بينهما الثالث انه عام خص بالاية الثانية كما خص قوله تعالى ان الله يغفر
الذنوب جميعا بالاية الاولى ويويد هذا اجماع الامة على ان الكافر والمشرك سواء
في عدم المغفرة والتخليد في النار وقوله تعالى ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين
في نار جهنم خالدين فيها **فان قيل** كيف قال الم تر الى الذين يزكون انفسهم بل الله
يزكي من يشاء ذمهم على ذلك وقال ايضا فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى وقد زكى
النبي صلى الله عليه وسلم نفسه وقال والله اني لامين في السماء امين في الارض
ويوسف عليه السلام قال اجعلني على خزاين الارض اني حفيظ عليم **فلنا** انما قال
ذلك حين قال المنافقون اعدل في القسمة تكذيبا لهم حيث وصفوه بخلاف ما كان
عليه من العدل والامانة واما يوسف عليه السلام فانما قال ذلك ليتوصل به الى
ما هو وظيفة الانبيا وهو اقامة العدل وبسط الحق وامضاء احكام الله تعالى ولانه علم
انه لا احد في ذلك الوقت اقوم منه بذلك العمل فكان متعينا عليه فلذلك طلبه
واثنى على نفسه ومع ذلك كله فانه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رحم الله اخي
يوسف لو لم يقل اجعلني على خزاين الارض لاستعمله من ساعته ولكنه اخر ذلك
سنة **فان قيل** كيف قال الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يومنون بالجبت
والطاغوت الى ان قال اوليك الذين لعنهم الله حصر لعنته فيهم لان هذا الكلام الحصري

وليست لعنة الله منحصرة فيهم بل هي شاملة لجميع الكفار **فلنا** اوليك اشارة
الى القايلين للذين كفروا هولاء اهدى من الذين امنوا سبيلا وهذا القول
موجود من جميع الكفار فكانت اللعنة شاملة للجميع **فان قيل** كيف قال كلما
نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب اخبر انه يعذب
جلودا لم تعص مكان الجلود العاصية وتعذيب البري ظلم **فلنا** الجلود
المجددة وان عذبت فالالم يتعذب بها انما يحصل للقلوب وهي غير مجددة بل
هي العاصية باعتقاد الشرك ونحوه الثاني المراد بتبديلها اعادة النضيج غير
نضيج والجلود هي الجلود بعينها وانما قال غيرها باعتبار صفة النضج وعدمه
كما قال الله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات واراد تبديل الصفات
لا تبديل الذات وكما قال الشاعر وما الناس بالناس الذين عهدتهم
وما الدار بالدار التي كنت اعهد **فان قيل** كيف قال وندخلهم ظلا ظليلا
وليس في الجنة شمس ليكون فيها احد يحتاج بسببه الى ظل ظليل او غير ظليل **فلنا**
هو مجاز عن المستقر المستلذ المستطاب لان بلاد الحجاز شديدة الحر فاطيب
ما عندهم موضع الظل فخاطبهم بما يعقلون ويفهمون كما قال ولهم فيها رزقهم
بكرة وعشيا وليس في الجنة طلوع شمس ولا غروبها ليكون فيها بكرة وعشي لكن
لما كان في عرفهم تمام نعمة الغذا وكمال وظيفته ان يكون حاضرا مهيا في طرفي النهار
عبر عن حضوره وتهيئته بذلك **فان قيل** كيف قال ومن يطع الله والرسول
فاوليك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وهذا مدح لمن يطيع الله والرسول وعادة العرب في صفات المدح الترقي من
الادنى الى الاعلى وهذا عكسه لانه نزول من الوصف الاعلى الى الادنى **فلنا**
هذا ليس من الباب الذي ذكرتموه بل هذا كلام القصد منه الاخبار عن كون
المطيعين لله ورسوله يكونون يوم القيامة مع الاشراف والخواص ثم كان سايلا
سال من الاشراف والخواص ففصل له زيادة في الفايدة بعد تمام المعنى المقصود
بالذكر بقوله تعالى فاوليك مع الذين انعم الله عليهم وبدي في تفصيلهم بذكر الاشرف
فالاشرف والاخص فالاخص اذ هو الغالب في تعديد الاشراف والخواص كما في قوله

وهي بكل الارض يحسبها الا انا وعليها لدن
اكثر حجاها واشارها واشجارها

تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم وقوله شهد
الله انه لا اله الا هو الاية والدليل على ان المراد من الآية الاخبار جملةً لا تفصيلا
انه لما علم عبادَه ان يسالوه هذا المعنى ارشدهم الى طلبه مجملاً بقوله اهدنا
الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم **فان قيل** كيف قال ان كيدَ
الشيطان كان ضعيفا وقال فى حق النساءِ ان كيدكنّ عظيم ومعلوم ان كيدَ
الشيطان اعظم من كيدِ النسوان **قلنا** المراد ان كيد الشيطان ضعيف فى
جنبِ نُصرةِ الله تعالى وحفظِه لاوليائه والمخلصين من عبادِه كما قال ان
عبادى ليس لك عليهم سلطان وقال حكاية عن ابليس الا عبادك منهم المخلصين
والمراد بالاية الاخرى ان كيدَ النسوان عظيم بالنسبة الى الرجال الثانى ان القايل
ان كيدكن عظيم هو عزيز مصر لا الله تعالى فلا تنافض ولا معارضة **فان قيل**
كيف عاب على المشركين والمنافقين قولهم وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند
الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك وردّ عليهم ذلك بقوله قل كل من
عند الله ثم قال بعد ذلك ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن
نفسك اخبره بعينِ قولهم المردود عليهم **قلنا** قيل ان الثانى حكاية قولهم ايضا
وفيه اضمار تقديره فما لهؤلاءِ القوم لا يكادون يفقهون حديثا يقولون ما
اصابك الاية وقيل معناه ما اصابك ايها الانسان من حسنةٍ اى رخاءٍ ونعمةٍ
فمن فضل الله وما اصابك من سيئةٍ اى قحطٍ وشدةٍ فبشوم فعلك ومعصيتك
لا بشوم محمد كما زعم المشركون ويؤيده قوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت
ايديكم ويعفو عن كثير **فان قيل** كيف يقال ان الشر والمعصية بارادة
الله تعالى والله تعالى يقول وما اصابك من سيئة فمن نفسك **قلنا** ليس
المراد بالحسنة والسيئة الطاعة والمعصية بل القحط والرخاء والنصر والهزيمة
على ما اختلف فيه العلماء الا ترى انه قال ما اصابك ولم يقل ما عملت من حسنة
وما عملت من سيئة **فان قيل** قوله تعالى افلا يتدبرون القران ولو كان من عند
غير الله لوجد فيه اختلافا كثيرا السوال فيه من وجهين احدهما انه يدل من حيث
المفهوم على ان فى القران اختلافا قليلا والا لما كان للتقييد بوصف الكثرة فايدة الثانى

انه انما يدل على عدم الاختلاف الكثير فى القرآن على انه من عند الله ان لو كان
كل كتاب من عند غير الله فيه اختلاف كثير وليس الواقع كذلك لان المراد
بالاختلاف اما الكذب او التناقض او التفاوت بين بعضه وبعضه فى
الجزالةِ والبلاغةِ والحكمة وكثرة الفايدة **قلنا** الجواب عن السوال الاول ان
التقييد بوصف الكثرة للمبالغة فى اثبات الملازمة وكانه قال لو كان من عند
غير الله لوجد فيه اختلافا كثيرا فضلا عن القليل وليس فيه اختلاف
كثير ولا قليل فكيف يكون من عند غير الله هذا هو المقصود من التقييد
بوصف الكثرة لان القران مشتمل على اختلاف قليل وعن السوال الثانى ان كل
كتاب فى فن من العلوم اذا كان من عند غير الله يوجد فيه اختلاف ما باحد
التفاسير المذكورة لا محالة نعرف ذلك بالاستقراء والقران جامع لفنون من
علوم شتى فلو كان من عند غير الله لوجد فيه بالنسبة الى كل فن اختلاف ما
فيصير مجموع الاختلاف اختلافا كثيرا **فان قيل** كيف قال ولولا فضل الله عليكم
ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا استثنى القليلَ على تقدير انتفاء الفضل
والرحمةِ مع انه لولا فضله بالهداية والعصمة ورحمتُه لاتبع الكل الشيطانَ
من غير استثناء **قلنا** الاستثناء راجع الى ما تقدم تقديره اذاعوا به الا قليلا
وقيل لعلمه الذين يستنبطونه منهم الا قليلا وقيل معناه ولولا فضل الله عليكم
بارسال الرسول لاتبعتم الشيطان فى الكفر والضلالِ الا قليلا منكم كانوا يهتدون
بعقولهم الى معرفة الله تعالى وتوحيده كما فعل قُسُّ بن ساعدة ونحوه قبل بعث
النبى صلى الله عليه وسلم **فان قيل** على الجواب الاخير اذا كان المراد من لوازم
نفى الفضل والرحمة بالطريق الخاص وهو الرسول اتباع الشيطان ونفى الفضل
والرحمة بالطريق الخاص معدوم فى حق الرسول لانه لم يُرسل اليه رسول ومع هذا لم يتبع
الشيطان **قلنا** لا نسلم انه لم يرسل اليه رسول بل ارسل اليه الملك وانه رسول
الثانى ان التقييد فى الفضل والرحمة بتعيين الطريق يكون فى حق الامة اما فى حق الرسول
ومن آمن بغير رسول يكون اللفظ باقيا على ظاهره **فان قيل** هذه الاية يقتضى
وجود فضله ورحمته المانع من اتباع اكثرِ الناس الشيطانَ مع ان الواقع خلافه فان الكثر

الناس كفرة يويده قوله صلى الله عليه وسلم الاسلام في الكفر كالشعر البيضاء في
الثور الاسود قلنا الخطاب في هذه الاية للمومنين لا لكل الناس فان قيل
اذا كان الخطاب خاصا للمومنين فما معنى الاستثناء فانه ان كان المراد به اتباعه
فيما يدعو اليه ويوسوس من المعاصي فاكثر المومنين متبعون له في ذلك ولو في العمر
مرة واحدة في بعض الكباير وان كان المراد به اتباعه في دعايه الى الكفر فاحد من
المومنين لم يتبعه في الكفر قلنا معناه ولولا فضل الله عليكم ايها المومنون ورحمته
بالهداية بالرسول لاتبعتم الشيطان في الكفر وعبادة الاصنام وغيره ذلك الا قليلا
منكم كقس بن ساعدة وورقة بن نوفل ونحوهما فانهم لولا الفضل والرحمة بالرسالة
لما اتبعوا الشيطان لفضل ورحمة خصهم الله تعالى بها غير ارسال الرسول وهو
زيادة الهداية ونور البصيرة فان قيل كيف قال ومن اصدق من الله حديثا
مع انه لا تفاوت بين صدق وصدق في كونه صدقا كما في القول والعلم لا يقال هذا
القول اقول ولا هذا العلم اعلم ولا هذا الصدق اصدق لان الصدق عبارة عن الاخبار
المطابق للواقع ومتى ثبت انه مطابق للواقع لا يحتمل الزيادة والنقصان قلنا اصدق
هنا صفة للقايل لا صفة للقول والقايلان يتفاوتان في الصدق في بعض الاموال
تساويا في قضية واحدة اخبرا بها وكان كل واحد منهما صادقا فيها وحاصله ان هذا
استفهام معناه النفي كما في قوله تعالى ومن يغفر الذنوب الا الله اي لا احد يغفرها
الا الله فمعناه هنا لا احد اصدق في حديثه من الله فيكون ترجيحا للمحدث على المحدث
في الصدق لا ترجيحا لاحد الصدقين على الاخر ولا شك انه لا احد اصدق في حديثه من الله
لان غيره يجوز عليه غير الصدق عقلا ويقع منه ايضا ولو نادرا والله تعالى منزه
عن الامرين جميعا فان قيل قوله تعالى كلما ردوا الى الفتنة اركسوا فيها وهو تكرار
قلنا جوابه ان الفاعل مختلف فانتفى التكرار وصار المعنى كلما دعاهم قومهم الى الشرك
ردهم الله اليه وقلبهم بشوم نفاقهم فالرد الاول بمعنى الدعاء والركس بمعنى الرد
والنكس فان قيل كيف قال وما كان لمومن ان يقتل مومنا الا خطأ مع انه
ليس له ان يقتله خطأ قلنا الا بمعنى ولا كما في قوله تعالى اني لا يخاف لدي المرسلون
الا من ظلم وقوله تعالى لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم الثاني معناه انه

اركسوا فيها اركسه
واركسه اي رده فيصير
معناه كلما ردوا الى
الفتنة صح

ليس له ان يقتله مع تيقن ايمانه بل له ان يقتله اذا غلب على ظنه انه ليس
بمومن وهو في صف المشركين وان كان في نفس الامر مومنا فان قيل
كيف يقال ان اهل الكباير من المومنين لا يخلدون في النار والله تعالى يقول
ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاوه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له
عذابا عظيما قلنا معناه متعمدا قتله بسبب ايمانه والذي يفعل ذلك يكون كافرا
الثاني ان المراد بالخلود طول المكث لان الخلود اذا لم يوكد بالابد يطلق على طول المكث
كما يقال خلد السلطان فلانا في الحبس اذا اطال حبسه فان قيل كيف قال وفضل الله
المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة ثم قال وفضل الله المجاهدين على
القاعدين اجرا عظيما درجات منه قلنا المراد بالاول التفضيل على القاعدين
عن الغزاة بعذر فان لهم فضلا لكونهم مع الغزاة بالهمة والعزيمة والقصد
الصالح ولهذا قال وكلا وعد الله الحسنى يعني الجنة اي كلا من المجاهدين والقاعدين بعذر
والمراد بالثاني التفضيل على القاعدين عن الغزاة بغير عذر ولكن لا فضل لهم بل هم
مقصرون مسيئون فظهر فضل الغزاة عليهم بدرجات لانتفاء الفضل لهم فان
قيل كيف صح قولهم كنا مستضعفين في الارض جوابا لقول الملايكة فيم كنتم والجواب
المطابق ان يقولوا كنا في كذا ولم نكن في شيء قلنا معنى فيم كنتم التوبيخ بانهم لم يكونوا
في شيء من الدين حيث قدروا على المهاجرة ولم يهاجروا فصار قوله فيم كنتم مجازا عن قوله
لم تركتم الهجرة فقالوا كنا مستضعفين في الارض اعتذارا عما وبخوا به تعللا فردت
عليهم الملايكة ذلك بقولهم الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها يعني انكم ان كنتم عاجزين
عن الهجرة الى المدينة لبعدها عنكم كنتم قادرين على الخروج من مكة الى بعض البلاد القريبة
منكم التي تقدرون فيها على اظهار دين الاسلام فان قيل كيف قال فقد وقع اجره
على الله اي وجب والعبد لا يستحق على مولاه اجرا لانه ليس باجير له انما هو عبد قن
قلنا معناه وجب من جهة انه وعد عليه انه لا يضيع اجر من احسن عملا والخلف في
وعده عز وجل محال فالوجوب من هذه الجهة مع ان ذلك الوعد ابتداء فضل منه فان قيل
كيف شرط في اباحة القصر للمسافر خوف العدو بقوله واذا ضربتم في الارض الاية والقصر
جايز مع امن المسافر قلنا خرج ذلك مخرج الغالب لا مخرج الشرط وغالب اسفار رسول الله

صلى الله عليه وسلم واصحابه رضوان الله عليهم لم يخلُ من خوف العدو فصار نظير
قوله تعالى فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا الثاني ان الكلام قد تم عند قوله ان تقصروا من
الصلوة وقوله ان خفتم كلام مستانف وجوابه محذوف تقديره فاحتاطوا وتاهبوا الثالث
ان المراد به القصر من شروطها واركانها حالة اشتداد الخوف بترك الركوع والسجود
والنزول عن الدابة واستقبال القبلة ونحو ذلك لا من عدد الركعات وذلك القصر مشروط
بالخوف فان قيل كيف قال ان الصلوة كانت على المومنين كتابا موقوتا وكان لفظ دال
على المضي والصلوة في الحال والى يوم القيامة ايضا على المومنين فرض موقت قلنا كان في
القران العزيز على خمسة اوجه كان بمعنى الازل والابد كما في قوله تعالى وكان الله عليما
حكيما وكان بمعنى المضي كما في قوله تعالى وكان في المدينة تسعة رهط وهو الاصل في معاني كان
كما تقول كان زيد صالحا او فقيرا او مريضا ونحو ذلك وكان بمعنى الحال كما في قوله تعالى كنتم خير
امة وقوله وكان الله بما تعملون بصيرا وقوله ان الصلوة كانت على المومنين كتابا موقوتا
وكان بمعنى الاستقبال كما في قوله تعالى ويخافون يوما كان شره مستطيرا وكان بمعنى صار
كما في قوله تعالى وكان من الكافرين فان قيل كيف قال وترجون من الله ما لا يرجون والكافرون
ايضا يرجون الثواب في مجازية المومنين لانهم يعتقدون ان دينهم حق وانهم ينصرون دين الله
ويذبون عنه ويقاتلون اعداءه كما يعتقد المومنون فالرجاء مشترك قلنا قيل ان الرجاء
هنا بمعنى الخوف كما في قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا وقوله تعالى قل للذين امنوا يغفروا
للذين لا يرجون ايام الله وقول الشاعر اذا لسعته النحل لم يرج لسعها
وعلى قول من قال انه بمعنى الامل نقول قد بشر الله المومنين في القران ووعدهم
باظهار دينهم على الدين كله ومثل هذه البشارة والوعد لم يوجد في ساير الكتب فافترقا
وقيل الرجاء ما يكون مستندا الى سبب صحيح ومقدمات حقيقية والطمع ما يكون مستندا
الى خلاف ذلك فالرجاء للمومنين واما الكافرون فلهم طمع لا رجاء فان قيل ما فايدة
قوله او يظلم نفسه بعد قوله ومن يعمل سوءا وظلم النفس من عمل السوء فهلا اقتصر على
الاول لان الثاني داخل فيه قلنا او بمعنى الواو ومعناه ويظلم نفسه بذلك السوء
حيث دساها بالمعصية وقيل المراد بعمل السوء ما دون الشرك وبظلم النفس
الشرك وقيل المراد بعمل السوء الذنب المتعدي ضرره الى الغير وبظلم النفس

الذنب المقتصر ضرره على فاعله فان قيل قوله تعالى ولولا فضل
الله عليك ورحمته لهمت طايفة منهم ان يضلوك ظاهره ينفي وجود الهم
منهم باضلاله والمنقول في التفاسير انهم هموا باضلاله وزادوا على الهم
الذي هو القصد القول المضل ايضا يعرف ذلك من تفسير اول القصة
وهو قوله تعالى انا انزلنا عليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله
ولا تكن للخاينين خصيما واستغفر الله قلنا قوله لهمت ليس جواب لو
بل هو كلام مقدم على لو وجوابها في التقدير مقول على طريق القسم وجواب
لو محذوف تقديره لقد همت طايفة منهم ان يضلوك ولولا فضل الله عليك
ورحمته لاضلوك فان قيل النجوى فعل ومن اسم فكيف صح استثناء الاسم من
الفعل في قوله تعالى لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة قلنا فيه اضمار تقديره
الا نجوى من امر بصدقة فيكون استثناء الفعل من الفعل ونظيره قوله تعالى ولكن
البر من امن بالله تقديره بر من امن بالله فان قيل كيف قال الا من امر
ثم قال ومن يفعل ذلك قلنا ذكر الامر بالخير ليدل به على خيرية الفاعل له بالطريق
الاولى ثم ذكر الفاعل ووعده الاجر العظيم اظهارا لفضل الفاعل المؤتمر على الامر
الثاني انه اراد ان يامر بذلك فعبر عن الامر بالفعل كما يعبر به عن ساير انواع الفعل
واذا كان الامر موعودا بالاجر العظيم كان الفاعل موعودا به بالطريق الاولى فان
قيل كيف قال ان يدعون من دونه الا اناثا اي ما يعبدون من دون الله الا اللات
والعزى ومناة ونحوها وهي مونثة ثم قال وان يدعون الا شيطانا مريدا اي ما يعبدون
الا الشيطان قلنا معناه ان عبادتهم للاصنام هي في الحقيقة عبادة للشيطان اما لانهم
اطاعوا الشيطان فيما سول لهم وزين من عبادة الاصنام بالاغواء والاضلال او لان
الشيطان موكل بالاصنام يدعو الكفار الى عبادتها ويتزيا للسدنة فيكلمهم
ليضلهم فان قيل كيف يقال ان العبد يحكم بكونه من اهل الجنة بمجرد الايمان والله تعالى
شرط لذلك العمل الصالح بظاهر قوله والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات
تجري من تحتها الانهار ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مومن والا لما كان
للتقييد فايدة قلنا قيل ان المراد بالعمل الصالح الاخلاص في الايمان وقيل الثبات عليه

الى الموت وكلاهما شرط فى كون الايمان سببا لدخول الجنة فان قيل كيف قال
من يعمل سوءا يجز به والتايب المقبول التوبة غير مجزى بعمله وكذلك من عمل سيئة
ثم اتبعها حسنة لانها مذهبة لها وماحية بنص القران قلنا المراد من يعمل سوءا ويموت
مصرا عليه الثانى ان المومن يجازى فى الدنيا بما يصيبه فيها من المرض وانواع المصائب
والمحن كما جاء فى الحديث والكافر يجازى فى الاخرة فان قيل كيف خص المومنين
الصالحين بانهم لا يظلمون بقوله ومن يعمل من الصالحات الاية مع ان غيرهم لا يظلم
ايضا قلنا ولا يظلمون نقيرا راجع الى الفريقين عمال السوء وعمال الصالحات لسبق
ذكر الفريقين الثانى ان يكون من باب الايجاز والاختصار واكتفى بذكره عقيب الجملة
الاخيرة عند ذكر احد الفريقين لدلالته على اضماره عقيب ذكر الفريق الاخر فلا يظلم
المومنون بنقصان ثواب اعمالهم ولا الكافرون بزيادة عقاب ذنوبهم الثالث ان المراد
بالظلم المنفى نقصان ثواب الطاعات وهذا مخصوص بالمومنين لان الكافرين ليس لهم
على اعمالهم ثواب ينقص منه فان قيل طلب الايمان من المومن تحصيل الحاصل فكيف قال
تعالى يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ورسوله الاية قلنا معناه يا ايها الذين امنوا بعيسى
امنوا بالله ورسوله محمد وقيل معناه يا ايها الذين امنوا يوم الميثاق امنوا الآن وقيل
معناه يا ايها الذين امنوا علانية امنوا سرا فان قيل قوله تعالى الذين يتربصون
بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب لم سمى ظفر
المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا قلنا تعظيما لشان المسلمين وتحقيرا لحظ الكافرين
لان ظفر المسلمين امر عظيم لانه متضمن نصرة دين الله وعزة اهله تفتح له ابواب
السماء حتى تنزل على اولياء الله وظفر الكافرين ليس الا حظا دنيا وعرضا من متاع
الدنيا يصيبونه وليس يتضمن شيئا مما ذكرنا فان قيل كيف قال ولن يجعل الله
للكافرين على المومنين سبيلا وقد نصر الكافرين على المومنين فى يوم احد وفى غيره ايضا
الى يومنا هذا قلنا المراد به السبيل بالحجة والبرهان والمومنون غالبون بالحجة دايما
فان قيل كيف كان المنافق اشد عذابا من الكافر حتى قال الله تعالى فى حقهم ان المنافقين
فى الدرك الاسفل من النار مع ان المنافق احسن حالا من الكافر بدليل انه معصوم الدم
وغير محكوم عليه بالكفر ولهذا قال الله تعالى فى حقهم مذبذبين بين ذلك لا الى هولاء

ولا الى هولاء فلم يجعلهم مومنين ولا كافرين قلنا المنافق وان كان فى الظاهر احسن
حالا من الكافر الا انه عند الله تعالى وفى الاخرة اسوء حالا منه لانه شاركه فى الكفر
وزاد عليه الاستهزاء بالاسلام واهله والمخادعة لله تعالى وللمومنين فان قيل
الجهر بالسوء غير محبوب لله تعالى اصلا بل المحبوب عنده العفو والصفح والتجاوز
فكيف قال لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم اى الا جهر من ظلم قلنا
معناه ولا جهر من ظلم فالا بمعنى ولا وقد سبق نظيره وشاهده فى قوله تعالى
وما كان لمومن ان يقتل مومنا الا خطأ فان قيل كيف جاز دخول بين على احد
فى قوله تعالى ولم يفرقوا بين احد منهم وبين يقتضى اثنين فصاعدا يقال فرقت بين زيد
وعمرو وبين القوم ولا يقال بين زيد قلنا قد سبق هذا السوال وجوابه فى قوله تعالى
عوان بين ذلك وفى اخر سورة البقرة ايضا فان قيل ما فايدة اعادة الكفر فى الاية الثانية
بقوله تعالى وبكفرهم بعد قوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بايات الله الاية قلنا
لانه قد تكرر الكفر منهم فانهم كفروا بموسى وعيسى ثم محمد فعطف بعض كفرهم على بعض
فان قيل اليهود كانوا كافرين بعيسى يسمونه الساحر بن الساحرة والفاعل
ابن الفاعلة فكيف اقروا انه رسول الله بقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم
رسول الله قلنا قالوه على طريق الاستهزاء كما قال فرعون ان رسولكم الذى ارسل اليكم
لمجنون فان قيل كيف وصفهم بالشك بقوله وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه
ثم وصفهم بالظن بقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن والشك تساوى الطرفين
والظن رجحان احدهما فكيف يكونون شاكين ظانين وكيف استثنى الظن من العلم
وليس الظن فردا من افراد العلم بل هو قسيمه قلنا استعمل الظن بمعنى الشك مجازا
لما بينهما من المشابهة فى انتفاء الجزم واما استثناء الظن من العلم فهو استثناء من غير
الجنس كما فى قوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما وما اشبهه فان قيل كيف يكون
للناس على الله حجة قبل الرسل وهم محجوجون بما نصبه لهم من الادلة العقلية الموصلة
الى معرفته حتى قال لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل قلنا الرسل والكتب
منبهة من الغفلة وباعثة على النظر فى ادلة العقل ومفصلة لمجمل الدين واحوال التكليف
التى لا يستقل العقل بمعرفتها فكان ارسالهم ازاحة للعلة وتتميما لالزام الحجة

لئلا تقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فيوقظنا من سِنة الغفلة وينبهنا
لما وجب الانتباه له **فان قيل** كيف قال انزله بعلمه ولم يقل انزله بقدرته
او بعلمه وقدرته مع ان الله تعالى لا يفعل الا عن علم وقدرة **قلنا** معناه انزله
وفيه علمه اى معلومه او معلمه من الشرايع والاحكام وقيل معناه انزله عليك
بعلم منه انك اولى بانزاله عليك ما ساير خلقه **فان قيل** كلام الله تعالى
صفة قديمة قايمة بذاته وعيسى عليه السلام مخلوق حادث فكيف صح اطلاق
الكلمة عليه في قوله تعالى رسول الله وكلمته **قلنا** معناه ان وجوده في بطن امه كان
بكلمة الله تعالى وهي قوله كن من غير واسطة اب بخلاف غيره من البشر وقيل
المراد بالكلمة الحجة **فان قيل** على الوجه الاول لو كان صحة اطلاق الكلمة على عيسى عليه
السلام لهذا المعنى لصح اطلاقها على ادم عليه السلام لان هذا المعنى فيه اتم واكمل
لانه وجد بهذه الكلمة من غير واسطة اب ولا ام ايضا **قلنا** لا نسلم انه لا يصح اطلاقها
عليه بهذا المعنى بل يصح **فان قيل** لو صح اطلاقها عليه لجاء به القران كما جاء به في حق
عيسى عليه السلام **قلنا** المجابة لان المجي به في حق عيسى عليه السلام انما كان للرد
على من افترى عليه وعلى امه ونسبه الى اب ولم يوجد هذا المعنى في حق ادم عليه السلام مائدة
لاتفاق الناس كلهم على انه غير مضاف الى اب ولا الى ام **سورة مائدة** **فان قيل**
كيف وجه الارتباط والمناسبة بين قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود وقوله
أحلت لكم بهيمة الانعام **قلنا** المراد بالعقود عهود الله تعالى عليهم في تحليل حلاله
وتحريم حرامه فبدأ بالجمل ثم اتبعه بالمفصل من قوله احلت لكم بهيمة الانعام
وقوله بعده حرمت عليكم الميتة الاية **فان قيل** ما اكل السبع عدم وتعذر اكله
فكيف يحسن فيه التحريم حتى قال وما اكل السبع **قلنا** معناه وما اكل منه السبع يعني
الباقي بعد اكله **فان قيل** قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت
لكم الاسلام دينا يدل من حيث المفهوم عرفا على انه لم يرض لهم بالاسلام دينا قبل ذلك
اليوم وليس كذلك فان الاسلام لم يزل دينا مرضيا للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
عند الله تعالى منذ ارسله عليه السلام **قلنا** قوله اليوم ظرف للجملتين الاولتين لا للجملة
الثالثة لان الواو الاولى للعطف والثانية للابتداء فالجملة الثالثة مطلقة غير موقتة

فان قيل قوله تعالى يسالونك ماذا أحل لهم قل احل لكم الطيبات كيف صلح
جوابا لسؤالهم والطيبات غير معلومة ولا متفق عليها لانها تختلف باختلاف
الطباع والبقاع **قلنا** المراد بالطيبات هنا الذبايح والعرب تسمي الذبيحة
طيبا وتسمي الميتة خبيثا فصار المراد معلوما لكنه عام مخصوص كغيره من العمومات
فان قيل ما فايدة قوله مكلبين بعد قوله وما علمتم من الجوارح والمكلب هو معلم كلاب
الصيد **قلنا** قد جاء في تفسير المكلب ايضا انه المغري للجارح والمغري له فعلى هذا
لا يكون ذلك تكرارا وعلى القول الاول نقول انما عمم ثم خصص فقال مكلبين بعد قوله
وما علمتم من الجوارح لان غالب صيدهم كان بالكلاب فاخرجه مخرج الغالب الواقع منهم
فان قيل ظاهر قوله تعالى وما علمتم من الجوارح مكلبين يقتضي اباحة الجوارح المعلمة
وهي حرام **قلنا** فيه اضمار تقديره وصيد ما علمتم من الجوارح ويؤيده ما في تمام الكلام
من قوله فكلوا مما امسكن عليكم **فان قيل** المؤمن به هو الله تعالى لقوله قولوا امنا
بالله فالمكفور به يكون هو الله ايضا ويؤيده قوله تعالى كيف تكفرون بالله واذا ثبت
هذا فكيف قال ومن يكفر بالايمان مع انه لا يصح ان يقال آمن بالايمان فكذلك ضده
قيل المراد به ومن يرتد عن الايمان يقال كفر فلان بالاسلام اذا ارتد عنه فكفر
بمعنى ارتد لان الردة نوع من الكفر والباء بمعنى عن كما في قوله تعالى سال سايل بعذاب
واقع وقوله تعالى فاسئل به خبيرا وقيل المراد هنا بالايمان المؤمن به تسمية للمفعول
بالمصدر كما في قوله تعالى احل لكم صيد البحر اى مصيده وقولهم ضرب الامير ونسج
اليمن **فان قيل** كيف قال وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر
عظيم ولم يقل وعملوا السيئات مع ان الغفران يكون لفاعل السيئات لا لفاعل الحسنات
قلنا كل احد لا يخلو عن سيئة صغيرة او كبيرة وان كان ممن يعمل الصالحات وهي
الطاعات فالمعنى ان من آمن وعمل الحسنات غفرت له سيئاته كما قال تعالى ان الحسنات
يذهبن السيئات **فان قيل** كيف قال في اخر قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل
الاية فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل مع ان الذي كفر قبل ذلك ايضا فقد
ضل سواء السبيل **قلنا** نعم ولكن الضلال بعد ما ذكر من النعم اقبح لان قبح الكفر بقدر
عظم النعمة المكفورة فلذلك خصه بالذكر **فان قيل** كيف قال ومن الذين قالوا انا نصارى

ولم يقل ومن النصارى **قلنا** لان هولاء كانوا كاذبين في دعواهم انهم نصارى
وذلك انهم انما سموا انفسهم نصارى ادعاء لنصرة الله تعالى وهم الذين قالوا
لعيسى نحن انصار الله ثم اختلفوا بعده نسطورية ويعقوبية وملكانية انصارا
للشيطان فقال ذلك توبيخا لهم **فان قيل** كيف قال قل يا اهل الكتاب قد جاءكم
رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير مما كتمتموه من
الكتاب فلا يظهره ولا يبين كتمانكم اياه فكيف يجوز للنبي صلى الله عليه وسلم ان يمسك
عن اظهار حق كتموه مما في كتابهم **قلنا** انما لم يبين البعض لانه كان يتبع الامر ولا يفعل
شيئا من الامور الدينية من تلقاء نفسه بل اتباعا للوحي فما امر ببيانه بينه
وما لم يومر ببيانه امسك عنه الى وقت امره ببيانه وعلى هذا الجواب يكون
لفظ العفو مجازا عن الترك فيكون قد اعلمه الله تعالى به واطلعه عليه ولم يامره
ببيانه لهم الثاني ان ما كان في بيانه اظهار حكم شرعي كصفته ونعته والبشارة به
واية الرجم ونحوها بينه وما لم يكن في بيانه حكم شرعي ولكن فيه افتضاحهم وهتك
استارهم فانه عفى عنه الثالث ان عقد الذمة اقتضى تقريرهم على ما بدلوا وغيروا
من دينهم الا ما كان في اظهاره معجزة له وتصديق لنبوته من صفته ونعته او ما اختلفوا
فيه فيما بينهم وتحاكموا اليه فيه كحكم الزنا ونحوه **فان قيل** كيف قال قد جاءكم من الله
نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه مع ان العبد ما لم يهده الله اولا لا يتبع
رضوانه فيلزم الدور **قلنا** فيه اضمار تقديره يهدي به الله من يريد ان يتبع رضوانه
كما قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا اي والذين ارادوا سبيل المجاهدة فينا
لنهدينهم سبل مجاهدتنا **فان قيل** لم نر ولم نسمع ان قوما من اليهود والنصارى قالوا
نحن ابناء الله فكيف اخبر الله تعالى عنهم بذلك **قلنا** المراد بقولهم ابناء الله خاصة الله
كما يقال ابناء الدنيا وابناء الاخرة وقيل فيه اضمار تقديره ابناء انبياء الله **فان قيل**
كيف يصح الاحتجاج عليهم بقوله تعالى قل فلم يعذبكم بذنوبكم مع انهم ينكرون تعذيبهم بذنوبهم
ويدعون ان ما يذنبون بالنهار يغفر بالليل وما يذنبون بالليل يغفر بالنهار **قلنا** هم
كانوا مقرين انه يعذبهم اربعين يوما وهي مدة عبادتهم العجل في غيبة موسى عليه السلام
لميقات ربه ولذلك قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة وقيل المراد به الجزاء الذي اوقعه

ببعضهم

ببعضهم في الدنيا من مسخهم قردة كما فعل باصحاب السبت وخسف الارض بهم
كما فعل بقارون وهذا لا ينكرونه وعلى هذا الوجه يكون المضارع بمعنى الماضي
في قوله فلم يعذبكم والاضافة اليهم بمعنى الاضافة الى ابائهم كانه قال فلم عذب اباءكم
فان قيل قوله تعالى بل انتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ان اريد به
يغفر لمن يشاء منكم ايها اليهود والنصارى ويعذب من يشاء يلزم جواز المغفرة
لهم وانه غير جائز لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به وان اريد به يغفر
لمن يشاء من المومنين ويعذب من يشاء لا يصلح جوابا لقولهم **قلنا** المراد به يغفر
لمن يشاء منهم اذا تاب من الكفر وقيل يغفر لمن يشاء ممن خلق وهم المومنون
ويعذب من يشاء وهم المشركون **فان قيل** كيف قال يا قوم اذكروا نعمة الله
عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا ولم يكن قوم موسى عليه السلام ملوكا **قلنا**
المراد وجعل فيكم ملوكا وهم ملوك بني اسرائيل اثنا عشر ملكا لاثني عشر سبطا
لكل سبط ملك وقيل المراد به انه رزقهم المنازل الواسعة التي فيها المياه الجارية وقيل
المراد به انه رزقهم الصحة والكفاية والزوجة والموافقة والخادم والبيت فسماهم
ملوكا لذلك **فان قيل** من اين علم الرجلان انهم غالبون حتى قالا فاذا دخلتموه فانكم
غالبون **قلنا** من جهة وثوقهم باخبار موسى عليه السلام بذلك بقوله ادخلوا الارض المقدسة
التي كتب الله لكم وقيل علما ذلك بغلبة الظن وما عهداه من صنع الله تعالى لموسى عليه السلام
في قهر اعدائه **فان قيل** قوله تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مومنين يدل على ان من
لم يتوكل على الله لا يكون مومنا والاصل التعليق والشرط **قلنا** ان هاهنا بمعنى اذ
فيكون بمعنى التعليل كما في قوله تعالى وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مومنين **فان قيل**
كيف التوفيق بين قوله تعالى ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم وبين قوله فانها
محرمة عليهم **قلنا** معناه كتبها لكم بشرط ان تجاهدوا اهلها فلما ابوا الجهاد قيل فانها
محرمة عليهم الثاني ان كل واحد منهما عام اريد به الخاص فالكتابة للبعض وهم المطيعون
والتحريم على البعض وهم العاصون الثالث ان التحريم موقت باربعين سنة والكتابة
غير موقتة فيكون المعنى ان بعد مضي الاربعين تكون لهم وهذا الجواب تام على قول
من نصب الاربعين بمحرمة وجعلها ظرفا لها فاما من جعل الاربعين ظرفا لقوله

يتيهون مقدما عليه فانه جعل التحريم مؤبدا نظرا الى قوله هذا الجواب لان التقدير
عنده فانها محرمة عليهم ابدا يتيهون في الارض اربعين سنة وهو موضع اختلف
فيه المفسرون والفراء من جملة من جوز نصب الاربعين بمحرمة وبيتيهون
والزجاج من جملة من منع جواز نصبه بمحرمة ونقل ان التحريم كان مؤبدا وانهم
لم يدخلوها بعد الاربعين ونقل غيره انه دخلها بعد الاربعين من بقي منهم
وذرية من مات منهم ويعضد الوجه الاول كون الغالب في الاستعمال تقدم الفعل
على الظرف الذي هو علة لا تاخره عنه يقال سافر زيد اربعين يوما واقام اربعين
يوما وما اشبه ذلك وقلما يقال على العكس **فان قيل** كيف قال اذ قربا قربانا
ولم يقل قربانين والذي قرباه كان قربانين لان كل واحد منهما قرب قربانا
قلنا اراد به الجنس فعبر عنه بلفظ الفرد كقوله تعالى والملك على ارجائها الثاني
ان العرب تطلق الواحد وتريد الاثنين وعليه جاء قوله تعالى عن اليمين وعن الشمال
قعيد وقال الشاعر فاني وقيار بها لغريب **فان قيل** كيف صح قوله تعالى
انما يتقبل الله من المتقين جوابا لقوله لاقتلنك **قلنا** لما كان الحسد لاخيه على تقبل
قربانه هو الذي حمله على توعده بالقتل قال له ذلك كناية عن حقيقة الجواب وتعريضا
معناه انما اوتيت من قبلك لانسلاخها من لباس التقوى لا من قبلي فلم تقتلني
فان قيل كيف قال هابيل لقابيل اني اريد ان تبوء باثمي واثمك اي تنصرف بهما
مع ان ارادة السوء والوقوع في المعصية لاجنبي حرام فكيف للاخ **قلنا** فيه اضمار
حرف النفي تقديره اني اريد ان لا تبوء باثمي واثمك كما في قوله تعالى والقى في الارض رواسي
ان تميد بكم اي ان لا تميد وقوله تعالى تالله تفتؤ تذكر يوسف وقول امرئ القيس
فقلت يمين الله ابرح قاعدا الثاني ان فيه حذف مضاف تقديره اني اريد انتفاء
ان تبوء باثمي واثمك كما في قوله تعالى واشربوا في قلوبهم العجل الثالث ان معناه اني
اريد ذلك ان قتلتني لا مطلقا الرابع انه كان ظالما وجزاء الظالم تحسن ارادته
من الله تعالى فيحسن من العبد ايضا **فان قيل** قوله تعالى فاصبح من النادمين
يدل على ان قابيل كان تائبا لقوله عليه السلام الندم توبة فلا يستحق النار **قلنا** لم يكن
ندمه على قتل اخيه بل على حمله على عنقه سنة او على عدم اهتدائه الى الدفن الذي

تعلمه من الغراب او على فقد اخيه لا على المصيبة ولو سلمنا ان ندمه كان
على قتل اخيه ولكن يجوز ان الندم لم يكن توبة في شريعتهم بل في شريعتنا او نقول
التوبة تؤثر في حقوق الله تعالى لا في حقوق العباد والدم من حقوق العباد فلا تؤثر
فيه التوبة **فان قيل** كيف يكون قتل الواحد كقتل الكل واحياء الواحد كاحياء الكل
والدليل يأباه من وجهين احدهما ان الجناية كلما تعددت وتكثرت كانت اقبح
فتناسب زيادة الاثم والعقوبة هكذا هو مقتضى العقل والحكمة الثاني ان المراد
بهذا التشبيه اما ان يكون يساوي قتل الواحد والكل في الاثم والعقوبة او يقاربهما
وانما كان يلزم منه انه اذا قتل الثاني او الثالث وهلم جرا لا يكون عليه اثم اخر ولا يستحق
عقوبة اخرى لانه اثم اثم قتل الكل واستحق عقوبة قتل الكل بمجرد قتل الاول
او الاول والثاني لان قتل الواحد اذا كان يساوي قتل الكل او يقاربه فقتل الاثنين
يجعل عليه اثم قتل الكل وعقوبة قتل الكل فكيف يزداد بعد ذلك بقتل الثالث والرابع
وهلم جرا ولو قتل الكل لما ازداد على اثم قتل الكل والاحوذ ان يستحق بقتل الواحد او الاثنين
اثم قتل الكل وبقتل الكل اثم قتل الكل **قلنا** اقرب ما قيل فيه ان المراد ان من
قتل نفسا واحدة بغير حق كان جميع الناس خصومه في الدنيا ان لم يكن له ولي
وفي الاخرة مطلقا لانهم من اب وام واحدة وقيل معناه من قتل نفسا نبيا او اماما
عادلا فهو كمن قتل الناس جميعا من حيث ابطال المنفعة على الكل لان منفعتهما عامة
للكل وقيل المراد من قتل هو قابيل فان عليه من الاثم بمنزلة اثم قتل الكل لانه اول
من سن القتل وكل قتل يوجد بعده يلحقه شيء من وزره بعلة التسبيب
لقوله عليه السلام من سن سنة حسنة الحديث وهذا حسن في المعنى ولكن اللفظ
لا يساعد عليه وهو قوله تعالى من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل لان هذا المعنى
اذا اريد به قابيل لا يختص كتابته ببني اسرائيل **فان قيل** كيف وجه قوله تعالى انما جزاء
الذين يحاربون الله ورسوله الاية وحقيقة المحاربة بين العبد والرب ممتنعة **قلنا**
فيه اضمار تقديره يحاربون اولياء الله وقيل اراد بالمحاربة المخالفة **فان قيل** كيف قال
ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به ولم يقل بهما والمذكور
شيئان **قلنا** قد سبق جواب مثله قبيل هذا في قوله تعالى اذ قربا قربانا وهنا جواب اخر

وبهوان يكون وضع الضمير موضع اسم الاشارة كانه قال ليفتدوا بذلك
وذلك يشار به الى الواحد والاثنين والجمع فان قيل ما فائدة قوله تعالى فان
جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم وحال النبى عليه السلام مع اهل الكتاب اذا تحاكموا اليه
لا يخلو عن هذين القسمين لانه اما ان يحكم بينهم او يعرض عنهم قلنا فائدته
تخيير النبى صلى الله عليه وسلم بين الحكم بينهم وعدمه ليعلم انه لا يجب عليه ان يحكم
بينهم كما يجب عليه ذلك بين المسلمين اذا تحاكموا اليه وقيل ان هذا التخيير منسوخ
بقوله تعالى وان احكم بينهم بما انزل الله يعنى بما انزل الله عليك وهذا القران
يدل عليه اول الاية ولا تتبع اهواءهم فى الحكم بالتورية فان قيل لما انزل الله تعالى
القران صار الانجيل منسوخا فكيف قال وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه
قلنا معناه لما انزل الله الانجيل قلنا وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه
وقيل معناه وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه من صدق نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم بعلاماته المذكورة فى الانجيل وذلك غير منسوخ فان قيل كيف
قال فان تولوا فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم مع ان الكفار معاقبون
بكل ذنوبهم قلنا اراد به عقوبتهم فى الدنيا وهو ما عجله من اجلاء بنى النضير وقتل
بنى قريظة وذلك جزاء بعض ذنوبهم لانه جزاء منقطع واما جزاؤهم على شركهم
فهو الخلود فى النار وذلك جزاء دائم لا يتصور وجوده فى الدنيا وقيل اراد بذلك البعض
ذنب التولى عن الرضا بحكم القران وانما ابهمه تفخيما له وتعظيما فان قيل
حسن حكم الله تعالى وصحته امر ثابت على العموم بالنسبة الى الموقنين وغير الموقنين
كيف قال ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون قلنا لما كان الموقنون اكثر انتفاعا به
واعلم قدرا من غيرهم بل هم المنتفعون به فى الحقيقة لا غير كانوا الخصوص به فاضيف
اليهم لذلك ونظيره قوله تعالى انما انت منذر من يخشاها فان قيل قوله تعالى ومن
يتولهم منكم فانه منهم يقتضى ان يكون من والى اهل الكتاب وصادقهم كافرا وليس
كذلك بقوله تعالى لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين الاية قلنا المراد بقوله تعالى
ومن يتولهم منكم المنافقون لانها نزلت فى شانهم وهم كانوا من الكفار فى الدنيا ضميرا
واعتقادا ومعناه انه منهم فى الاخرة جزاء وعقابا بل اشد فان قيل كيف قال ان الله

لا يهدى القوم الظالمين وكم من ظالم هداه الله تعالى فتاب واقلع عن ظلمه قلنا
معناه لا يهديهم ما داموا مقيمين على ظلمهم الثانى ان معناه لا يهدى من قضى
فى سابق علمه انه يموت ضالا الثالث ان معناه لا يهدى الظالمين يوم القيامة الى
طريق الجنة اى المشركين فان قيل كيف قال اذلة على المؤمنين ولم يقل اذلة للمؤمنين
وانما يقال ذل له لا ذل عليه قلنا لانه ضمن الذل معنى الحنو والعطف فعداه
تعديته كانه قال حانين على المؤمنين عاطفين عليهم فان قيل كيف قال ومن
يتول الله ورسوله والذين امنوا فان حزب الله هم الغالبون وكم مرة غلب حزب
الله تعالى فى زمن النبى عليه السلام وبعده الى يومنا هذا قلنا المراد به الغلبة
بالحجة والبرهان لا بالدولة والصولة وحزب الله وهم المؤمنون غالبون بالحجة ابدا
فان قيل المثوبة مختصة بالاحسان فكيف قال قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة
عند الله الاية قلنا لا نسلم ان الثواب والمثوبة تختص بالاحسان بل هو الجزاء مطلقا
بدليل قوله تعالى فاثابكم الله غما بغم وهو كلفظ البشارة لا اختصاص له لغة بالخير
السار بل هو عام شامل قال الله تعالى فبشرهم بعذاب اليم فان قيل ما فائدة
ارسال الكتاب والرسول الى اولئك الكثيرين الذين قال فى حقهم وليزيدن كثيرا منهم
ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا قلنا فائدته الزام الحجة عليهم الثانى بحيث الكتاب
والرسول فان الخطاب بالكتاب اذا كان عاما والرسول اذا كان مرسلا الى الخلق كلهم
كان ذلك افخم واعظم للرسول والمرسل فان قيل قوله تعالى ولو انهم اقاموا
التورية والانجيل الاية يقتضى تعلق الرخاء وسعة الرزق بالايمان بالكتاب والعمل
بما فيه وليس كذلك فان كثيرا من المؤمنين بالكتب الاربعة العاملين بما فيها حالهم تنغص عيشهم
فى الدنيا بتنكيد رزقهم بضيق قلنا هذا التعلق خاص فى حق اهل الكتاب لانهم اشتكوا
من ضيق الرزق حتى قالوا يد الله مغلولة فاخبرهم الله تعالى ان ذلك الضيق عقوبة لهم
بشوم معاصيهم وكفرهم والله تعالى يجعل ضيق الرزق وتقتيره نعمة فى حق بعض عباده
ونقمة فى حق بعضهم وكذلك الرخاء والسعة فيعاقب بهما ويثيب بهما على الطاعة ويختلف
ذلك باختلاف احوال الاشخاص ولا يلزم من توسيع الرزق الاكرام ولا من تضييقه
الاهانة ولا يلزم عكسه ايضا ولهذا رد الله تعالى ذلك بقوله واما الانسان اذا ما ابتليه

ربه الى قوله كلا اى ليس الامر كما ظن الانسان وزعم من ان توسيع الرزق
دليل الكرامة والتضييق دليل الاهانة بل دليل الكرامة هو الهداية والتوفيق
للطاعات ودليل الاهانة هو الاضلال والخذلان وحرمان التوفيق فان
قيل ما فايده قوله يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل
فما بلغت رسالته ومعلوم انه اذا لم يبلغ المنزل اليه لم يكن قد بلغ الرسالة
قلنا المراد حينئذ على تبليغ ما انزل عليه من معايب اليهود ومثالبهم فالمعنى
بلغ الجميع فان كتمت منه حرفا كنت فى الاثم والمخالفة كمن لم يبلغ شيئا البته فجعل
كتمان البعض ككتمان الكل وقيل هو امر بتعجيل التبليغ كانه صلى الله عليه
وسلم كان عازما على تبليغ جميع ما انزل اليه الا انه اخر تبليغ البعض خوفا على
نفسه وحذرا مع عزمه على تبليغه فى ثانى الحال فامر بتعجيل التبليغ ويؤيد هذا
القول قوله تعالى لرسوله والله يعصمك من الناس فان قيل كيف ضمن الله
لرسوله بقوله والله يعصمك من الناس ثم انه شج وجهه يوم احد وكسرت
رباعيته قلنا المراد به العصمة من القتل لا من جميع انواع الاذى فان العصمة
من جميع المكاره لا تناسب اخلاق الانبياء عليهم السلام لانهم جامعون لمكارم
الاخلاق ومن اشرف مكارم الاخلاق تحمل الاذى الثانى ان هذه الاية نزلت
بعد يوم احد لان سورة المايدة من اواخر ما نزل من القران فان قيل كيف قال
وما للظالمين من انصار مع ان بعض الظالمين وهم العصاة من المومنين يشفع
فيهم النبى صلى الله عليه وسلم يوم القيامة فيكون ناصرا لهم قلنا المراد بالظالمين
ههنا المشركون يعلم ذلك من اول الاية ووسطها فان قيل ما فايده قوله تعالى وضلوا
عن سواء السبيل بعد قوله ضلوا من قبل قلنا المراد بالضلال الاول ضلالهم عن
الانجيل وبالضلال الثانى ضلالهم عن القران فان قيل كيف قال كانوا لا يتناهون
عن منكر فعلوه والنهى عن المنكر بعد فعله ووقوعه لا معنى له قلنا فيه حذف مضاف
تقديره كانوا لا يتناهون عن معاودة منكر فعلوه او عن مثل منكر فعلوه او عن منكر
ارادوا فعله كما يرى الانسان امارات الخوض فى الفسق والاته تسوى وتهيا فينكر
ويجوز ان يريد بقوله لا يتناهون لا ينتهون ولا يمتنعون عن منكر فعلوه بل يصرون عليه

ويداومون يقال تناهى عن الامر وانتهى عنه بمعنى واحد اى امسك عنه وتركه
فان قيل كيف قال ولكن كثيرا منهم فاسقون والمراد بقوله منهم المنافقون او اليهود
على اختلاف القولين وكلهم فاسقون قلنا المراد به فسقهم بموالاة المشركين ودس
الاخبار اليهم لا مطلق الفسق وذلك الفسق الخاص مخصوص بكثير منهم وهم المذكورون
فى اول الاية فى قوله تعالى ترى كثيرا منهم الاية لا شاملا لجميعهم فان قيل كيف قال انما
الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان وهذه الاعيان كلها
مخلوقات لله تعالى فاين عمل الشيطان فى وجودها قلنا فيه اضمار تقديره انما تعاطى
الخمر والميسر الى اخره او مباشرته فان قيل مع هذا الاضمار كيف قال من عمل الشيطان
وتعاطى الخمر والقمار ونحوهما من عمل الانسان حقيقة قلنا انما اضيف الى الشيطان مجازا
لانه هو السبب فى وجود الفعل بواسطة وسوسته وتزيينه ذلك للفساق
وصار كالواغرى رجل رجلا بضرب اخر فانه يجوز ان يقال للمغرى هذا من عملك
نظيره قوله تعالى فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان فان قيل
كيف جمع الخمر والميسر والانصاب والازلام فى الاية الاولى ثم خص الخمر والميسر بالذكر فى
الاية الثانية قلنا لان العداوة والبغضاء بين الناس يقع كثيرا بسبب الخمر والميسر
وكذلك يشتغلون بذلك بهما عن الطاعة بخلاف الانصاب والازلام فان هذه المفاسد
لا توجد فيهما وان كانت فيهما مفاسد اخر وقيل انما كرر ذكر الخمر والميسر فقط لان
الخطاب للمومنين بدليل قوله يا ايها الذين امنوا وهم انما كانوا يتعاطون الخمر والميسر
فقط وانما جمع الاربعة فى الاية الاولى ليبين للمومنين ان هذه الاربعة من اعمال الجاهلية
وانه لا فرق بين من عبد صنما او اشرك بالله بدعوى علم الغيب وبين من شرب الخمر
او قامر مستحلا لهما فان قيل كيف يحسن ان يفعل الله تعالى فعلا يتوسل به الى تحصيل
علم حتى قال يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله بشىء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم ليعلم
الله من يخافه بالغيب قلنا معناه ليميز الله الخايف الخايف من غير الخايف عند
الناس وقيل معناه ليعلم عباد الله من يخافه بالغيب وهو قريب من الاول وقيل
معناه ليعلم الخوف واقعا كما علمه منتظرا فان قيل كيف قال ومن قتله منكم متعمدا
فجزاء مثل ما قتل من النعم ووصف العمدية ليس بشرط لوجوب الجزاء فانه لو قتله

ناسيا او مخطيا وجب الجزاء ايضا قلنا عند ابن عباس وجماعة من الصحابة
والتابعين رضي الله عنهم وصف العمدية شرط لوجوب الجزاء فلا يرد عليهم السوال
واما على قول الجمهور فانما قيد بوصف العمدية لان الواقعة التي كانت سبب نزول
الاية كانت عمدا على ما روى انه مر عن الصحابة حمار وحش بالحديبية وهم محرمون
فطعنه ابو اليسر برمحه فقتله فنزلت الاية فخرج وصف العمدية مخرج الواقع لا مخرج
الشرط وقال الزهري نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالوجوب في الخطاء فان
قيل كيف قال هديا بالغ الكعبة مع ان الشرط بلوغه الى الحرم لا غير قلنا لما كان المقصود
من بلوغ الهدي الى الحرم تعظيم الكعبة وذكر الكعبة تنبيها على ذلك وقيل معناه بالغ حرم
الكعبة فان قيل قوله تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي
والقلايد ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض وان الله بكل شيء عليم اي
دلالة هذه الامور المذكورة على علم الله تعالى بما في السموات وما في الارض وبكل شيء قلنا
ذلك اشارة الى كل ما سبق ذكره من الغيوب في هذه السورة من احوال الانبياء والمنافقين واليهود
لا الى المذكور في هذه الاية الثاني ان العرب كانت تسفك الدماء وتنهب الاموال فاذا دخل
الشهر الحرام او دخلوا الى البلد الحرام كفوا عن ذلك فعلم الله تعالى انه لو لم يجعل لهم زمانا
ومكانا يقتضي كفهم عن القتل ونهب الاموال لهلكوا فظهرت المناسبة فان قيل
كيف قال ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام والجعل هو الخلق بدليل
قوله تعالى وجعل منها زوجها وقوله وجعل الظلمات والنور وخالق هذه الاشياء هو الله تعالى
قلنا المراد بالجعل هنا الايجاب والامر اي ما اوجبها ولا امر بها وقيل المراد بالجعل التحريم
فان قيل قوله تعالى يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم يدل على عدم وجوب الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر وهما واجبان قلنا معنى قوله انفسكم اهل دينكم كما قال تعالى ولا تقتلوا انفسكم اي
اهل دينكم وقيل المراد به اخر الزمان عند فساد الناس وتعذر الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
وهو زماننا هذا فان قيل كيف يقول الرسل لا علم لنا اذ قال الله تعالى لهم ماذا اجبتم
وهم عالمون بماذا اجيبوا قلنا هذا جواب الدهشة والحيرة وحين تطيش عقولهم من فزع
جهنم نعوذ بالله منها ومثله لا يفيد نفي العلم والاثبات الثاني انهم قالوا ذلك تعريضا
بالتشكي من قومهم واظهارا للالتجاء الى الله تعالى في الانتقام منهم كانهم قالوا انت اعلم بما اجابونا به

من التصديق والتكذيب الثالث معناه لا علم لنا بحقيقة ما اجابونا به لانا نعلم
ظاهرهم وانت تعلم ظاهرهم ومضمرهم وبويده ما بعده فان قيل اي معجزة لعيسى عليه
السلام في تكليم الناس كهلا حتى قال تكلم الناس في المهد وكهلا قلنا قد سبق
هذا السوال وجوابه في سورة ال عمران مستقصى فان قيل كيف قال الحواريون
هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مايدة من السماء شكوا في قدرة الله تعالى
على بعض الممكنات وذلك كفر ووصفوه بالاستطاعة وذلك تشبيه لان الاستطاعة
انما تكون بالجوارح والحواريون خلص اتباع عيسى عليه السلام والمومنين به
بدليل قوله تعالى حكاية عنهم قالوا امنا واشهد باننا مسلمون قلنا هذا استفهام
عن الفعل لا عن القدرة كما يقول الفقير للغني القادر هل تقدر ان تعطيني شيئا
وهذه تسمى استطاعة المطاوعة لا استطاعة القدرة فان قيل لو كان المراد
هذا المعنى لما انكر عليهم عيسى عليه السلام بقوله اتقوا الله ان كنتم مومنين قلنا
انكاره عليهم انما كان لانهم اتوا بلفظ يحتمل المعنى الذي لا يليق بالمومن المخلص
ارادته وان كانوا لم يريدوه فان قيل كيف قال عيسى عليه السلام ولا اعلم ما في
نفسك وكل ذي نفس فهو ذو جسم لان النفس عبارة عن الجوهر القايم بذاته
المتعلق بالجسم تعلق التدبير والله تعالى منزه عن الجسم قلنا النفس يطلق على
معنيين احدهما هذا والثاني حقيقة الشيء وذاته كما يقال نفس الذهب والفضة
محبوبة اي ذاتهما والمراد به في الاية ثانيا هذا المعنى فان قيل كيف قال عيسى
عليه السلام ما قلت لهم الا ما امرتني به الاية مع انه قال لهم كثيرا من الكلام المباح
غير الامر بالتوحيد قلنا معناه ما قلت لهم فيما يتعلق بالالاه فان قيل اذا كان عيسى
لم يمت وانما هو حي في السماء الرابعة فكيف قال فلما توفيتني قلنا اراد بالتوفي اتمام
مدة اقامته بينهم في الارض فان قيل لو قال عيسى عليه السلام ان تعذبهم فانك انت
العزيز الحكيم وان تغفر لهم فانهم عبادك كان اظهر مناسبة قلنا معناه ان تعذبهم
فانهم عبادك وتصرف المالك المطلق الحقيقي في عبيده مباح اي تصرف كان وان تغفر لهم
فانك انت العزيز الذي لا ينقص من عزه شيء بترك العقوبة والانتقام ممن عصاه الحكيم
في كل ما يفعله من العذاب والمغفرة فان قيل كيف قال هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم

يعني يوم القيامة والصدق نافع في الدنيا والاخره ولفظ الاية في حق الحشر قلنا
لما كان نفعُ الصدق في الاخرة هو الفوز بالجنة والنجاة من النار ونفعُه في الدنيا
دون ذلك كان كالعدم بالنسبة الى نفعه في الاخرة فلم تعتدّ به في مقابلته فان قيل
قوله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم ان اراد به صدقهم في الاخرة والاخرة ليست بدار عمل
وان اراد به صدقهم في الدنيا فليس مطابق لما ورد فيه وهو الشهادة لعيسى عليه السلام
بالصدق فيما يجيب به يوم القيامة قلنا اراد به الصدق المستمر بالصادقين في دنياهم
واخرتهم وعن قتادة رضي الله عنه متكلمان صدقا يوم القيامة فنفع احدهما صدقه
دون الاخر احدهما ابليس قال ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم الاية
فصدق يومئذ ولم ينفعه صدقه لانه كان كاذبا قبل ذلك والاخر عيسى عليه السلام
كان صادقا في الدنيا عليه السلام والاخرة فنفعه صدقه فان قيل في السموات
والارض العقلاء وغيرهم فهلا غلّب العقلاء فقال لله ملك السموات والارض ومن
فيهن قلنا لان كلمة ما يتناول الاجناس كلها تناولا عامًّا باصل الوضع ومَن لا يتناول انعم
غير العقلاء باصل الوضع وكان استعمال ما في هذا الموضع اولى سورة انعام فان قيل
كيف جمع الظلمة وافرد النور في قوله تعالى وجعل الظلمات والنور قلنا ترك جمعه استغناءً
عند بجمع الظلمة قبله فانه يدل عليه كما ترك جمع الارض ايضا استغناء عند بجمع السماء قبله
في قوله تعالى الحمد لله الذي خلق السموات والارض الثاني ان الظلمة اسم والنور مصدر نقله
المفضل والمصدر لا يجمع فان قيل ما فائدة قوله تعالى وجهركم بعد قوله وجهركم بعد قوله
يعلم سركم ومعلوم ان من يعلم السر يعلم الجهر بالطريق الاولى قلنا انما ذكره للمقابلة كما في
قوله تعالى فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم عليه في بعض الوجوه فان قيل
كيف خص السكون بالذكر دون الحركة في قوله تعالى وله ما سكن في الليل والنهار على قول من
فسره بما يقابل الحركة قلنا لان السكون اغلب الحالتين على كل مخلوق من الحيوان والجماد اولان
الساكن من المخلوقات اكثر عددًا من المتحرك اولان كل متحرك يصير الى السكون من غير عكسه
اولان السكون هو الاصل والحركة حادثة عليه وطارئة وقيل فيه اضمار تقديره ما سكن
وتحرك فاكتفى باحدهما اختصارا لدلالته على مقابلة كما في قوله تعالى سرابيل تقيكم الحر اى
الحر والبرد فان قيل قال وهو يُطعِم ولا يطعم ولم يقل وهو يُنيم ولا يُنيم عليه وهذا

اعم لانه متناول الاطعام وغيره قلنا لان الحاجة الى الرزق امس فخص بالذكر الثاني
ان كون المعبود آكلا مشغوطا اقبح من كونه منعمًا عليه فلذلك ذكره فان قيل
قوله تعالى قل اى شيء اكبر شهادة قل الله يقتضي أنْ يُسمّى الله تعالى شيئا ولو صح ذلك
لصح نداؤه كالحي والقيوم ونحوهما قلنا صحة ندائه تعالى مخصوصة بما دل على
المدح وصفة الكمال كالحي والقيوم ونحوهما لا بكل ما يصح اطلاقه عليه الا ترى ان
الموجود والثابت يصح اطلاقه عليه سبحانه وتعالى ولا يصح نداؤه به كذا هذا
فان قيل استشهاد المدعي بالله لا يكفي في صحة دعواه وثبوتها شرعا حتى لو قال
المدعي الله شاهدي لا يكفيه هذا فكيف صح ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم
حيث قال قل الله شهيد بيني وبينكم قلنا انما لم يصح ذلك من غير النبي صلى الله
عليه وسلم لانه لا يقدر على اقامة الدليل على ان الله تعالى يشهد له والنبي عليه السلام
اقام الدليل على ذلك بقوله واوحي الي هذا القران لانه معجز فان قيل في قوله تعالى
ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين كيف يكذبون يوم القيامة
بعد معاينة حقايق الامور وقد بُعثر ما في القبور وحُصّل ما في الصدور قلنا
المبتلى يوم القيامة ينطق بما ينفعه وبما يضره لعدم التمييز بسبب الحيرة والدهش
كحال المبتلى المعذب في الدنيا يكذب على نفسه وعلى غيره ويتكلم بما يضره الا ترى
انهم يقولون ربنا اخرجنا منها وقد ايقنوا بالخلود فيها وقالوا يا مالك ليقض
علينا ربك وقد علموا انه لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها
فان قيل كيف الجمع بين هذه الاية وبين قوله ولا يكتمون الله حديثا قلنا القيامة
مواقف مختلفة ففي بعضها لا يكتمون وفي بعضها يحلفون كاذبين كما قال تعالى كما
قال تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون وقال تعالى فيومئذ لا يُسأل
عن ذنبه انس ولا جان وقيل ان حلفهم كاذبين يكون قبل شهادة جوارحهم عليهم
ولا يكتمون الله حديثا يكون بعد شهادتها عليهم فان قيل كيف وللدار الاخرة
خير للذين يتقون وهي خير لغير المتقين ايضا كالاطفال والمجانين قلنا انما خصهم
بالذكر لانهم الاصل فيها من حيث ان درجتهم اعلا وغيرهم تبع لهم فان قيل
كيف قال لمحمد صلى الله عليه وسلم ولا تكونن من الجاهلين فخاطبه باخشن الخطابين

وقال لنوح عليه السلام انى اعظك ان تكون من الجاهلين فخاطبه بالين الخطابين
مع ان محمدا صلى الله عليه وسلم اعظم رتبة واعلى منزلة قلنا لان نوحا عليه السلام
كان معذورا فى جهله لانه تمسك بوعد الله تعالى فى انجاء اهله وظن ان ابنه من اهله
ومحمد عليه السلام ما كان معذورا لانه كبر عليه كفرهم مع علمه ان كفرهم وايمانهم بمشية
الله تعالى وانهم لا يهتدون الا ان يهديهم الله فان قيل اذا بعث الله تعالى الموتى من قبورهم
فقد رجعوا اليه بالحياة بعد الموت فما فائدة قوله ثم يبعثهم الله ثم اليه يرجعون قلنا
المراد به وقوفهم بين يديه للحساب والجزاء وذلك غير البعث وهو احياؤهم بعد
الموت فلا تكرار فيه فان قيل قوله تعالى وقالوا لولا نزل عليه اية من ربه قل ان
الله قادر على ان ينزل اية لو صح من النبى صلى الله عليه وسلم هذا الجواب لصح لكل
من ادعى النبوة وطولب باية ان يقول ان الله قادر على ان ينزل اية قلنا اذا
ثبتت نبوته بما شاء الله من المعجزة يصح له ان يقول ذلك بخلاف ما اذا لم تثبت
نبوته والنبى صلى الله عليه وسلم كانت قد ثبتت نبوته بالقران وانشقاق القمر
وغيرهما فان قيل ما فائدة قوله تعالى وما من دابة فى الارض والدابة لا تكون الا
فى الارض لان الدابة فى اللغة اسم لما يدب على وجه الارض وما فائدة قوله ولا طائر
يطير بجناحيه والطيران لا يكون الا بالجناح قلنا فيه فوائد الاولى التاكيد كقولهم هذه
نعجة انثى وقولهم كلمته بلسانى ومشيت اليه برجلى وكما قال الله تعالى لا تتخذوا
الهين اثنين وقال يقولون بالسنتهم ما ليس فى قلوبهم الثانية نفى توهم المجاز فانه
يقال طار فلان فى امر كذا اذا اسرع فيه وطار الفرس اذا اسرع الجرى الثالثة
زيادة التعميم والاحاطة كانه قال جميع الدواب الدابة وجميع الطيور الطائرة فان قيل
قوله تعالى قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة الى ان قال فيكشف ما تدعون
اليه ومن جملة ما ذكر الدعاء فيه عذاب الساعة وهو لا يكشف عن المشركين قلنا لم يخبر
عن الكشف مطلقا بل مقيدا بشرط المشية وعذاب الساعة لو شاء كشفه عن المشركين
لكشفه فان قيل قوله تعالى قل لا اقول لكم عندى خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول
لكم انى ملك ذكر القول فى الجملة الاولى والثالثة وتركه فى الجملة الثانية قلنا لما كان الاخبار
بالغيب كثيرا ما يدعيه البشر كالكهنة والمنجمين وواضعى الملاحم ثم ان كثيرا من الجهال

يعتقدون صحة اقاويلهم ويعملون بمقتضى اخبارهم بالغ فى سلبه عن نفسه بسلب حقيقته
عنه بخلاف الالهية والملكية فان انتفاءهما عنه وعن غيره من البشر ظاهر فاكتفى بنفيها
بنفى القول اذ غير الدعوى فيهما لا يتصور فى نفس الامر ولا فى زعم الناس بخلاف علم الغيب
فافترقا والمراد بقوله قل لا اقول لكم عندى خزائن الله اى لا ادعى الالهية كذا قال
بعض المفسرين فان قيل فى قوله تعالى وكذلك نفصل الايات ولتستبين سبيل
المجرمين كيف ذكر سبيل المجرمين ولم يذكر سبيل المومنين وكلاهما محتاج الى بيانه
قلنا لانه اذا ظهر سبيل المجرمين ظهر سبيل المومنين ايضا بالضرورة اذ السبيل سبيلان
لا غير الثانى ان سبيل المومنين مراد تقديرا وانما حذف اختصارا لدلالة المذكور عليه
كما فى قوله تعالى سرابيل تقيكم الحر اى والبرد فان قيل كيف قال تعالى ويعلم ما جرحتم
بالنهار اى ما كسبتم وهو يعلم ما جرحوا ليلا ونهارا قلنا لان الكسب اكثر ما يكون بالنهار
لانه زمان حركة الانسان والليل زمان سكونه لقوله تعالى ومن رحمته جعل لكم
الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله بعد قوله من اله غير الله ياتيكم بليل
تسكنون فيه فان قيل كيف قال تعالى ثم ردوا الى الله مولاهم الحق يعنى جميع الخلائق
وقال فى موضع اخر وان الكافرين لا مولى لهم قلنا المولى الاول بمعنى المالك او الخالق
او المعبود والمولى الثانى بمعنى الناصر فلا تنافى بينهما فان قيل كيف خص كون قوله الحق
وله الملك يوم القيامة فقال قوله الحق وله الملك يوم ينفخ فى الصور مع ان قوله الحق فى كل
وقت وله الملك فى كل زمان قلنا لان ذلك اليوم ليس لغيره فيه ملك بوجه من الوجوه
وفى الدنيا لغيره ملك خلافة عنه او هبة منه وانعاما بدليل قوله تعالى فى حق داود عليه
السلام واتاه الله الملك والحكمة وقوله تعالى والله يؤتى ملكه من يشاء وقوله فى ذلك
اليوم هو الحق الذى لا يدفعه احد من العقلاء ولا يشك فيه شاك من اهل العناد لانكشاف
الغطاء فيه للكل وانقطاع الدعاوى والخصومات ونظيره قوله تعالى والامر يومئذ لله
وان كان الامر له فى كل زمان وكذلك قوله تعالى لمن الملك اليوم فان قيل كيف قال فى معرض
الامتنان ووهبنا له اسحق ويعقوب ولم يذكر اسمعيل مع انه كان هو الابن الاكبر قلنا
لان اسحق وهب له من سارة واسمعيل من امة واسحق وهبه له من عجوز عقيم فكانت
المنة فيه اظهر فان قيل كيف قال فى وصف القران والذين يومنون بالاخرة يومنون به

وكثير من يومن بالاخرة من اليهود والنصارى وغيرهم لا يومن به قلنا معناه والذين
يومنون بالاخرة ايمانا نافعا مقبولا هم الذين يومنون به اما تصديقا به قبل انزاله
لما بشر به موسى وعيسى عليهما السلام واتباعا له بعد انزاله والامر كذلك فان
من لم يصدق موسى وعيسى عليهما السلام في بشارتهما بمحمد والقران او كان بعد بعثته
ولم يومن به فايمانه بالاخرة غير معتد به ولا معتبر فان قيل كيف افرد قوله تعالى
او قال اوحي الي بالذكر بعد قوله ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا وذلك ايضا افتراء قلنا
لان الاول عام والثاني خاص والمقصود الانكار فيهما ولا يلزم من وجود العام وجود الخاص
قلت وفي هذا الجواب مغالطة لانه مسلم انه لا يلزم من وجود العام وجود الخاص ولكنه يلزم
من الذم على العام وانكاره الذم على الخاص وانكاره لا محالة وما نحن فيه من هذا القبيل
فالجواب المحقق ان يقال لما كان هذا الخاص مخصوصا بمزيد قبح من بين انواع الافتراء خصه
بالذكر تنبيها على مزيد العقاب فيه والاثم فان قيل في قوله تعالى بديع السموات والارض
الاية ما فائدة قوله تعالى خالق كل شيء بعد قوله وخلق كل شيء قلنا ذكره اولا استدلالا به
على نفي الولد ثم ذكره ثانيا توطئة وتمهيدا لقوله تعالى فاعبدوه فان كونه خالق كل شيء
يقتضي تخصيصه بالعبادة والطاعة فكانت الاعادة لفائدة جديدة فان قيل
في قوله تعالى لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار كيف خص الابصار بادراكه لها
ولم يقل وهو يدرك كل شيء مع انه ابلغ في التمدح قلنا لو حصل احدهما مراعاة للمقابلة
اللفظية فانه نوع من البلاغة الثاني ان هذه الصفة خاصة بينه وبين الابصار
انه يدركها بمعنى الاحاطة بها وهي لا تدركه فاما غيرها مما يدرك الابصار وهي تدركه ايضا
فلهذا خصها بالذكر فان قيل كيف قال تعالى وهو الذي انزل اليكم الكتاب مفصلا ولم يقل
وهو الذي انزل الي مع ان الله تعالى قال وانزلنا اليك الكتاب قلنا لما كان انزاله الى
النبي صلى الله عليه وسلم لتبليغه الى الخلق وهدايتهم به كان في الحقيقة منزلا اليهم لكن
بواسطة النبي صلى الله عليه وسلم فصح اضافة الانزال اليه واليهم فان قيل في قوله
تعالى فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم باياته مومنين كيف علق الكون من المومنين
باكل الذبيحة المسمى عليها والكون من المومنين حاصل وان لم ياكل الذبيحة اصلا قلنا المراد
اعتقاد الحل لا نفس الاكل فان بعض من كان يعتقد حل الميتة من العرب كان يعتقد حرمة

الذبيحة فان قيل كيف انهم فاعل التزيين ههنا فقال كذلك زين للكافرين
ما كانوا يعملون وقال في اية اخرى زينا لهم اعمالهم وقال في اية اخرى وزين لهم اعمالهم
وقال في اية اخرى وزين لهم الشيطان اعمالهم فمن هو مزين الاعمال للكفار في
الحقيقة قلنا التزيين من الشيطان بالاغواء والاضلال والوسوسة وايراد
الشبه ومن الله تعالى بخلق جميع ذلك فصحت الاضافتان فان قيل كيف قال
تعالى يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم والرسل انما كانت من الانس خاصة
قلنا المراد برسل الجن هم الذين سمعوا القران من النبي عليه الصلوة والسلام
ثم ولوا الى قومهم منذرين كما قال تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون
القران الثاني انه كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمراد منه احدهما
لانه انما يخرج من الملح الثالث انهم بعث اليهم رسل منهم قاله الضحاك ومقاتل
فان قيل كيف كرر ذكر شهادتهم على انفسهم في قوله تعالى يا معشر الجن والانس
الاية والمعنى فيهما واحد قلنا المعنى في المشهود به متعدد وان كان في الشهادة واحدا
لانهم في الاولى شهدوا على انفسهم بتبليغ الرسل وانذارهم وفي الثانية شهدوا
على انفسهم بالكفر في الدنيا وهما متغايران فان قيل كيف اقروا في هذه الاية
بالكفر وشهدوا على انفسهم به وجحدوه في قولهم والله ربنا ما كنا مشركين قلنا
مواقف القيامة ومواطنها مختلفة ففي بعضها يقرون وفي بعضها يجحدون او يكون
المراد ههنا شهادة اعضائهم عليهم حين يختم على افواههم كما قال تعالى اليوم نختم على
افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم فان قيل ما فائدة قوله تعالى سفها بغير علم
والسفه لا يكون الا عن جهل قلنا معنى قوله بغير علم بمقدار قبحه ومقدار العقوبة
فيه وعلى الوجهين لا يكون مستفادا من الاول فان قيل ما فائدة قوله تعالى
وما كانوا مهتدين بعد قوله قد ضلوا قلنا فائدته الاعلام بانهم بعد ما ضلوا
لم يهتدوا مرة اخرى فان من الناس من يضل ثم يهتدي بعد ضلاله فان قيل
ما فائدة قوله تعالى اذا اثمر بعد قوله كلوا من ثمره ومعلوم انه انما يوكل من ثمره اذا اثمر
قلنا فائدته نفي توهم توقف الاباحة على الادراك والنضج بدلالته على الاباحة من
اول اخراج الثمر فان قيل كيف قال تعالى قل لا اجد فيما اوحي الي محرما الاية وفي

العدوان تحريم اكل الربا ومال اليتيم ومال الغير بالباطل ونحو ذلك قلنا يعني
محرما كما كانوا الحرمونه في الجاهلية وقيل حما يستحلونه فان قيل كيف قال تعالى
فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة والموضع موضع العقوبة فكان يحسن
ان يقال فيه ذو عقوبة شديدة او عظيمة ونحو ذلك قلنا انما قال ذلك نفيا
للاغترار بسعة رحمته في الاجتراء على معصيته وذلك ابلغ في التهديد لا تغتروا
بسعة رحمته فانه مع ذلك لا يرد عذابه عنكم وقيل معناه فقل ربكم ذو رحمة واسعة
للمطيعين ولا يرد عذابه عن العاصين فان قيل كيف قال تعالى قل تعالوا اتل
ما حرم ربكم عليكم ثم فسره بعشرة احكام منها واجبة والتلاوة وصف اللفظ لا المعنى
كيلا افعال اضدادها محرمة قلنا قوله تعالى اتل ما حرم ربكم عليكم لا ينفي تلاوة غيره
فقد تلا ما حرم وتلا غيره ايضا الثاني ان فيه اضمارا تقديره اتل ما حرم ربكم عليكم
واجب فان قيل كيف خص مال اليتيم بالنهي عن قربانه بغير الاحسن ومال البالغ كذلك
ايضا قلنا انما خصه بالنهي لان طمع الطامعين فيه اكثر لضعف مالكه وعجزه وقلة
الحافظين له والناصرين بخلاف مال البالغ الثاني ان التخصيص لمجموع الحكمين وهما
النهي عن قربانه بغير الاحسن ووجوب قربانه بالاحسن او جواز قربانه بالاحسن
بغير اذن مالكه ومجموع الحكمين مخصوص بمال اليتيم وهذا هو الجواب عن كونه مُغَيًّا
ببلوغ الاشد لان المجموع ينتفي ببلوغ الاشد لا انتفاء الحكم الثاني وقيل ان الغاية
لمحذوف تقديره حتى يبلغ فسلموه اليه فان قيل كيف خص العدل بالقول وقال تعالى
واذا قلتم فاعدلوا ولم يقل واذا فعلتم فاعدلوا والحاجة الى العدل في الفعل اشد لان الضرر
الناشئ من الجور الفعلي اقوى من الضرر الناشئ من الجور القولي قلنا انما خصه بالقول
ليعلم وجوب العدل في الفعل بالطريق الاولى كما قال تعالى ولا تقل لهما اف ولم يقل ولا تشتمهما
ولا تضربهما قلنا فان قيل كيف الجمع بين قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى وبين قوله
وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وقوله ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن
اوزار الذين يضلونهم بغير علم وما جاء في الحديث المشهور فعليه وزرها ووزر من عمل
بها قلنا المراد بالاية الاولى وزر لا يكون مضافا اليها بمباشرة او تسبيب لتحقق اضافته
الى غيرها على الكمال اما اذا لم يكن كذلك فهو وزرها من وجه فتزره وقيل معناه لا تزره

ظهرها

لهو عا كما زعم المشركون بقولهم للنبي صلى الله عليه وسلم ارجع الى ديننا ونحن كُفَلاء
بما يلحقك من تبعة في دينك وقول الذين كفروا للذين امنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل
خطاياكم الى قوله تعالى عما كانوا يفترون ومعنى باقي النصوص انما حملكها الا شاني
بينهما سورة اعراف فان قيل النهي في قوله تعالى فلا تكن في صدرك حرج منه اعراف
متوجه الى الحرج فما وجهه قلنا هو من باب قولهم لا ارينك هنا معناه لا اتقم هنا
فانك ان اقمت رايتك فمعنى الاية فلا تكن على يقين منه ولا تشك فيه لان المراد بالحرج
الشك فان قيل كيف قال تعالى اهلكناها فجاءها باسنا والاهلاك انما هو بعد
مجيء الباس وهو العذاب قلنا معناه اردنا اهلاكها كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة
فاغسلوا وجوهكم وقوله فاذا قرات القران فاستعذ بالله فان قيل ميزان
القيامة واحد فكيف قال تعالى فمن ثقلت موازينه ومن خفت موازينه قلنا
انما جمعه لانه اراد بالميزان الموزونات من الاعمال وقيل انما جمعه لانه ميزان
يقوم مقام موازين ويفيد فايدتها لانه يوزن به ذرات الاعمال وما كان منها
في عظم الجبال فان قيل كيف توزن الاعمال وهي اعراض لا ثقل لها والجسم والوزن
من خواص الاجسام قلنا الموزون صحائف الاعمال الثاني انه قد ورد ان الله تعالى
يحيلها الى جواهر واجسام فتتصور اعمال المطيعين في صور حسنة واعمال العاصين
في صور قبيحة ثم يزنها والله على كل شيء قدير فان قيل كيف قال تعالى
ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم وكلمة ثم للترتيب وخطاب
الملائكة عليهم السلام بالسجود سابق على خلقنا وتصويرنا قلنا المراد ولقد
خلقنا اباكم ثم صورناه بطريق حذف المضاف وقيل المراد ولقد خلقنا اباكم ثم
صورناكم في ظهره والقول الاول اظهر فان قيل كيف قال تعالى لابليس فاهبط منها
فما يكون لك ان تتكبر فيها اي في السماء وليس له ولا لغيره ان يتكبر في الارض ايضا
قلنا لما كانت السماء مقر الملائكة المطيعين الذين لا يوجد منهم معصية اصلا كان
وجود المعصية بينهم اقبح ولذلك خص مقدمهم بالذكر فان قيل كيف اجيب ابليس
الى الانظار وانما طلب الانظار ليفسد احوال عباد الله ويغويهم قلنا لما في ذلك من
ابتلاء العباد ولما في مخالفته من عظم الثواب ونظير ذلك ما خلقه الله تعالى في الدنيا

من اصناف الزخارف وانواع الملاذ والملاهي وما ركّبه في الانفس من الشهوات
يمتحن بها عباده **فان قيل** كيف قال تعالى فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما
ما ووري عنهما من سواتهما ولم يكن غرضه من الوسوسة كشف عورتهما بل
اخراجهما من الجنة ويؤيده قوله تعالى في سورة البقرة فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما
مما كانا فيه **قلنا** اللام في قوله تعالى ليبدي لام العاقبة والصيرورة لا لام كي
كما في قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقول الشاعر
لدوا للموت وابنوا للخراب **فان قيل** اي اية لله تعالى في اللباس والكسوة حتى قال
في اية اللباس والكسوة ذلك من ايات الله **قلنا** معناه ان خلق اللباس والكسوة
للانسان خاصة علامة من العلامات الدالة على ان الله تعالى فضله على ساير
الحيوان وقيل معناه ذلك من نعم الله **فان قيل** كيف قال تعالى في حق ابليس
ينزع عنهما لباسهما والنازع لباسهما هو الله تعالى **قلنا** لما كان ذلك بسبب
وسوسته واغوائه اضيف النزع اليه كما يقال اشبعني الطعام وارواني
الشراب والمشبع والمروي في الحقيقة انما هو الله تعالى وهما سبب **فان قيل**
كيف قال كما بداكم تعودون وهو بدانا اولا نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم
لحما كما ذكر ونحن لا نعود عند الموت ولا عند البعث بعد الموت على ذلك الترتيب **قلنا**
معناه كما بداكم اولا من تراب كذلك تعودون ترابا وقيل معناه كما اوجدكم
اولا بعد العدم كذلك يعيدكم بعد العدم فالتشبيه في نفس الاحياء والخلق لا في
الكيفية والترتيب وقيل معناه كما بداكم سعداء واشقياء كذلك تعودون ويؤيده
تمام الاية وقيل معناه كما بداكم لا تملكون شيئا كذلك تعودون كما قال الله تعالى
ولقد جئتمونا فرادى الاية **فان قيل** كيف قال تعالى مخبرا عن الزينة والطيبات من
الرزق قل هي للذين امنوا في الحياة الدنيا مع ان الواقع المشاهد انها لغير الذين
امنوا اكثر وادوم **قلنا** فيه اضمار تقديره قل هي للذين امنوا غير خاصة في الحياة
الدنيا لان المشركين شاركوهم فيها خالصة للمومنين في الاخرة **فان قيل** كيف
قال تعالى ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون والميراث عبارة عما ينتقل
من ميت الى حي **قلنا** هو على تشبيه اهل الجنة واهل النار بالوارث والموروث عنه

وذلك

وذلك ان الله تعالى خلق في الجنة منازل للكفار على تقدير الايمان فمن
لم يومن منهم جعل منزله لاهل الجنة الثاني ان نفس دخول الجنة بفضل الله
ورحمته من غير عوض فاشبه الميراث وان كانت الدرجات فيها بحسب
الاعمال **فان قيل** كيف قال تعالى الا له الخلق والامر اما الخلق بمعنى الايجاد والاحداث
فظاهر انه مخصوص به سبحانه وتعالى واما الامر فلغيره ايضا بدليل قوله تعالى
يامرون بالمعروف وقوله تعالى وامر بالعرف وقوله تعالى وامر اهلك بالصلوة
قلنا المراد بالامر هنا قوله تعالى كن عند خلق الاشياء وهذا الامر الذي به الخلق
مخصوص به كالخلق الثاني ان المراد بالخلق والامر ما سبق ذكرهما في هذه الاية وهو خلق
السموات والارض وامر تسخير الشمس والقمر والنجوم كما ذكر وذلك مخصوص به عز
وجل **فان قيل** لم قال نوح ليس بي ضلالة بالتاء ولم يقل ضلال كما وصفه قومه به
وذلك اشد مناسبة ليكون نافيا عين ما اثبتوه **قلنا** الضلالة اقل من الضلال
فكان نفيها ابلغ في نفي الضلال عنه كانه قال ليس بي شيء من الضلال كما لو قيل الك
تمر فقلت ما لي تمرة كان ذلك ابلغ في النفي من قولك ما لي تمر **فان قيل** كيف وصف
الملاء بالذين كفروا في قصة هود دون قصة نوح **قلنا** لانه كان في اشراف قوم هود
من امن به منهم عند هذا القول فلم يكن كل الملاء من قومه قايلين له انا لنراك في سفاهة
بخلاف قوم نوح فانه لم يكن فيهم من امن به عند قولهم انا لنراك في ضلال مبين فكان
كل الملاء قايلين ذلك هكذا اجاب بعض العلماء وهذا الجواب منقوض بقوله تعالى في
سورة هود في قصة نوح فقال الملاء الذين كفروا من قومه وكذا في سورة المومنين وجواب
هذا النقض انه يجوز ان القول كان مرتين المرة الثانية بعد ايمان بعضهم **فان قيل**
كيف قال صالح لقومه بعد ما اخذتهم الرجفة وماتوا يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي
ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين والحسن من الحي مخاطبة الميت لعدم الفايدة **قلنا**
هذا مستعمل في العرف فان من نصح انسانا فلم يقبل منه حتى قتل او صلب ومر به
ناصحه فانه يقول له كم نصحتك يا اخي فلم تقبل حتى اصابك هذا وفايدة هذا القول
حث السامعين له على قبول النصيحة ممن ينصحهم لئلا يصيبهم ما اصاب المنصوح الذي
لم يقبل النصيحة حتى هلك **فان قيل** لم قال شعيب عليه السلام لقومه ولا تفسدوا في

الارض بعد اصلاحها وهم مازالوا كافرين مفسدين لا مصلحين قلنا معناه بعد
ان اصلحها الله تعالى بالامر بالعدل وارسال الرسل وقيل معناه بعد ان اصلح الله
تعالى اهلها بحذف المضاف وقيل معناه بعد الاصلاح فيها اى بعد ما اصلح فيها الصالحون
من الانبياء واتباعهم العاملين بشرايعهم فاضافته كاضافة قوله تعالى بل مكرهم في
الليل والنهار فان قيل كيف خاطبوا شعيبا عليه السلام بالعود في الكفر بقولهم لنخرجنك
يا شعيب والذين امنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا وهو اجابهم بقوله ان عدنا
في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وهو لم يكن في ملتهم قط لان الانبياء عليهم السلام لا يجوز عليهم
شيء من الكباير خصوصا الكفر قلنا العرب تستعمل عاد بمعنى صار ومنه قوله تعالى
حتى عاد كالعرجون القديم الثاني انهم قالوا ذلك على طريق تغليب الجماعة على الواحد لانهم
عطفوا على ضميره الذين امنوا منهم بعد كفرهم فجعلوهم عائدين جميعا اجراء للكلام على حكم التغليب
وعلى ذلك اجرى شعيب عليه السلام جوابه ومراده عود قومه المعطوفين عليه فان قيل
لم قال فرعون فات بها بعد قوله ان كنت جئت باية قلنا ان كنت جيت باية من عند الله
باية فاتني بها اى احضرها عندي فان قيل كيف قال تعالى هنا قال الملا من قوم فرعون
ان هذا لساحر عليم وقال في سورة الشعراء قال للملا حوله ان هذا لساحر عليم فنسب
هذا القول الى فرعون قلنا قاله هو وقالوه هم فحكى قوله ثم وقولهم هنا فان قيل
السحرة انما سجدوا لله تعالى طوعا لما تحققوا معجزة موسى عليه السلام فكيف قال تعالى
والقى السحرة ساجدين قلنا لما زالت كل شبهة لهم بما عاينوا من ايات الله تعالى
على يد نبيه ثم اضطرهم ذلك الى مبادرة السجود فصاروا من غاية المبادرة كانهم
القوا السجود تصديقا لله ولرسوله فان قيل كيف قال الله تعالى هنا حكاية عن
السحرة الذين امنوا وعن فرعون قالوا امنا برب العالمين الى قوله تعالى وتوفنا مسلمين
ثم حكى عنهم هذا المعنى في سورة طه وسورة الشعراء بزيادة ونقصان في الالفاظ المنسوبة
اليهم وهذه الواقعة ما وقعت الا مرة واحدة فكيف اختلفت عباراتهم فيها قلنا الجواب عنه
انهم انما تكلموا بذلك بلغتهم لا باللغة العربية وحكى الله تعالى ذلك عنهم باللغة العربية مرارا
لحكمة اقتضت التكرار والاعادة نبينها في سورة الشعراء ان شاء الله تعالى فمرة حكاه مطابقا
للفظهم في الترجمة رعاية للفظ وبعد ذلك حكاه بالمعنى جريا على عادة العرب في النقص

في الكلام والمخالفة بين اساليبه لئلا يمل اذا محض تكراره فان قيل كيف قالوا مهما
تاتنا به من اية لتسحرنا بها سموها اية ثم قالوا لتسحرنا بها قلنا ما سموها
اية لاعتقادهم انها اية بل حكاية لتسمية موسى عليه السلام على طريق الاستهزاء والسخرية
فان قيل كيف الجمع بين قوله تعالى ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا
يعرشون اى اهلكنا وقوله تعالى فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم
كذلك واورثناها بني اسرائيل قلنا معناه ودمرنا اى ابطلنا ما كان يصنع فرعون
وقومه من المكر والكيد في حق موسى عليه السلام وما كانوا يعرشون اى يبنون
من الصرح الذى امر فرعون هامان ببنائه ليصعد بواسطته الى السماء لان التدمير
يكون بمعنى الاهلاك ويكون بمعنى الابطال وقيل هو على ظاهره لان الله تعالى اورث
ذلك على بني اسرائيل مدة ثم دمره جميعه فان قيل قوله تعالى واذ نجيناكم من آل فرعون
يسومونكم سوء العذاب يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم
قوله وفي ذلكم ان كان اشارة الى الانجاء فليس فيه بلاء بل هو محض نعمة وان كان اشارة
الى القتل والاستحياء فاضافته الى آل فرعون بقوله تعالى وفي ذلكم بلاء من آل فرعون عظيم
اشد مناسبة لسياق الاية وهو الامتنان ولهذا قال يقتلون ويستحيون فاضاف
اليهم الفعلين قلنا البلاء مشترك بين النعمة والمحنة لانه من الابتلاء وهو الاختبار
يقال بلاه وابتلاه اى اختبره والله تعالى يختبر شكر عبده بالنعمة ويختبر صبره
بالمحنة يؤيده قوله تعالى وبلوناهم بالحسنات وقوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة فمعنى
الاية وفي ذلك الانجاء نعمة عظيمة من ربكم فان قيل قوله تعالى وواعدنا موسى
ثلثين ليلة واتممناها بعشر المواعدة كانت امره بالصوم في هذا العدد فكيف ذكر
الليالى مع انها ليست محلا للصوم بل يقع في القلب ان ذكر الايام اولى لانها محل
الصوم الذى وقعت به المواعدة قلنا العرب في الغالب تواريخها انما تذكر الليالى
وان كان مرادها الايام لان الليل هو الاصل في الزمان والنهار عارض لان الظلمة
سابقة في الوجود على النور وقيل انه كان في شريعة موسى عليه السلام جواز صوم
الليل فان قيل ما فائدة قوله تعالى فتم ميقات ربه اربعين ليلة وقد علم مجموع الميقات
من قوله تعالى وواعدنا موسى ثلثين ليلة واتممناها بعشر قلنا فيه فوائد احداها

التاكيد الثانية ان يعلم ان العشر ليال لا ساعات الثالثة ان لا يتوهم ان العشر
التي وقع بها الاتمام كانت داخلة في الثلثين يعني كانت عشرين واتمت بعشر كما في قوله
تعالى وبارك فيها واقوات فيها في اربعة ايام على ما ذكرناه مشروحا في سورة حم السجدة **فان قيل**
لم قال موسى عليه السلام وانا اول المؤمنين وقد كان قبله كثير من المؤمنين وهم الانبياء
ومن آمن بهم **قلنا** معناه وانا اول المؤمنين بانك لا ترى بالحاسة الفانية من الجسد
الفاني في دار الفناء وقيل معناه وانا اول المؤمنين من بني اسرائيل في زماني وقيل اراد
بالاول الاقوى والاكمل في الايمان يعني لم يكن طلبي للروية لشك عندي في وجودك او لضعف
في ايماني بل لطلب مزيد الكرامة **فان قيل** كيف قال وأمر قومك يأخذوا باحسنها وهم
يأمرون بالعمل بكل ما في التورية **قلنا** معناه بحسنها وكلها حسن الثاني انهم امروا فيها
بالخير ونهوا عن الشر وفعل الخير احسن من ترك الشر الثالث ان فيها حسنا
واحسن كالاقتصاص والعفو والانتصار والصبر والواجب والمندوب والمباح فامروا
بالاخذ بالعزايم والفضايل وما هو الاكثر ثوابا **فان قيل** كيف قال تعالى واتخذ قوم موسى
من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار واتخاذهم العجل انما كان في زمن موسى عليه السلام
بالنقل وفي سياق الايات ما يدل على ذلك **قلنا** معناه من بعد ذهابه الى الجبل وقيل من بعد
عهده عليهم ان لا يعبدوا غير الله **فان قيل** كيف عبر عن الندم بالسقوط في اليد في قوله تعالى
ولما سقط في ايديهم واي مناسبة بينهما **قلنا** لان من عادة من اشتد ندمه وحسرته على
فايت ان يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها لان فاه قد وقع فيها وسقط مسند
المعول في ايديهم وهو من كنايات العرب كقولهم للنايم ضرب على اذنه **فان قيل** كيف
قال تعالى غضبان اسفا وهما متقاربان في المعنى **قلنا** الاسف الحزين وقيل الشديد
الغضب ففيه فائدة جديدة **فان قيل** كيف قال تعالى اخذ الالواح وفي نسختها ولم يقل
وفيها وانما يقال نسخة الشيء كتبت مرة ثم نقل فاما اول مكتوب لا يسمى نسخة والالواح
لم تنقل من مكتوب آخر **قلنا** لما القى الالواح قيل انه انكسر منها لوحان فنسخ ما فيهما
في لوح ذهب وكان فيهما الهدى والرحمة وفي باقي الالواح تفصيل كل شيء وقيل انما قال
وفي نسختها لان الله تعالى لقن موسى عليه السلام التورية ثم امره بكتابتها فنقلها من
صدره الى الالواح فسماها نسخة **فان قيل** كيف قال تعالى واتبعوا النور الذي انزل معه

يعني القران والقران انما انزل مع جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم لا مع النبي
قلنا معه اي مقارنا لزمانه وقيل معه اي عليه وقيل معه اي اليه ويجوز ان يتعلق
معه باتبعوا لا بانزل معناه واتبعوا القران المنزل مع اتباع النبي عليه السلام والعمل
بسنته او واتبعوا القران كما اتبعه مصاحبين له في اتباعه **فان قيل** كيف قال
تعالى فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم وهم انما بدلوا القول الذي
قيل لهم لانهم قيل لهم قولوا حطة فقالوا حنطة **قلنا** قد سبق هذا السوال وجوابه
في سورة البقرة **فان قيل** كيف قال تعالى قلنا لهم كونوا قردة خاسئين وانتقالهم من
صور البشر الى صور القردة ليس في قدرتهم **قلنا** قد سبق ايضا هذا السوال
وجوابه في سورة البقرة **فان قيل** الحليم من صفات الله تعالى فكيف قال ان
ربك لسريع العقاب وسرعة العقاب تنافي صفة الحلم لان الحليم هو الذي
لا يتعجل بالعقوبة على العصاة **قلنا** معناه شديد العقاب وقيل معناه سريع العقاب
اذا جاء وقت عقابه لا يرده عنه احد **فان قيل** التمسك بالكتاب يشتمل على كل عبادة
ومنها اقامة الصلوة فكيف قال تعالى والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلوة
قلنا انما خصها بالذكر اظهارا لمزيتها لكونها عماد الدين بالحديث وناهية عن
الفحشاء والمنكر بالاية **فان قيل** قوله تعالى فمثله كمثل الكلب تمثيل لحال بلعم فكيف
قال بعده ساء مثلا القوم الذين كذبوا باياتنا والمثل لم يضرب الا لواحد **قلنا**
المثل في الصورة وان ضرب لبلعم ولكن اريد به كفار مكة كلهم لانهم صنعوا مع النبي
عليه السلام بسبب ميلهم الى الدنيا وشهواتها من الكيد والمكر ما اشبه فعل بلعم مع موسى
عليه السلام الثاني ان ساء مثلا القوم راجع الى قوله تعالى ذلك مثل القوم الى اول
الاية **فان قيل** كيف قال ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون وهو عليه السلام
كان نذيرا وبشيرا للناس كافة كما قال تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا
ونذيرا **قلنا** المراد بقوله لقوم يؤمنون لقوم كتب لهم في الازل انهم يؤمنون وانما
خصهم بالذكر لانهم هم المنتفعون بالانذار والبشارة دون غيرهم فكانه نذير وبشير
لهم خاصة كما قال تعالى انما انت منذر من يخشاها ويجوز ان يكون متعلق النذير محذوفا
تقديره ان انا الا نذير للكافرين وبشير لقوم يؤمنون فاستغنى بذكر احدهما عن الاخر

كما استغنى بالجملة عن التفصيل في تلك الاية لان المعنى وما ارسلناك الا كافة للناس
بشيرا للمؤمنين ونذيرا للكافرين **فان قيل** كيف قال الله تعالى حكاية عن آدم وحواء
جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون والانبياء معصومون عن مطلق
الكباير فضلا عن الشرك الذي هو اكبر الكباير **قلنا** المراد بقوله تعالى جعلا له
اي جعل اولادهما بطريق حذف المضاف وكذا قوله تعالى فيما اتاهما اي فيما آتى اولادهما
ويؤيد هذا قوله تعالى فتعالى الله عما يشركون حيث ذكر ضمير الجمع ولم يقل يشركان
ومعنى اشراك اولادهما فيما اتاهم الله تسميتهم اولادهم بعبد العزى وعبد مناة
وعبد شمس ونحو ذلك مكان عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم وقيل الضمير في
جعلا للولد الصالح وهو السليم الخلق وانما قال جعلا لان حواء كانت تلد في كل بطن
ذكرا وانثى وقيل المراد بذلك تسميتهما اياه عبد الحارث والحارث كان اسم ابليس
في الملائكة وسبب تلك التسمية يعرف من تفسير الاية وانما قال شركاء اقامة للواحد
مقام الجمع ولم يذهب ادم وحواء الى ان الحارث ربه بل قصدا انه كان سبب نجاته
وذهب جمهور المفسرين قوله فتعالى الله عما يشركون في مشركي العرب خاصة وهو منقطع
انفال عن قصة ادم وحواء **سورة انفال فان قيل** قوله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله
وجلت قلوبهم الى اخر الايتين يدل على ان من لم يتصف بجميع تلك الصفات لا يكون مؤمنا
لان كلمة انما للحصر **قلنا** فيه اضمار تقديره انما المؤمنون ايمانا كاملا وانما كاملوا الايمان
كما يقال الرجل من صبر على الشدائد يعني الرجل الكامل **فان قيل** قوله تعالى اولئك هم
المؤمنون حقا ينفي ارادة ما ذكرتم **قلنا** معناه اولئك هم المؤمنون ايمانا كاملا حقا وقيل
ان حقا متعلق بما بعده لا بما قبله والمؤمنون تمام الكلام **فان قيل** كيف قال ان الايمان
لا يقبل الزيادة والنقصان وقد قال الله تعالى واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا **قلنا**
المراد بالايمان هنا اثار الايمان من الطمانينة واليقين والخشية ونحو ذلك لان تظاهر
الادلة على المدلول مما يزيده رسوخا في العقائد وثبوتا واما حقيقة الايمان هو
هو التصديق والاقرار بوحدانية الله تعالى وكمالات الالهية والوحدانية لا يقبل الزيادة
والنقصان فكذا الاقرار بها ويؤيد ما قلنا قوله اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي
ولم يقل ولكن ليزيد لي ايمانا **فان قيل** قوله تعالى كما اخرجك ربك من بيتك بالحق

تشبيه

تشبيه فاين المشبه والمشبه به **قلنا** معناه امض على ما رايته صوابا من تنفيل
الغزاة في قسمة الغنايم وان كرهوا كما مضيت في خروجك من بيتك للحرب بالحق
وهم كارهون وقيل معناه فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم فهو خير لكم وان كرهتم كما
كان اخراجك من بيتك بالحق خيرا لهم وهم كارهون وقيل معناه اولئك هم المؤمنون
حقا كما اخرجك ربك من بيتك بالحق **فان قيل** كيف قال تعالى ليحق الحق ويبطل
الباطل وكلاهما متعذر لانه تحصيل الحاصل **قلنا** المراد بالحق الايمان وبالباطل
الشرك فاندفع السوال **فان قيل** ما فائدة التكرار في قوله تعالى ويريد الله ان يحق
الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق **قلنا** انما ذكره اولا لبيان ان ارادتهم
كانت متعلقة باختيار الطائفة التي كانت فيها الغنيمة وارادة الله تعالى باختيار
الطائفة التي فيها نصرة الدين فذكره اولا للتمييز بين الارادتين ثم ذكره ثانيا
لبيان الحكمة في قطع دابر الكافرين **فان قيل** كيف قال تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم
وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ومعلوم ان المؤمنين يوم بدر قتلوا الكفار ورماهم
النبي عليه السلام بكف من حصبا الوادي في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق
مشرك الا وقع في عينيه شيء من ذلك فشغلوا بعيونهم وانهزموا فتبعهم المؤمنون
يقتلون ويأسرون **قلنا** لما كان السبب الاقوى في قتلهم انما هو مدد الملائكة والقاء
الرعب في قلوب الكافرين وتثبيت قلوب المؤمنين واقدامهم وذلك كله فعل الله تعالى
نفى الفعل عنهم ونسبه اليه يعني ان كان ذلك في الصورة منكم فهو في الحقيقة مني فسبيلكم
الشكر دون العجب والفخر وكذلك الرمية اثبتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لان
صورتها وجدت منه ونفاها عنه لان اثرها الذي لا يوجد مثله عن رمي البشر فعل الله
عز وجل ونظير هذا قولك لمن يصدر عنه قول خشن او فعل مكروه بتسليط من هو
اعلا رتبة منه هذا ليس قولك ولا فعلك وقيل معنى قوله تعالى وما رميت اذ رميت
وما رميت الرعب في قلوبهم اذ رميت الحصباء في وجوههم ولكن الله رمى الرعب في قلوبهم
ولاهل الحقيقة في هذه الاية وفي نظايرها من الكتاب والسنة مباحث لا يحتملها هذا المختصر
وهي مستقصاة في كتب التصوف **فان قيل** كيف قال تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله
ورسوله ولا تولوا عنه ثنى في الامر ثم افرد في النهي **قلنا** كما يذكر في لغة العرب الاسم المفرد

نفعني به

ويراد به الاثنان والجمع وكذلك يذكر ضمير المفرد ويراد به ضمير الاثنين كقولهم انعامُ

فلان ومعروفُه تعشني والانعامُ والمعروف لا انفع مع فلان وعليه جاء قوله تعالى

والله ورسوله احق ان يرضوه اي يرضوهما فكذا هنا معناه ولا تولوا عنهما الثاني ان

طاعة الله وطاعة رسوله لما كانت شيئا واحدا حكما كقوله تعالى من يطع الرسول

فقد اطاع الله وقوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله كان الاعراض عن

عن الرسول اعراضا عن الله تعالى واكتفى بذكره الثالث ان معناه ولا تولوا عن هذا الامر

وعن امتثاله فالضمير للامر لا للرسول عليه السلام الرابع انه انما لم يقل ولا تتولوا

عنهما لما يلزم منه الخلاف ما الادب من النبي عليه الصلوة والسلام عند نهيه للكفار

في قرانه بين اسمه واسم الله عز وجل في ذكرهما بلفظ واحد من غير تقديم اسم الله

تعالى كما روي ان خطيبا خطب فقال من اطاع الله ورسوله فقد رشد ومن عصاهما فقد

غوى فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بئس خطيب القوم انت هلّا قلت ومن عصى

الله ورسوله فقد غوى **فان قيل** ما معنى قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم الاية

قلنا معناه ولو علم الله فيهم تصديقا وايمانا في المستقبل لانطق لهم الموتى يشهدون

بصدق نبوتك كما طلبوا وقيل معنى لاسمعهم لرزقهم الله الفهم والبصيرة ولو اسمعهم

وحالهم هذه الحالة وهو انه لم يعلم فيهم الخير لتولوا وهم معرضون **فان قيل** التولي

والاعراض واحد فما فائدة قوله تعالى لتولوا وهم معرضون **قلنا** معناه لتولوا عن الايمان

وهم معرضون عن البرهان فلا تكرار **فان قيل** ما فائدة ذكر السماء في قوله تعالى فامطر

علينا حجارة من السماء والمطر انما يكون من السماء **قلنا** المطر المطلق انما يكون من السماء

ولكن المطر المضاف هنا وهو مطر الحجارة قد يكون من رؤوس الجبال ومن حيطان

المساكن والقصور وسقوفها فكان ذكر السماء مفيدا لان الحجارة اذا نزلت من السماء

كانت اشد نكايةً واكثر ضررًا الثاني انه لما كانت الحجارة المسومةُ للعذاب وهي السجيل

معهودة النزول من السماء ذكر السماء اشارةً الى ارادةِ المعهود من الحجارة كانه قال فامطر

علينا حجارة من سجيل فوضع قوله من السماء موضع قوله من سجيل كما يقول صبّت عليه

مسرودة من حديدٍ يعني درعًا **فان قيل** كيف قال تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم

ويوم بدر عذبهم الله تعالى بالقتل والاسر وهو فيهم **قلنا** معناه وانت مقيم بمكة وكان كذلك

لان النبي صلى الله عليه وسلم ما دام بمكة لم يعذبوا فلما اخرجوه من مكة

وخرجوا ~~الى اهله~~ لحربه عذّبوا وقيل وما كان الله ليعذبهم عذاب الاستيصال

وانت فيهم وقيل معناه وما كان الله ليعذبهم العذاب الذي طلبوه وهو

امطار الحجارة **فان قيل** كيف قال تعالى اولا وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم الاية

ثم قال تعالى وما لهم الّا يعذبهم الله وهو يوهم التناقض **قلنا** معناه وما لهم

الّا يعذبهم بعد خروجك من بينهم وخروج المؤمنين المستغفرين وقيل المراد

بالعذاب الاول عذاب الاستيصال وبالثاني عذاب غير الاستيصال وقيل

المراد بالاول عذاب الدنيا وبالثاني عذاب الاخرة **فان قيل** كيف قال تعالى

وما كان صلوتهم عند البيت الّا مُكاءً وتصديةً والمكاء الصفير والتصدية التصفيق

وهما ليسا بصلوةٍ **قلنا** معناه انهم اقاموا المكاء والتصدية مقام الصلوة كما يقول

القائل وزرتُ فلانا فجعل الجفاءَ صِلَتي اي اقام الجفاءَ مُقام الصلةِ ومنه قول

الفرزدق اخافُ زِيادًا ان يكون عطاءَهُ اداهمَ سُودًا او مُحدرجةً سُمْرا

اراد بالاداهم القيودَ وبالمحدرجةِ السياطَ ووضعهما موضع العطاء **فان قيل**

كيف قال تعالى قل للذين كفروا انْ ينتهوا يُغفرْ لهم ما قد سلف وان يعودوا وهم لم ينتهوا

عن الكفر فكيف قال وان يعودوا والعود الى الشيء انما يكون بعد تركه والاقلاع عنه

قلنا معناه ان ينتهوا عن عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحاربته يُغفر لهم

ما قد سلف من ذلك وان يعودوا الى قتاله وعداوته فقد مضت سنّة الاولين

منهم الذين حاق بهم مكرهم يوم بدرٍ او فقد مضت سنّة الذين تحزّبُوا على انبيائهم

من الامم الماضية وقيل معناه ان ينتهوا عن الكفر بالايمان يغفر لهم ما قد سلف

من الكفر والمعاصي كما قال النبي صلى الله عليه وسلم الاسلامُ يَجُبُّ ما قبلَه وان

يعودوا الى الكفرِ بالارتدادِ بعد ما اسلموا فقد مضت سنة الاولين من الامم في

اخذهم بعذابِ الاستيصال **فان قيل** الفائدة في تقليل الكفار في اعين المؤمنين

ظاهرة وهي زوال الرعب من قلوب المؤمنين في اعين الكفار حتى قال تعالى ويقللكم

في اعينهم مع ان في ذلك زوال الرعب من قلوب الكافرين وتثبيت اقدامهم وزيادةَ

اجترائهم على القتال **قلنا** فائدته ان لا تستعدَّ الكفارُ كلَّ الاستعدادِ وان يجترئوا

العرج اليابس

اي يجمعوا

ونزلت البسملة بينهما عملا بقول من قال هما سورة واحدة وممن قال بذلك قتادة
رضي الله عنه الثاني ان اسم الله تعالى سلام وامان فلا يناسب كتابته النبذ
والمحاربة فان قيل لم قال تعالى وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا
في دينكم فقاتلوا ايمة الكفر خص الامر بالقتال بايمة الكفر مع ان النكث والطعن
ليس مخصوصا بهم بل هو مسند الى جميع المشركين قلنا المراد بايمة الكفر رؤوس
المشركين وقادتهم وقيل كفار مكة لانهم كانوا قدوة جميع العرب في الكفر وكان
النكث والطعن لم يوجد الا منهم لما كانوا ائمة الاصول فيه فلذلك خصهم بالذكر قال
قيل كيف قال وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ونحن
نسال اليهود والنصارى ذلك فينكرونه ويجحدونه قلنا طائفة من اليهود وطائفة
من النصارى هم الذين يقولون ذلك لا كلهم والالف واللام للعهد لا للجنس او اطلق
اسم الكل واراد البعض كما قال تعالى واذ قالت الملائكة يا مريم وانما قال لها جبريل
عليه السلام وحده فان قيل ما فائدة قوله تعالى ذلك قولهم بافواههم وقول كل احد
انما يكون بفيه قلنا معناه انه قول لا يعضده حجة وبرهان انما هو مجرد لفظ لا اصل له
وقيل ذكر ذلك للمبالغة في الرد عليهم والانكار لقولهم كما يقول الرجل لغيره انت قلت
لي ذلك بلسانك فان قيل دين الحق هو من جملة الهدى فما فائدة عطفه على الهدى في قوله
تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق قلنا المراد بالهدى هنا القران وبدين
الحق الاسلام وهما متغايران الثاني انه وان كان داخلا في جملة الهدى ولكنه خصه بالذكر
تشريفا له وتفضيلا كما في قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوله تعالى قال صح
وملائكته وجبريل وميكال فان قيل كيف قال تعالى ليظهره على الدين كله ولم يقل على
الاديان كلها مع انه اظهره على الاديان كلها قلنا المراد بالدين هنا اسم الجنس واسم الجنس
المعرف باللام يفيد معنى الجمع كما في قولهم كثر الدرهم في ايدي الناس فان قيل كيف قال
تعالى ولا ينفقونها في سبيل الله والمذكور الذهب والفضة فاعاد الضمير على احدهما
قلنا اعاد الضمير الى الفضة لانها اقرب المذكورين او لانها اكثر وجودا في ايدي الناس
فيكون كنزها اكثر ونظيره قوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلوة وانها لكبيرة
الثاني انه اعاد الضمير على المعنى لان المذكور دنانير ودراهم واموال ونظيره قوله

المؤمنين
تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا لان كل طائفة مشتملة على عدد كثير وكذا قوله تعالى
هذان خصمان اختصموا في ربهم يعني المؤمنين والكافرين الثالث ان العرب اذا ذكرت
شيئين مشتركين في المعنى تكتفي باعادة الضمير على احدهما استغناء بذكره عن ذكر
الاخر لمعرفة السامع باشتراكهما في المعنى ومنه قول حسان بن ثابت ان شرخ
الشباب والشعر الاسود ما لم يعاص كان جنونا ولم يقل ما لم يعاصيا وقول
الاخر فمن يك امسى بالمدينة رحله فاني وقيار بها لغريب ولم يقل لغريبان
ومنه قوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا
الله ورسوله ولا تولوا عنه وليس قوله تعالى واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها
ولا قوله تعالى ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا من هذا القبيل
لان الاخبار ثم عن احدهما لوجود لفظة او وهي لاثبات احد المذكورين فجعله
نظير هذا وقد سبق الان نثبت ان او في هاتين الايتين بمعنى الواو وفي هاتين الايتين
لطيفة وهي ان الكلام لما اقتضى اعادة الضمير على احدهما اعاده في الاية الاولى على
التجارة وان كانت ابعد ومونثة ايضا لانها اجذب لقلوب العباد عن طاعة الله
تعالى من اللهو بدليل ان المشتغلين بها اكثر من المشتغلين باللهو او لانها اكثر نفعا
من اللهو او لانها كانت اصلا واللهو تبعا لانه ضرب بالطبل لقدومها على ما عرف
من تفسير الاية واعاده في الاية الثانية على الاثم رعاية لمرتبة القرب والتذكير
قال قيل ما فائدة قوله تعالى ان عدة الشهور اثنا عشر شهرا وهي عند الناس كذلك
ايضا في كل ملة سواء كانت الشهور قمرية او شمسية قلنا فائدته ان يعلم ان هذا
التقسيم والعدد ليس مما احدثه الناس وابتدعوه بعقولهم من ذوات انفسهم وانما هو
امر انزله الله تعالى في كتبه على السنة رسله فان قيل لم قال تعالى فلا تظلموا
فيهن انفسكم خص الاربعة الحرم بذلك وظلم النفس منهي عنه في كل زمان قلنا
قال ابن عباس رضي الله عنه الضمير في قوله تعالى فيهن راجع الى قوله اثنا عشر شهرا
لا الى الاربعة الحرم فقط فاندفع السوال الثاني ان الضمير راجع الى الاربعة الحرم
اما لانها اقرب او لما قاله الفراء ان العرب تقول في العشر وما دونها لثلاث ليال
خلون وايام خلون وهن وهولاء فاذا جاوزت العشر قالت خلت ومضت للفرق

من القليل والكثير وهو ما زاد عليها ولهذا قال في الاثني عشر منها وقال في
الاربعة فيهن فعلى هذا يكون تخصيصها بالذكر لمزيد فضلها وحرمتها عندهم
في الجاهلية فيكون ظلم النفس فيها اقبح ونظيره قوله تعالى فلا رفث ولا فسوق
ولا جدال في الحج وان كان ذلك منهيا عنه في غير الحج ايضا او لان المراد بالظلم النسيء
وهو كان مخصوصا بها او قتال الكفار فيها ابتداء او ترك قتالهم اذا ابتدءوا وكل ذلك
مخصوص بها فان قيل كيف قال تعالى فيهن والشهر مذكر وقياسه فيها قلنا
الضمير بالهاء والنون لا يختص بالمؤنث ولو اختص فالمراد بقوله تعالى فيهن ساعات
الاشهر وهي مؤنثة فان قيل كيف قال تعالى فلا تظلموا فيهن انفسكم والانسان
لا يظلم نفسه بل يظلم غيره قلنا لا نسلم انه لا يظلم نفسه قال تعالى ومن يعمل سوءا
او يظلم نفسه وقال تعالى ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه الثاني ان معناه
ولا يظلم بعضكم بعضا كما قال تعالى واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم وقال
فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم وقال ولا تلمزوا انفسكم الثالث ان معناه ولا تنقصوا
حظ انفسكم من الاجر بالمعصية فان من عصى فقد ظلم نفسه بنقصه ثوابها
وتوجيه العقاب والالم اليها واليه الاشارة بقوله تعالى ومن يتعد حدود الله فقد
ظلم نفسه الرابع ان كل ظالم لغيره فهو ظالم لنفسه في الحقيقة لان ضرر ظلمه في حق المظلوم
ينقطع عن قريب لانه لا يتعدى الدنيا وضرر ظلمه في حق نفسه يراه في الاخرة حيث
لا ينقطع ويكون اشد وادوم فان قيل قوله تعالى انما النسيء زيادة في الكفر يدل على قبول
الكفر للزيادة والنقصان فكذلك الايمان الذي هو ضده فيكون حجة للشافعي رحمه الله في
الايمان يقبل الزيادة والنقصان قلنا معناه زيادة معصية في الكفر فان قيل قوله
تعالى لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر ان كان نهيا فاين الجزم وان كان
نفيا فقد وقع المنفي لان كثيرا من المؤمنين المخلصين استاذنوه في التخلف عن الجهاد
لعذر ويعضده قوله تعالى انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه
على امر جامع لم يذهبوا حتى يستاذنوه قيل ان المراد به كل امر طاعة اجتمعوا معه عليه
كالجهاد والجمعة والعيد ونحوها قلنا هو نهي بصيغة النفي كقوله تعالى فلا رفث ولا فسوق
ولا جدال في الحج الثاني قال ابن عباس رضي الله عنه هي منسوخة بقوله تعالى لم يذهبوا حتى

يستاذنوه الثالث ان المراد بقوله تعالى لا يستاذنك الاية الاستئذان في التخلف
عن الجهاد من غير عذر وكذا بالاية التي بعدها وبقوله لم يذهبوا حتى يستاذنوه
اباحة الاستئذان في التخلف عن الامر الجامع لعذر فلا نسخ لامكان العمل بالايتين
لان محل الحكم مختلف وهو وجود العذر وعدمه فان قيل كيف قال تعالى وقيل اقعدوا
مع القاعدين اخبر انهم امروا بالقعود وذمهم على القعود والتخلف عن الخروج للجهاد
والاستئذان في القعود قلنا ليس في الاية ما يدل على ان الله تعالى هو الامر لهم وقيل
الامر لهم بذلك هو الشيطان بالوسوسة والتزيين الثاني ان بعضهم امر بعضا
الثالث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم ذلك غضبا عليهم الرابع انه امر توبيخ
وتهديد من الله تعالى لهم كقوله تعالى اعملوا ما شئتم ويعضده قوله تعالى مع القاعدين
اي مع النساء والصبيان والزمنى الذين شانهم القعود والجثوم في البيوت فان قيل
اذا كان الله تعالى قد علم ان المنافقين لو خرجوا مع المؤمنين للجهاد ما زادوهم الا خبالا
اي فسادا ولاوضعوا خلالهم اي ولاسرعوا السعي بينهم بالنمائم فكيف امرهم بالخروج
مع المؤمنين قلنا امرهم بالخروج لالزامهم الحجة ولاظهار نفاقهم فان قيل قوله
تعالى قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم انكم كنتم قوما فاسقين يدل على ان الفسق
يمنع قبول الطاعة قلنا المراد بالفسق هنا الفسق بالكفر والنفاق لا مطلق الفسق
وذلك محبط للطاعات ومانع من قبولها ويعضده قوله تعالى وما منعهم ان يقبل منهم
نفقاتهم الاية فان قيل لم عدل في اية الصدقات عن اللام الى في في المصارف الاربعة
الاخيرة قلنا للتنبيه على انهم اقوى في استحقاق الصدقة ممن سبق ذكره لان في للظرفية
والوعاء فنبه بها على انهم احقاء بان توضع فيهم الصدقات ويجعلوا مصبا لها وذلك
لما في فك الرقاب من الكتابة او الرق او الاسر وفي فك الغارمين من الدين من التخليص
والانقاذ ولجمع الغازي الفقير او المنقطع في الحج الفقير بين الفقر ومثل هذه العبادة
الشاقة وكذلك ابن السبيل جامع بين الفقر والغربة عن الاهل والمال ولام
المؤلفة قلوبهم لان بعضهم كفار وبعضهم مسلمون ضعيفوا النية في الاسلام
فكيف يعارض بهم من ذكرنا او لان الله تعالى علم ان وجوب اعطائهم سينسخ
فلذلك جعلهم في القسم المقدم الذي هو اضعف فان قيل لم كرر في في الاربعة الاخيرة

ولم تكرر اللام فى الاربعة الاولى **قلنا** للتنبيه على ترجيح استحقاق المصرفين الاخيرين على الرقاب والغارمين من جهة ان اعادة العامل تدل على مزيد قوة وتاكيد كقولك مررت بزيد وبعمرو **فان قيل** لم عُدِّى فعل الايمان الى الله تعالى بالباء والى المومنين باللام فى قوله تعالى يومن بالله ويومن للمومنين **قلنا** لانه قصد التصديق بالله الذى هو ضد الكفر به فعداه بالباء كما تعدى ضده بها وقصد التسليم والانقياد للمومنين فيما يخبرونه به لكونهم صادقين عنده فعداه بما تعدى به التسليم والانقياد ونظيره قوله تعالى وما انت بمومن لنا ولو كنا صادقين وقوله تعالى افتطمعون ان يومنوا لكم وقوله تعالى فما امن لموسى الا ذرية من قومه وقوله تعالى انومن لك واتبعك الارذلون واما قوله تعالى قال امنتم له قبل ان اذن لكم فمشكل الدلالة لانه قال فى موضع اخر قال امنتم به وقال ابن قُتَيْبَة فى الجواب عن اصل السوال ان الباء واللام زايدتان والمراد بالايمان التصديق فمعناه يصدق الله ويصدق المومنين **فان قيل** قوله تعالى الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم خالدا فيها يدل على تخليد اصحاب الكباير فى النار لان المراد بالمحادة المخالفة والمعاداة **قلنا** قوله تعالى الم يعلموا خبرٌ عن المنافقين الذين سبق ذكرهم فيكون المراد به المحادة بالكفر والنفاق وذلك موجب للتخليد فى النار **فان قيل** كيف قال تعالى يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة وسور القران انما تنزل على النبى صلى الله عليه وسلم لا على المنافقين **قلنا** معناه ان تنزل فيهم فعلى هنا بمعنى فى كما فى قوله تعالى على ملك سليمان وقولهم كان ذلك على عهد فلان الثانى ان الانزال هنا بمعنى القراءة فمعناه ان تُقرَاء عليهم **فان قيل** الحذر فى هذه الاية واقع على انزال السورة فكيف قال تعالى قل استهزوا ان الله مخرج ما تحذرون ومناسب اول الاية منزل ما تحذرون **قلنا** قوله مخرج ما تحذرون اى مظهر ما تحذرون ظهوره من نفاقكم بانزال السورة وهو مناسب لقوله تعالى تنبئهم بما فى قلوبهم الثانى ان معناه مظهر ومبرز ما تحذرون من انزال السورة **فان قيل** كيف قال تعالى تنبئهم بما فى قلوبهم وانباؤهم بما فى قلوبهم تحصيل الحاصل لانهم عالمون به فما فايدته **قلنا** معناه تنبئهم باسرارهم وما كتموه من النفاق شايعةً ذايعةً ويفضحهم بظهور ما اعتقدوا انه لا يعرفه

غيرهم

عندهم ولا يطلع عليه سواهم وهذا ليس تحصيل الحاصل **فان قيل** كيف قال تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض وقال بعده والمومنون والمومنات بعضهم اولياء بعض وكلمة مِنْ ادل على المشابهة والمجانسة من حيث انها تقتضى الجزئية والبعضية وكانت بالمومنين اولى واحرى لانهم اشد تشابها وتجانسا فى الصفات والاخلاق **قلنا** المراد بقوله تعالى بعضهم من بعض اى بعضهم على دين بعض اى على عادتهم وخُلقهم باضمار لفظة الدين او الخلق ونحوه لان مِنْ تاتى بمعنى على ومنه قوله تعالى ونصرناه من القوم الذين كذبوا باياتنا وقوله تعالى للذين يولون من نسائهم اى يحلفون على وطى نسائهم وهذا المعنى هو المراد فى قوله عليه السلام فمن رغب عن سنتى فليس منّى وقوله عليه السلام من غَشَّنا فليس منا والمراد بقوله تعالى بعضهم اولياء بعض اى انصارهم واعوانهم فى الدين وكل واحدة من العبارتين صالحة للفريقين الا انه خص المنافقين بتلك العبارة تكذيبا لهم فى حلفهم السابق فى قوله تعالى ويحلفون بالله انهم لمنكم وتقريرا لقوله تعالى وما هم منكم **فان قيل** اى فايدة فى قوله تعالى فاستمتعوا بخلاقهم مع انه قوله تعالى فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتعوا بخلاقهم او كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم بوضع الظاهر موضع المضمر مغنٍ عنه كما قال تعالى وخضتم كالذى خاضوا من غير تكرار **قلنا** فايدته تصدير التشبيه بذم المشبه بهم باستماعهم بما اوتوا من حظوظ الدنيا واشتغالهم بشهواتهم الفانية عن النظر فى العاقبة وطلب الفلاح فى الاخرة وتهجين حالهم وتقبيح صفتهم ليكون التشبيه بعد ذلك ابلغ فى ذم المشبهين باولئك الاولين كما تريد ان تُنَبِّه بعض الظلمة على سماجة فعله فتقول انت مثل فرعون كان تقتل بغير حق وتظلم وتعسف وانت تفعل مثل فعله واما قوله تعالى وخضتم كالذى خاضوا فانه لما كان معطوفا على ما قبله وهو التشبيه المصدر بتلك المقدمة اغنى ذلك عن اعادة تلك المقدمة المذكورة للتقبيح والتهجين **فان قيل** قوله تعالى اولئك حبطت اعمالهم فى الدنيا والاخرة حبوط العمل ان كان عبارة عن بطلان ثوابه فذلك انما يكون فى الاخرة وان كان عبارة عن بطلان منفعته فاعمال المنافقين فى الدنيا ليست باطلة

اى وليس على خلقى

المنفعة لانهم يحقنون بها في حقن دمائهم واموالهم وجريان احكام المسلمين عليهم **قلنا** المراد بالاعمال ان كان نوعي اعمالهم الدينيه والدنيوية فالحبوط في الدنيا راجع الى اعمالهم الدنيوية وهي كيدهم ومكرهم وخداعهم ونفاقهم الذي كانوا يقصدون به اطفاء نور الله تعالى ودفع اياته وبيناته ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون فلم ينالوا من ذلك ما املوه وقصدوه من ابطال دين الله تعالى وستر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والحبوط في الاخرة راجع الى اعمالهم الدينيه وهي عباداتهم وطاعاتهم لانهم فعلوها نفاقا ورياء فبطل ثوابها في الاخرة وان كان المراد باعمالهم مجرد الاعمال الدينيه فحبوطها في الدنيا هو عدم قبولها لان الله تعالى يقبل العبادة في الدنيا ثم يثيب عليها في الاخرة فالمراد بحبوطها في الدنيا عدم قبولها وعدم اطلاق الاسماء الشريفة عليها كالعبادة والقربة والحسنة ونحو ذلك وهذا ضد قوله تعالى واتيناه اجره في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين فدل ان للطاعات اجرا معجلا في الدنيا غير الاجر المؤجل الى الاخرة وهو القبول وحسن الثناء والذكر والقاء المحبة في قلوب الخلق كما قال تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا قيل معناه يحبهم ويحببهم الى عباده من غير سبب بينهم وبينهم يوجب المحبة وكذلك على العكس حال العصاة والفساق يبغضهم ويبغضهم الى عباده من غير سبب بينهم وبينهم يوجب البغض **فان قيل** قوله تعالى وما لهم في الارض من ولي ولا نصير لم خص الارض بالنفي مع ان المنافقين ليس لهم ولي ولا نصير من عذاب الله تعالى في الارض ولا في السماء في الدنيا ولا في الاخرة **قلنا** لما كان المنافقون لا يعتقدون الوحدانية ولا يصدقون بالاخرة كان اعتقادهم وجود الولي والنصير مقصورا على الدنيا فعبر عن الدنيا بالارض وخصها بالذكر لذلك الثاني انه اراد بالارض ارض الدنيا والاخرة فكانه قال وما لهم في الدنيا والاخرة فكانه قال وما لهم في الدنيا والاخرة من ولي ولا نصير **فان قيل** لم خص السبعين بالذكر في قوله تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم مع ان الله تعالى لا يغفر للمنافقين ولو استغفر لهم النبي صلى الله عليه وسلم الف مرة بدليل قوله تعالى سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم ولانهم مشركون والله تعالى لا يغفر ان يشرك به **قلنا** جرت عادة العرب بضرب المثل في الاحاد وفي

العبرات بالسبعين وفي المئات بسبعمائة استعظاما لها واستكثارا لانهم يريدون بذكرها الحصر فكانه قال ان تستغفر لهم اعظم الاعداد واكثرها فلن يغفر الله لهم ويعضده ما ذكره بعد ذلك من بيان الصارف عن المغفرة في قوله تعالى ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله **فان قيل** لو كان المراد ما ذكرتم لما خفي ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم وهو افصح العرب واعلمهم باساليب الكلام وتمثيلاته حتى قال لما نزلت هذه الاية ان الله تعالى قد رخص لي فسازيد على السبعين وفي رواية اخرى فسا استغفر لهم اكثر من السبعين لعل الله ان يغفر لهم **قلنا** لم يخف عليه ذلك وانما اراد بما قال اظهار غاية رحمته ورافته بمن بعث اليهم كما وصفه الله تعالى بقوله لقد جاءكم رسول من انفسكم الاية وفي اظهار النبي صلى الله عليه وسلم الرحمة والرافة لطف لامته وحث لهم على ترحم بعضهم على بعض وهذا اداب الانبياء عليهم السلام الا ترى الى قول ابرهيم عليه السلام ومن عصاني فانك غفور رحيم **فان قيل** كيف قال تعالى ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم والمغفرة والرحمة انما تكون للمسيئين لا للمحسنين **قلنا** معناه والله غفور رحيم للمسيئين اذا تابوا فهو متعلق بمحذوف لا بالمحسنين لانهم قد سدوا باحسانهم طريق العقاب والذم فليس عليهم سبيل فيهما الثاني ان المحسن من الناس وان تناهى في احسانه لا يخلو عن اساءة بينه وبين الله تعالى او بينه وبين الناس لكنه اذا احسن باجتناب الكباير غفر الله له صغاير سيئاته ورحمه كما قال تعالى ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه الاية **فان قيل** قوله تعالى وسيرى الله عملكم ورسوله اي سيعلم لان السين للاستقبال والرؤية من الله تعالى بمعنى العلم والله تعالى عالم بعملهم حالا وما لا **قلنا** معناه سيعلمه واقعا موجودا كما علمه غيبا لان الله تعالى يعلم كل شيء على ما هو عليه فيعلم المنتظر منتظرا ويعلم الواقع واقعا واما في حق الرسول صلى الله عليه وسلم فهو على ظاهره **فان قيل** اذا كان الله تعالى قد وصف العرب بالجهل في القران بقوله تعالى واجدر ان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله فكيف يصح الاحتجاج بالفاظ واشعارهم على كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم **قلنا** هذا

وصف من الله تعالى لهم بالجهل في احكام القران لا في الفاظه ونحن نحتج بلغتهم
في بيان معاني الالفاظ لان القران والسنة جا بلغتهم **فان قيل** كيف قال تعالى
ههنا في صفة المنافقين مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم وقال في موضع اخر
ولتعرفنهم في لحن القول **قلنا** هذه الاية نزلت قبل تلك الاية فلا تناقض
لانه نفى علمه بهم في زمان ثم اثبته بعد ذلك في زمان اخر **فان قيل** قوله
تعالى خلطوا عملا صالحا واخر سيئا قد جعل كل واحد منهما مخلوطا فاين المخلوط به
قلنا كل واحد منهما مخلوط ومخلوط به لان معناه خلطوا كل واحد منهما بالاخر كقولك
خلطت الماء واللبن تريد خلطت كل واحد منهما بصاحبه وفيه من المبالغة ما ليس في
قولك خلطت الماء باللبن لانك بالباء جعلت الماء مخلوطا واللبن مخلوطا به وبالواو
جعلت الماء واللبن مخلوطين ومخلوطا بهما كانك قلت خلطت الماء باللبن واللبن
بالماء ويجوز ان يكون الواو بمعنى الباء كما في قولهم بعت الشاه ودرهما يعنون شاة
بدرهم **فان قيل** كيف قال تعالى والناهون عن المنكر بالواو وما قبلها من الصفات
بغير واو **قلنا** لانها صفة ثامنة والعرب تدخل الواو بعد السبعة ايذانا بتمام
العدد فان السبعة عندهم العقد التام كالعشرة عندنا فاتوا بحرف العطف
الدال على المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه ونظيره قوله تعالى وثامنهم
كلبهم بعد ما ذكر العدد مرتين بغير واو وقوله تعالى في صفة الجنة وفتحت ابوابها
بالواو لانها ثمانية وقال في صفة النار نعوذ بالله منها فتحت ابوابها بغير واو لانها
سبعة وليس قوله تعالى ثيبات وابكارا من هذا القبيل لان الواو لو اسقطت فيه
لاستحال المعنى لتناقض الصفتين وقيل انما دخلت الواو على الناهين عن المنكر
اعلاما بان الامر بالمعروف ناه عن المنكر في حال امره بالمعروف فهما صفتان
متلازمتان بخلاف باقي الصفات فانها ليست متلازمة ولا ينتقض هذا بقوله
تعالى الراكعون الساجدون لانهما ليسا صفتين متلازمتين لان السجود يلزم الركوع
اما الركوع لا يلزم السجود بدليل سجود التلاوة وسجود الشكر والزمخشري رحمه الله
لم يتكلم على هذه الواو **فان قيل** كيف قال تعالى ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون اي
باحسن الذي كانوا يعملون باضمار حرف الجر مع انهم يجزون بحسنه ايضا لقوله تعالى

فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره **قلنا** معناه بحسن الذي كانوا يعملون وهو الطاعات
كلها لا السيئة وهو المعاصي فالاحسن هنا بمعنى الحسن وسياتي في سورة الروم
في قوله تعالى وهو اهون عليه ما يوضح هذا ان شاء الله تعالى الثاني معناه ليجزيهم
الله احسن من الذي كانوا يعملون **فان قيل** قوله تعالى فاما الذين امنوا فزادتهم
ايمانا يدل على ان الايمان يقبل الزيادة **قلنا** قال مجاهد رحمه الله معناه فزادتهم
علما لان العلم من ثمرات الايمان فجعل مجازا عنه **سورة يونس** **فان قيل** يونس
كيف قال تعالى يفصل الايات لقوم يعلمون والله تعالى فصل الايات للعلماء وللجهال
ايضا **قلنا** لما كان تفصيل الايات مخصوصا بالعلماء وانتفاعهم بالتفصيل اكثر اضاف
التفصيل اليهم وخصهم به **فان قيل** كيف قال تعالى واخر دعواهم ان الحمد لله رب
العالمين مع ان اقوال اهل الجنة واحوالهم لا اخر لها لان الجنة دار الخلود **قلنا**
معناه واخر دعائهم في كل مجلس دعاء او ذكر او تسبيح فان اهل الجنة يسبحون ويذكرون
للتنعم والتلذذ بالتسبيح والذكر **فان قيل** قد انكر الله تعالى على الكفار احتجاجهم
بمشيته في قولهم لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا ولهذا لا يجوز للعاصي ان يحتج في وجود
المعصية منه بقوله تعالى لو شاء الله ما تلوته عليكم **قلنا** النبي صلى الله عليه وسلم
قال هذه الحجة بامر الله لان الله تعالى قال له قل لو شاء الله ما تلوته عليكم وللعبد
ان يحتج بمشية الله اذا امره الله تعالى ان يحتج بها اما ليس له ان يحتج بمجرد المشية
وما اورد عوه كذلك **فان قيل** كيف قال تعالى فلما انجاهم اذا هم يبغون في الارض
بغير الحق والبغي لا يكون الا بغير الحق هو التعدي والفساد من قولهم بغى الجرح
اذا فسد كذا قاله الاصمعي فما فائدة التقييد **قلنا** قد يكون الفساد بالحق كاستيلاء
المسلمين على ارض الكفار وهدم دورهم واحراق زروعهم وقطع اشجارهم كما فعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم ببني قريظة **فان قيل** كيف شبه تعالى الحيوة الدنيا
بماء السماء دون ماء الارض فقال انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء **قلنا**
لان ماء السماء وهو المطر لا تاثير لكسب العبد فيه ولا حيلة كما ان الحياة كذلك
لا حيلة للعبد في زيادتها ونقصانها الثاني ان ماء السماء يستوي فيه جميع الخلايق
الوضيع والشريف والغني والفقير وغيرها ايضا كالمدر والحجر والشوك والثمر

ما فعلت هذه المعصية ولا اقيم على حده فكيف قال النبي عليه السلام لو شاء الله صح

كان الحياة كذلك لا حيلة للعبد في زيادتها ونقصانها الثاني ان ماء السماء
يستوي فيه جميع الخلائق الوضيع والشريف والغني والفقير وغيرها ايضا
كان الحياة كذلك وكان تشبيه الحياة بماء السماء اشد مناسبة ومطابقة فإن
قيل كيف قال تعالى هنا ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم وقال
في موضع اخر ولا يكلمهم الله يوم القيامة قلنا يوم القيامة مواقف ومواطن ففي
موقف لا يكلمهم الله وفي موقف يكلمهم الله ونظيره قوله تعالى فيومئذ لا يسال
عن ذنبه انس ولا جان وقوله فوربك لنسئلنهم اجمعين عما كانوا يعملون الثاني
ان المراد انه لا يكلمهم كلام الكرام لا كلام توبيخ وتقريع فإن قيل قوله تعالى قل
من يرزقكم من السماء والارض الى اخر الاية يدل على انهم معترفون بان الله تعالى
هو الخالق والرازق والمدبر لجميع المخلوقات فكيف يعترفون بذلك كلهم ثم يعبدون
الاصنام قلنا كانوا في عبادة الاصنام يتاولون عبادة الله فطائفة كانت تقول نحن لا نتاهل
لعبادة الله تعالى بغير واسطة لعظمته وجلاله ونقصنا وحقارتنا فجعلوا الاصنام
وسائط كما قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وطائفة كانت تقول نتخذ
اصناما على هيئة الملائكة ونعبدها لتشفع لنا الملائكة عند الله تعالى وطائفة كانت
تقول الاصنام قبلة لنا في عبادة الله تعالى كما ان الكعبة قبلة في عبادته وطائفة وهي
الاكثر كانت تقول على كل صنم شيطان موكل به من عند الله تعالى فمن عبد الصنم حق
عبادته قضى الشيطان حوائجه على وفق مراده بامر الله تعالى ومن قصر في عبادته
اصابه الشيطان بنكبة بامر الله تعالى وكل الطوائف من عبدة الاصنام كانوا يعتقدون
بعبادتهم الاصنام عبادة الله والتقرب اليه ولكن بطرق مختلفة فإن قيل كيف
قال تعالى قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده وهم غير معترفين بوجود الاعادة
اصلا من الله تعالى ولا من غيره قلنا لما كانت الاعادة ظاهرة الوجود لظهور برهانها وهو
القدرة على ابتداء الخلق والاعادة اهون بالنسبة الينا الزمهم الاعتراف بها فصار كانهم
مسلمون وجودها من حيث ظهور الحجة ووضوحها فإن قيل كيف قال تعالى فالينا مرجعهم
ثم الله شهيد على ما يفعلون رتب كونه شهيدا على افعالهم على رجوعهم اليه في القيامة مع انه
شهيد على افعالهم في الدنيا والاخرة قلنا ذكر الشهادة واراد مقتضاها ونتيجتها وهو العقاب

والجزاء كانه قال ثم الله معاقب على ما يفعلون او مجاز على ما يفعلون كما قال وما تفعلوا
من خير يعلمه الله ونظيره في القران العزيز كثير فإن قيل كيف قال تعالى بياتا او نهارا
ولم يقل ليلا او نهارا وهو اظهر في المطابقة واكثر استعمالا مع النهار في القران العزيز
وغيره قلنا المعهود المالوف في كلام العرب عند ذكر البطش والاهلاك والوعيد والتهديد
ذكر لفظ البيات سواء قرن به النهار او لا فلذلك لم يقل ليلا فإن قيل كيف قال تعالى
ماذا يستعجل منه المجرمون ولم يقل ماذا يستعجلون منه واول الخطاب للمواجهة قلنا اراد
بذكر المجرمين الدلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الاجرام لان من حق المجرم ان يخاف
التعذيب على اجرامه ويفزع من مجيئه وان ابطا فضلا عن ان يستعجله فإن قيل
كيف قال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا ولم يقل فبذينك والمشار اليه
اثنان الفضل والرحمة قلنا قد سبق مثل هذا السوال وجوابه في سورة البقرة في
قوله تعالى عوان بين ذلك فإن قيل قوله تعالى وما ظن الذين يفترون على الله الكذب
يوم القيامة تهديد لان فيه محذوفا تقديره وما ظنهم ان الله فاعل بهم يوم القيامة
يكذبهم فكيف يناسبه قوله تعالى بعده ان الله لذو فضل على الناس قلنا هو مناسب
لان معناه ان الله لذو فضل على الناس حيث انعم عليهم بالعقل والوحي والهداية وتاخير
العذاب وفتح باب التوبة فكيف يفترون عليه الكذب مع توافر نعمه عليهم فإن
قيل كيف قال تعالى وما تكون في شان وما تتلو منه من قران فافرد ثم قال ولا تعملون
من عمل فجمع والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم قلنا قال ابن الانباري انما جمع
في الفعل الثالث ليدل على ان الامة داخلون مع النبي صلى الله عليه وسلم في الفعلين
الاولين وقال غيره المراد بالفعل الثالث ايضا النبي صلى الله عليه وسلم وحده وانما جمع
تفخيما له وتعظيما كما في قوله تعالى افتطمعون ان يؤمنوا لكم على قول ابن عباس وكما في قوله
تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات والمراد به النبي صلى الله عليه وسلم كذا قاله ابن
عباس والحسن وغيرهما واختاره ابن قتيبة والزجاج فإن قيل كيف قدم تعالى
الارض على السماء في قوله تعالى وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء
وقدم السماء على الارض في قوله تعالى في سورة سبأ عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال
ذرة في السموات ولا في الارض قلنا حق السماء ان تقدم على الارض مطلقا لانها اشرف

لكنه لما ذكر هنا في صدر الآية شهادته على شؤون أهل الأرض وأقوالهم وأعمالهم
ثم أردفه بقوله تعالى وما يعزب عن ربك ناسبت ذلك تقديم الأرض على السماء
الثاني أن العطف بالواو نظير التثنية وحكمه حكمها ولا يعطى ونبه كالتثنية
فإن قيل كيف قال تعالى هنا إن العزة لله جميعا وقال في موضع آخر ولله العزة ولرسوله
وللمؤمنين قلنا أثبت الاشتراك في نفس العزة التي هي في حق الله تعالى القدرة
والغلبة وفي حق الرسول صلى الله عليه وسلم علو كلمته وإظهار دينه وفي حق
المؤمنين نصرهم على أعدائهم وقوله تعالى إن العزة لله جميعا أراد به العزة الكاملة
التي يندرج فيها عز الإلهية والخلق والإماتة والإحياء والبقاء الدائم وما أشبه ذلك
فلا تنافي فإن قيل إذا كانت السموات والأرض وما فيهما من المخلوقات ومن فيهما
وما وراءهما كل ذلك لله تعالى ملكا وخلقا فما فائدة التخصيص في قوله تعالى ألا إن
لله من في السموات ومن في الأرض قلنا إنما خص العقلاء المميزين بالذكر وهم
الملائكة والثقلان ليعلم أن هؤلاء إذا كانوا عبيدا له وهو ربهم ولا يصلح أحد منهم للربوبية
ولا للشركة معه فما وراءهم مما لا يعقل كالأصنام والكواكب ونحوهما أحق أن لا يكون له
ندا أو شريكا فإن قيل كيف قال لهم موسى عليه السلام أتقولون للحق لما جاءكم
أسحر هذا على طريق الاستفهام وهم إنما قالوا ذلك على طريق الإخبار والتحقيق المؤكد
بإن واللام لا على طريق الاستفهام قال الله تعالى فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا إن هذا
لسحر مبين قلنا فيه إضمار تقديره أتقولون للحق لما جاءكم إن هذا لسحر مبين ثم قال
أسحر هذا إنكارا لما قالوه والاستفهام من قول موسى عليه السلام لا مفعول لقولهم فإن قيل
كيف نوع الخطاب في قوله تعالى وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا
واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلوة وبشر المؤمنين فثنى أولا ثم جمع ثم أفرد قلنا
خوطب أولا موسى وهرون أن يتبوءا لقومهما بيوتا ويختاراها للعبادة وذلك مما يفوض
إلى الأنبياء ثم سيق الخطاب عاما لهما ولقومهما باتخاذ المساجد والصلاة فيها لأن ذلك
واجب على الجمهور ثم خص موسى عليه السلام بالبشارة تعظيما لها أو تعظيما له عليه السلام
فإن قيل كيف قال تعالى قد أجيبت دعوتكما أضافها إليهما والدعوة إنما صدرت من
موسى عليه السلام قال الله تعالى وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه إلى آخر الآية

قلنا نقل أن موسى عليه السلام كان يدعو وهرون كان يؤمن على دعائه والتأمين
دعاء في المعنى فلهذا أضاف الدعوة إليهما الثاني أنه يجوز أن يكون هرون قد دعا أيضا
مع موسى عليه السلام إلا أن الله تعالى خص موسى بالذكر لأنه كان أسبق بالدعوة
أو أحرص عليها أو أكثر إخلاصا فيها فإن قيل لو كان كذلك لقال تعالى دعوتاكما
بالتثنية قلنا لما كانت الدعوة مصدرا اكتفى بذكرها في موضع الإفراد والتثنية
والجمع بصيغة واحدة كسائر المصادر ونظيره قوله تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى
سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة فإن قيل كيف قال تعالى فإن كنت في شك مما أنزلنا
إليك وإن إنما يدخل على ما هو محتمل الوجود وشك النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن
منتف قطعا قلنا الخطاب ليس للنبي صلى الله عليه وسلم بل لمن كان شاكا في
القرآن وفي نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فكأنه قال فإن كنت أيها الإنسان في
شك فإن قيل قوله تعالى مما أنزلنا إليك يدل على أن الخطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم لا لغيره قلنا لا يدل قال الله تعالى يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم
وأنزلنا إليكم نورا مبينا وقال يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة الثاني أن
الخطاب للنبي عليه السلام والمراد غيره كما في قوله تعالى يا أيها النبي اتق الله ولا تطع
الكافرين والمنافقين ويعضده قوله تعالى إن الله كان بما تعملون خبيرا ويعضد هذا
الوجه قوله تعالى بعده قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني الثالث أن يكون إن بمعنى
ما تقديره فما كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل المعنى لسنا نأمرك أن تسأل
أحبار اليهود والنصارى عن صدق كتابك لأنك في شك منه بل لتزداد بصيرة
ويقينا وطمأنينة الرابع أن الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم مع انتفاء الشك منه
قطعا والمراد به إلزام الحجة على الشاكين الكافرين كما يقول لعيسى عليه السلام أأنت
قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله وهو عالم بانتفاء هذا القول منه
لإلزام الحجة على النصارى فإن قيل قوله تعالى ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم
جميعا ما فائدة قوله جميعا بعد قوله كلهم وهو يفيد الشمول والإحاطة قلنا يفيد
الشمول والإحاطة ولا يدل على وجود الإيمان منهم بصفة الاجتماع وجميعا يدل على وجوده
منهم في حالة واحدة كما يقول جاء القوم جميعا أي مجتمعين ونظيره قوله تعالى فسجد

الملائكة كلهم اجمعون **فان قيل** قوله تعالى قل انظروا ماذا في السموات والارض كيف
يصح هذا الامر مع انا لا نعلم جميع ما فيهما ولا نراه **قلنا** هو عام اريد به ما ندركه بالبصر
او بالبصيرة مما فيهما كالشمس والقمر والنجوم والجبال والبحار والمعادن والنبات
والحيوان ونحو ذلك مما يدل على وجود الصانع وتوحده وعظم قدرته فنستدل به
على ما وراءه **فان قيل** قوله تعالى وان يمسسك الله بضر الاية ما الحكمة في ذكر
المس في احدهما والارادة في الاخر **قلنا** انما عدل عن لفظ المس المذكور في سورة
الانعام الى لفظ الارادة لان الخير هنا قوله تعالى فلا راد لفضله والرد انما يكون فيما
لم ينقطع بعد والمس انما يكون فيما وقع ولهذا قال ثم وان يمسسك بخير فهو على كل شيء
قدير معناه فان شاء ادام ذلك الخير وان شاء ازاله فلا تطلب دوامه وزيادته
الا منه **سورة هود** **فان قيل** كيف قال تعالى وان استغفروا هود
ربكم ثم توبوا اليه مع ان التوبة مقدمة على الاستغفار **قلنا** المراد استغفروا
ربكم من الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة كذا قاله مقاتل وهذا الاستغفار مقدم
على هذه التوبة الثاني انه قدمه تقدما وتاخيرا الثالث قال الفراء ثم هنا بمعنى الواو
فلا يفيد ترتيبا فاندفع السؤال **فان قيل** من لم يستغفر ولم يتب فان الله تعالى
يمتعه متاعا حسنا الى اجله اي يرزقه ويوسع عليه كما قال ابن عباس او يعمره
كما قال قتيبة فما فائدة قوله تعالى وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا
حسنا الى اجل مسمى **قلنا** قال بعضهم المتاع الحسن المشروط بالاستغفار والتوبة
هو الحياة في الطاعة والقناعة ومثل هذه الحياة انما تكون للمستغفر التائب التقي
فان قيل قوله تعالى وما من دابة في الارض كيف لم يقل على الارض مع انه اشد مناسبة
لتفسير الدابة لغة فانها ما يدب على وجه الارض **قلنا** في هنا بمعنى على كما في قوله
تعالى في جذوع النخل وقوله تعالى ام لهم سلم يستمعون فيه الثاني ان في اعم واشمل لانها
تتناول كل دابة على وجه الارض وكل دابة في باطن الارض بخلاف على **فان قيل**
كيف خص الدابة بذكر ضمان الرزق والطير كذلك رزقه على الله وهو غير الدابة
بدليل قوله تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه **قلنا** انما خص الدابة
بالذكر لان الدواب اكثر من الطيور عددا وفيها ما هو اكبر جثة من كل فرد من افراد

الطير

الطير كالفيل والحوت فتكون احوج الى الرزق فلذلك خصه بالذكر **فان قيل**
كيف قال تعالى الا على الله رزقها وعلى للوجوب والله تعالى لا يجب عليه شيء وانما يرزقنا
فضلا منه وكرما **قلنا** على هنا بمعنى من كما في قوله تعالى الذين اذا اكتالوا على الناس
يستوفون الثاني انه ذكره بصيغة الوجوب ليحصل للعبد زيادة سكون وطمانينة
في حصوله **فان قيل** كيف قال تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا والخطاب عام للمؤمنين
والكافرين فانه امتحن الفريقين بالامر بالطاعة والنهي عن المعصية واعمال المؤمنين
هي التي تتفاوت الى حسن واحسن واما اعمال الفريقين فتفاوتها الى حسن وقبيح **قلنا**
قوله تعالى ليبلوكم عام اريد به الخاص وهم المؤمنون تشريفا لهم وتخصيصا فصح قوله احسن
عملا **فان قيل** كيف قال تعالى وضائق به صدرك ولم يقل وضيق **قلنا** ليدل على انه
ضائق عارض غير ثابت لان النبي صلى الله عليه وسلم كان افسح الناس صدرا ونظيره قولك
زيد سائد وجائد اذا اردت ان السيادة والجود حادث فيه وعارض له فان اردت
وصفه بالسيادة والجود الثابتين المستقرين قلت زيد سيد وجواد كذا قاله
الزمخشري **فان قيل** كيف قال تعالى فاتوا بعشر سور مثله مفتريات امرهم بالاتيان
بمثله وما ياتون به لا يكون مثله لان ما ياتون به مفترى والقران ليس بمفترى
قلنا اراد به مثله في البلاغة والفصاحة وان كان مفترى وقيل معناه مفتريات
كما ان القران مفترى في زعمكم واعتقادكم فيهما ثلاثة **فان قيل** كيف قال تعالى قل
فاتوا فافرده ثم جمع فقال فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا **قلنا** الخطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم في الكل ولكنه جمع في قوله لكم فاعلموا تفخيما له وتعظيما الثاني ان الخطاب الثاني
للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه لان النبي واصحابه كانوا يتحدونهم بالقران وقوله تعالى
في موضع اخر فان لم يستجيبوا لك فاعلم يعضد الوجه الاول الثالث ان يكون الخطاب
في الثاني والثالث للمشركين والضمير في يستجيبوا لمن استطعتم يعني فان لم يستجب
لكم من يدعونه الى المظاهرة على معارضته لعجزهم فاعلموا ايها المشركون انما انزل بعلم
الله وهذا وجه لطيف **فان قيل** قوله تعالى وحبط ما صنعوا فيها يدل على بطلان اعمالهم
فما فائدة قوله بعده وباطل ما كانوا يعملون **قلنا** المراد بقوله تعالى وحبط ما صنعوا فيها
اي بطل ثواب ما صنعوا من الطاعات في الدنيا وباطل ما كانوا يعملون من الرياء فيها

فان قيل كيف قال نوح عليه السلام ويا قوم لا اسالكم عليه مالا بالواو وقال هود عليه
السلام يا قوم لا اسالكم عليه بغير واو **قلنا** لان الضمير في قولهما عليه لتبليغ الرسالة
المدلول عليه باول الكلام في القصتين ولكن في قصة نوح عليه السلام وقع الفصل بين
الضمير وما هو عايد عليه بكلام اخر فجي بواو الابتداء وفي قصة هود عليه السلام لم يقع
بينهما فصل فلم يحتج الى واو الابتدا هذا ما وقع لي فيه والله تعالى اعلم **فان قيل** قوله تعالى
لا عاصم اليوم من امر الله لا يناسبه المستثنى في الظاهر وهو قوله الا من رحم لان المرحوم
معصوم وظاهره يقتضي لا معصوم الا من رحم اي لا معصوم من الغرق بالطوفان الا من
رحمه الله بالانجاء في السفينة **قلنا** عاصم هنا بمعنى معصوم كقوله تعالى من ماء دافق
اي مدفوق وقوله في عيشة راضية اي مرضية وقول العرب سر كاتم اي مكتوم الثاني
ان معناه لا عاصم اليوم من الله الا من رحم اي الا الراحم وهو الله تعالى وليس معناه الا
المرحوم وكانه قال لا عاصم الا الله الثالث ان معناه لا عاصم اليوم من امر الله الا مكان
من رحم الله من المومنين ويجاهم وهو السفينة ويناسب هذا الوجه قوله تعالى وقال
اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم وهذا لان ابن نوح لما جعل
الجبل عاصما من الماء رد نوح عليه ذلك ودله على العاصم وهو الله تعالى والمكان الذي
امر الله تعالى بالالتجاء اليه وهو السفينة **فان قيل** كيف صح امر السماء والارض بقوله
تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وهما لا يعقلان والامر والنهي انما يكون لمن يعقل
ويفهم الخطاب **قلنا** الخطاب لهما في الصورة والمراد للملائكة الموكل بتدبيرهما الثاني ان هذا
امر ايجاد لا امر ايجاب وفي امر الايجاد لا يشترط العقل والفهم لان الاشياء كلها بالنسبة الى امر
الايجاد مطيعة مسخرة لله تعالى ومنه قوله تعالى انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن
فيكون وقوله تعالى فقال لها وللارض ايتيا طوعا او كرها كل ذلك امر ايجاد **فان قيل** كيف
قال تعالى هنا ونادى نوح ربه فقال رب بالفاء وقال في قصة زكريا اذ نادى ربه نداء خفيا
قال رب بغير فاء **قلنا** اراد بالنداء هنا ارادة النداء فجاء بالفاء الدالة على السببية فان
ارادة النداء سبب للنداء فكانه قال فاراد نوح نداء ربه فقال كيت وكيت واراد به في قصة
زكريا حقيقة النداء فلهذا جاء بغير فاء لعدم ما يقتضي السببية **فان قيل** هود
كان رسولا ولم يظهر معجزة ولهذا قال له قومه يا هود ما جئتنا ببينة فباي شيء الزمتهم

رسالته

رسالته **قلنا** انما يحتاج الى المعجزة من الرسل من يكون صاحب شريعة لينقلها امته
الى شريعته فان في كل شريعة احكاما غير معقولة فيحتاج الرسول الا تي بها
الى معجزة تشهد بصدقه فاما الرسول الذي لا يكون له شريعة ولا يامر الا بالعقليات
فلا يحتاج الى معجزة لان الناس ينقادون الى ما يامرهم به لموافقته للعقل وهود
كان كذلك الثاني انه نقل ان معجزة هود كانت الريح الصرصر فانها كانت مسخرة
له **فان قيل** على الوجه الاول لو كان امره لهم مقصورا على العقليات لما خالفوه
وكذبوه ونسبوه الى الجنون بقولهم يا هود ما جئتنا ببينة الاية **قلنا** انما صدر
ذلك القول من قاصري العقول او المعاندين المكابرين كما قيل ذلك لكل رسول
بعد اتيانه بالمعجزات الظاهرات والايات الباهرات **فان قيل** هلا قال اني اشهد الله
واشهدكم ليناسب الجملتان **قلنا** لان اشهاد الله تعالى على البراة من الشرك
اشهاد صحيح مفيد تاكيد التوحيد وشد معاقده واما اشهادهم فما هو الا تهكم
بهم وتهاون ودلالة على قلة المبالاة لانهم ليسوا اهلا للشهادة فعدل به عن اللفظ
الاول واتي به على صورة التهكم والتهاون كما يقول الرجل لصاحبه اذا لاحجه اشهد
اني لا احبك تهكما به واستهانة له **فان قيل** قوله تعالى فان تولوا فقد ابلغتكم
جعل التولي شرطا والابلاغ جزاء والابلاغ كان سابقا على التولي **قلنا** ليس الابلاغ
جزاء التولي بل جزاؤه محذوف تقديره فان تولوا لم اعاتب على تفريط في الابلاغ
او تقصير فيه ودل على الجزاء المحذوف قوله قد ابلغتكم الثاني قال مقاتل تقديره فان
تولوا فقل لهم قد ابلغتكم **فان قيل** ما فائدة تكرار التنجية في قوله تعالى ونجيناهم
من عذاب غليظ **قلنا** اراد بالتنجية الاولى تنجيتهم من عذاب الدنيا الذي نزل
بقوم هود وهو سموم ارسلها الله تعالى عليهم فقطعتهم عضوا عضوا واراد بالتنجية
الثانية تنجيتهم من عذاب الاخرة الذي استحقه قوم هود بالكفر ولا عذاب
اغلظ منه واشد **فان قيل** بعدا معناه عند العرب الدعاء بالهلاك كذا نقله
الزمخشري فما معنى الدعاء عليهم بالهلاك بعد هلاكهم **قلنا** معناه الدلالة على انهم
مستاهلون له وحقيقون به ونقيضه قول الشاعر اخوتي لا تبعدوا ابدا وبلى
والله قد بعدوا واراد بالدعاء لهم بنفي الهلاك بعد هلاكهم الاعلام بانهم لم يكونوا مستاهلين له

ولا حفقفس به قال قيل قوله تعالى ولا تنقصوا المكيال والميزان نهي عن النقص
فيهما والنهي عن النقص امر بالايفاء معنى فما فايدة قوله تعالى بعد ذلك ويا قوم اوفوا
المكيال والميزان قلنا صرح اولا بنهيهم عن النقص الذي كانوا يفعلونه لزيادة
المبالغة في تقبيحه وتعييرهم اياه ثم صرح بالامر بالايفاء بالعدل الذي هو احسن
عقلا لزيادة الترغيب فيه والحث عليه قال قيل قوله تعالى ولا تعثوا في الارض
مفسدين العثو الفساد فصار المعنى ولا تفسدوا في الارض مفسدين قلنا قد
سبق مثل هذا السوال وجوابه في سورة البقرة وجواب اخر معناه ولا تعثوا في الارض
بالكفر وانتم مفسدون بنقص المكيال والميزان قال قيل كيف قال تعالى بقية الله خير
لكم ان كنتم مومنين شرط الايمان في كون البقية خيرا لهم وهي خير لهم مطلقا لان
المراد ببقية الله ما يبقى لهم من الحلال بعد ايفاء الكيل والوزن وذلك خير لهم وان
كانوا كفارا لانهم يسلمون معه من عقاب البخس والتطفيف قلنا انما شرط الايمان
في خيرية البقية لان خيريتها فايدتها مع الايمان اظهر وهو حصول الثواب مع النجاة
من العقاب ومع فقد الايمان اخفى لانغماس صاحبها في عذاب الكفر الذي هو اشد
العذاب الثاني ان المراد ان كنتم مصدقين لي فيما اقول لكم وانصح قال قيل
كيف قال وما قوم لوط منكم ببعيد ولم يقل ببعيدين والقوم اسم لجماعة الرجال
وما جاء في القران الضمير العائد اليه الا ضمير جماعة قال الله تعالى ان انذر قومك
من قبل ان ياتيهم وقال لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم قلنا فيه
اضمار تقديره وما اهلاك قوم لوط او وما كان لوط او وما مكان قوم لوط كان قريبا منهم
واهلاكهم ايضا كان قريبا من زمانهم الثاني ان فعيلا يستوي فيه الواحد والاثنان
والجمع قال الجوهري يقال ما انتم منا ببعيد وقال الله تعالى والملائكة بعد ذلك ظهير
وقال عن اليمين وعن الشمال قعيد قال قيل قولهم ولولا رهطك لرجمناك وما انت
علينا بعزيز كلام واقع فيه وفي رهطه وانهم الاعزة عليهم دونه فكيف صح قوله ارهطي
اعز عليكم من الله قلنا تهاونهم به وهو نبي الله تهاون بالله فحين عز عليهم رهطه
دونه كان رهطه اعز عليهم من الله الا ترى الى قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع
الله وقوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله قال قيل مذكر عليهم على مكانتهم

وعلة على مكانته ثم اتبعه بذكر عاقبة العاملين منه ومنهم فكان المطابق والموافق في ظاهر
الفهم ان تقول من ياتيه عذاب يخزيه ومن هو صادق حتى ينصرف من ياتيه عذاب
يخزيه اليهم ومن هو صادق اليه قلنا القياس ما ذكرت ولكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا
قال ومن هو كاذب يعني في زعمكم ودعواكم تجهيلا لهم قال قيل كيف قال تعالى اذا اخذ
القرى وهي ظالمة والقرى لا تكون ظالمة لان الظلم من صفات من يعقل ومن صفات
الحيوان دون الجماد قلنا هو من الاسناد المجازي والمراد به اهلها كما قال تعالى في موضع
اخر اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها لكن لما امن اللبس اسند الظلم الى القرية لفظا كما
في قوله تعالى واسئل القرية قال قيل كيف التوفيق بين قوله تعالى يوم ياتي لا تكلم نفس
الا باذنه وقوله يوم ياتي كل نفس تجادل عن نفسها وقوله هذا لا ينطقون ولا يوذن لهم
فيعتذرون فان الاية الثالثة تناقض الاية الاولى بنفي الاذن وتناقض الاثنين جميعا بنفي
النطق قلنا اما التوفيق بين الايتين الاوليين فظاهر لان معناه تجادل عن نفسها
باذنه فتوافقت الايتان واما الاية الثالثة فانها لا تناقض الاية الاولى بنفي الاذن ان قلنا
ان الاستثناء من النفي ليس باثبات لان الاية الاولى لا تقتضي وجود الاذن بل تقتضي
نفي الكلام عند انتفاء الاذن واما ان قلنا ان الاستثناء من النفي اثبات ناقضت الاية الثالثة
الاولى ولا تناقض الاثنين بنفي النطق لان يوم القيامة يوم طويل فيه مواقف ومواطن ففي
بعضها يجادلون عن انفسهم وفي بعضها يكفون عن الكلام ولا يوذن لهم فيه وفي بعضها يوذن
لهم فيتكلمون وفي بعضها يختم على افواههم وتكلم ايديهم وتشهد ارجلهم وهذا جواب عام
عن مثل هذه الايات ويرد على هذا ان يقال قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون نفى النطق عنهم يوم
القيامة فيقتضي انتفاءه في جميع اجزاء ذلك الزمان عملا بعموم النفي كما يعم النفي جميع اجزاء
المكان في قولنا لا احد في الدار فاندفع الجواب باختلاف المواقف والمواطن فيكون الجواب
ان الاية الثالثة اريد بها طائفة خاصة غير الطايفتين الاوليين فلا تناقض قال قيل
كيف قال تعالى فمنهم شقي وسعيد وكلمة من للتبعيض ومعلوم ان الناس كلهم اما شقي او سعيد
فما معنى التبعيض هنا قلنا التبعيض هنا على حقيقته لان اهل القيامة ثلاثة اقسام
شقي وسعيد وهم اهل النار والجنة كما ذكر في هذه الاية مفصلا وقسم لا شقي ولا سعيد
وهم اهل الاعراف الثاني ان معنى الكلام فمنهم شقي ومنهم سعيد وهذا يقتضي ان يكون

الشقي بعض الناس والسعيد بعض الناس والامر كذلك اما لا يقتضي ان يكون
الشقي والسعيد كلاهما بعض الناس بل كل واحد منهما بعض وكلاهما كل كما تقول من
الحيوان انسان ومن الحيوان غير انسان وكل الحيوان اما انسان او غير انسان
فان قيل كيف قال تعالى ما دامت السموات والارض واراد به بيان دوام الخلود
لان اهل الجنة واهل النار مخلدون فيها خلودًا لا نهاية له والسموات والارض
دوامها منقطع لانها يوم القيامة ينهدمان قال الله تعالى كلا اذا دكت الارض دكا
دكا وقال اذا السماء انفطرت وقال يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب ونظائره
كثيرة مما دل على خراب السموات والارض **قلنا** للعرب في معنى الابد الفاظ منها
هذا يقولون لا افعل كذا ما اختلف الليل والنهار وما دامت السماء والارض
وما اطت الابل ويريدون بذلك لا افعله ابدًا مع قطع النظر عن كون الموقت به
له نهاية او لا نهاية له الثاني انه خاطبهم على معتقدهم ان السموات والارض
لا تزول ولا تتغير الثالث انه اراد به كون الفريقين في قبورهم اما منعمين او معذبين
كما جاء في الحديث ان القبر اما روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار
ومن كان في روضة من رياض الجنة فهو في الجنة ومن كان في حفرة من حفر النار
فهو في النار فعلى هذا يكون المراد بالتاقيت بدوام السموات والارض مدة الخلود
الى يوم القيامة الرابع ان المراد به سموات الاخرة وارضها قال الله تعالى يوم تبدل
الارض غير الارض والسموات وتلك دائمة لا تزول ولا تفنى ولانه لا بد لاهل
الجنة مما يظلهم ويقلهم اما سماء يخلقها الله تعالى او العرش كما جاء في الاخبار ان
اهل الجنة تحت ظل العرش وكل ما اظلك فهو سماء وجاء في الاخبار ايضا في صفة
الجنة ان ترابها من زعفران فدل على ان لها ارضا فالمراد تلك السماء وتلك الارض
فان قيل اذا كان المراد بهذا التاقيت دوام الخلود واما الاخراج فكيف يصح الاستثناء
في قوله تعالى الا ما شاء ربك **قلنا** قال الفراء الا هنا بمعنى غير وسوى ومعناه
خالدين فيها ما دامت السموات والارض سوى ما شاء الله تعالى من الخلود والزيادة
وكانه قال خالدين فيها قدر مدة الدنيا غير ما شاء الله تعالى من الزيادة عليها
الى غير نهاية وهذا الوجه انما يصح اذا كان المراد سموات الدنيا وارضها قال ابن

قتيبة

قتيبة ومثله في الكلام قولك لاسكننك في هذه الدار حولا الا ما شئت تريد
سوى ما شئت ان ازيدك على الحول الثاني انه استثناء لا يفعله كما تقول لاهجرنك
الا ان ارى غير ذلك وعزمك على هجرانه ابدا وهو معنى قول ابن عباس الا ما شاء
ربك فقد شاء ان يخلدوا فيها قال الزجاج وفائدة هذا الاستثناء اعلامنا انه لو
شاء ان لا يخلدهم لما خلدهم ولكنه ما شاء الا خلودهم الثالث انه استثناء الزمان
البعث والحشر والوقوف للعرض والحساب فان الاشقياء والسعداء في ذلك الزمان
كله ليسوا في النار ولا في الجنة الرابع ان ما بمعنى من والمستثنى من يدخل النار من
الموحدين فيعذب بقدر ذنوبه ثم يخرج من النار ويدخل الجنة وهذا الوجه يختص
بالاستثناء من الاشقياء فقط الخامس ان المستثنى زمان كون اهل الاعراف على
الاعراف قبل دخولهم الجنة وهذا الوجه يختص بالاستثناء من السعداء فقط واهل
الاعراف من السعداء لانهم لم يدخلوا النار ولان مصيرهم الى الخلود في الجنة
السادس انه استثناء من الخلود في عذاب النار ومن الخلود في نعيم الجنة
لان الاشقياء لا يخلدون في عذاب النار بل يعذبون بالزمهرير وغيره من
انواع العذاب سوى النار وكذلك السعداء لهم سوى نعيم الجنة ما هو اجل
منها وهو الزيادة التي وعدهم الله اياها بقوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة
ورضوان الله كما قال تعالى وعد الله المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر وقوله
تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين فهو المراد بالاستثناء ويعضد هذا
الوجه قوله تعالى بعد ذكر الاشقياء ان ربك فعال لما يريد وقوله تعالى بعد ذكر
السعداء عطاء غير مجذوذ والمعنى انه يفعل باهل النار ما يريد من انواع العذاب
ويعطي اهل الجنة انواع العطاء الذي لا انقطاع له فاختلاف المقطعين يؤكد صرف
الاستثناء الى ما ذكرنا فتامل كيف يفسر القران بعضه بعضا **فان قيل** ما فائدة قوله
غير منقوص بعد قوله وانا لموفوهم نصيبهم والتوفية والايفاء اعطاء الشيء وافيا
تاما نقله الجوهري وغيره والتام لا يكون منقوصا **قلنا** هو من باب التاكيد **فان قيل**
قوله تعالى ولذلك خلقهم اشارة الى ماذا **قلنا** هو اشارة الى ما عليه الفريقان من حال الاختلاف

والرحمة ومعناه انه خلق اهل الاختلاف للاختلاف واهل الرحمة للرحمة وقد فسره ابن
عباس رضي الله عنه وقال خلقهم فريقين فريقا رحمهم فلم يختلفوا وفريقا لا يرحمهم
فاختلفوا وقيل هو اشارة الى معنى الرحمة وهو الترحم وعلى هذا يكون الضمير في خلقهم
للذين رحمهم فلم يختلفوا وقيل هو اشارة الى الاختلاف والضمير في خلقهم للمختلفين
واللام على الوجه الاول والثالث لام العاقبة والصيرورة لا لام كي وهي التي تسمى لام الغرض
والمقصود لان الخلق للاختلاف في الدين لا يليق بالحكمة ونظير هذه اللام قوله تعالى
فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا . وقول الشاعر لدوا للموت وابنوا
للخراب وقيل انها لام التمكين والاقدار كما في قوله تعالى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه وقوله
تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها والتمكين والاقدار حاصل وان لم تسكن بعض
الناس في الليل ولم تركب بعض هذه الدواب ومعنى التمكين والاقدار هنا انه سبحانه
وتعالى اقدرهم على قبول حكم الاختلاف ومكنهم منه وقيل اللام هنا بمعنى على كما في قوله تعالى
وتله للجبين وقوله تعالى يخرون للاذقان سجدا **فان قيل** كيف الجمع بين قوله تعالى
وكلا نقص عليك من انباء الرسل وقوله تعالى ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا
لم نقصصهم عليك **قلنا** معناه وكل نبإ نقصه عليك من انباء الرسل هو ما نثبت به
فؤادك فما في موضع رفع خبر لمبتدإ محذوف ولا يقتضي اللفظ قص انباء جميع الانبياء
ولئن اقتضى الاتيان الثاني ان المراد بكل هنا البعض كما في قوله تعالى ثم اجعل على كل
جبل منهن جزءا وقوله تعالى وجاءهم الموج من كل مكان وقوله تعالى واوتيت من كل
شيء وقوله تعالى وكل انسان الزمناه طائره في عنقه وقول لبيد الا كل شيء
ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل وكثير من الاشياء غير الله تعالى حق كالنبي
عليه السلام والايمان والجنة وغير ذلك وكذلك نعيم الجنة والاخرة ليس بزائل ولبيد
صادق في هذا البيت لقول النبي صلى الله عليه وسلم اصدق كلمة قالها شاعر قول لبيد
الا كل شيء الى آخره **فان قيل** ما فائدة تخصيص هذه السورة بقوله تعالى وجاءك في هذه الحق
مع ان الحق جاء في كل سور القران **قلنا** قالوا فائدة تخصيص هذه السورة بذلك زيادة
تشريفها وتفضيلها مع مشاركة غيرها اياها في ذلك كما في قوله تعالى وان المساجد لله
وقوله وجبريل وميكال بعد قوله وملائكته وقوله والصلوة الوسطى بعد قوله الصلوات

المشابهة بينها انه كما حمل قوله تعالى وجبريل وميكال على التشريف والتفضيل عند
تعذر حمله على تعلق العداوة به لئلا يلزم تحصيل الحاصل وكذا في المثال الاخر تعذر حمله
على ايجاب المحافظة لما قلنا وهنا تعذر حمله على حقيقته وهو الجنس او المعهود لان
حقيقته انحصار كل حق في هذه السورة وهو منتف وحمل الحق على معهود سابق وهو
منتف وحمله على بعض الحق يلزم منه وصف هذه السورة بوصف مشترك بينها وبين
كل السور وانه لا يحسن كما لو قال وجاءك في هذه آيات او كلام الله او كلام معجز فجعل
مجازا عن التفضيل والتشريف وقيل الاشارة بهذه الى الدنيا لا الى السورة والجمهور
على القول الاول وقالوا انما خصت هذه السورة بذلك لان فيها الامر بالاستقامة
بقوله تعالى فاستقم كما امرت والاستقامة من اعلى المقامات عند العارفين وانا نقول
الامر بالاستقامة جاء ايضا في سورة حم عسق قال الله تعالى واستقم كما امرت ولا تتبع
سورة يوسف
اهواءهم فلا يصلح هذا علة للتخصيص **سورة يوسف فان قيل** كيف قال اني
رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر ولم يقل ثلاثة عشر كوكبا وهو اوجز واخصر والذي
رآه كان احد عشر كوكبا غير الشمس والقمر **قلنا** قصد عطفهما على الكواكب تخصيصا لهما
بالذكر وتفضيلا لهما على ساير الكواكب لما لهما من المزية والمرتبة على الكل ونظيره تاخير
جبريل وميكائيل عن الملائكة عليهم السلام ثم عطفهما عليهم ان قلنا انهما غير مرادين
بلفظ الملائكة وكذا قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى ان قلنا انها غير
مرادة بلفظ الصلوات **فان قيل** ما فائدة تكرار رايت **قلنا** قال الزمخشري ليس ذلك
تكرارا بل هو كلام مستانف وقع جوابا لسؤال مقدر من يعقوب عليه السلام كانه قال
له بعد قوله والشمس والقمر كيف رايتها سائلا عن حال رؤيتها فقال مجيبا له رايتهم
لي ساجدين وقال الزجاج انما كرر الفعل لتوكيد لما طال الكلام كما في قوله تعالى وهم عن الاخرة
هم غافلون وهم بالاخرة هم كافرون وقال غيره انما كرره تفخيما للرؤية وتعظيما لها **فان قيل**
كيف اجريت مجرى العقلاء في قوله رايتهم وفي قوله ساجدين واصله رايتها ساجدة **قلنا**
لما وصفها بما هو من صفات من يعقل وهو السجود اجرى عليها حكمه كانها عاقلة وهذا شائع
في كلامهم ان يلابس الشيء الشيء من بعض الوجوه فيعطى حكما من احكامه اظهارا لاثر الملابسة
والمقاربة ونظيره قوله تعالى قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم وقوله تعالى وقوله تعالى

في وصف السماء والارض قالتا اتينا طائعين **فان قيل** قالوا نرتع ونلعب وكانوا
عاقلين بالغين وانبياء اتفاقا في قول البعض وكيف رضي يعقوب عليه السلام بذلك
قلنا على قراءة الياء لا اشكال لان يوسف عليه السلام كان صبيا دون البلوغ فلا يحرم
عليه اللعب وعلى قراءة النون نقول كان لعبهم المسابقة والمناضلة ليعودوا انفسهم
الشجاعة لقتال الاعداء لا للهو وذلك جائز في الشرع ويعضد هذا قولهم انا ذهبنا
نستبق وانما سموه لعبا لانه في صورة اللعب ويرد على اصل السؤال ان يقال كيف تورعوا
عن اللعب وهم قد فعلوا ما هو اعظم حرمة واشد وهو القاء اخيهم في الجب على
قصد القتل **فان قيل** كيف اعتذر اليهم يعقوب عليه السلام بعذرين احدهما قوله
اني ليحزنني ان تذهبوا به لانه كان لا يصبر عنه ساعة واحدة والثاني خوفه عليه
من الذئب فاجابوه عن احد العذرين دون الاخر **قلنا** حبه اياه وايثاره له وعدم
صبره على مفارقته هو الذي كان يغيظهم ويؤلمهم فاضربوا عنه صفحا ولم يجيبوه
عنه **فان قيل** كيف قال تعالى واوحينا اليه وهو يومئذ لم يكن بالغا والوحي انما يكون بعد
الاربعين **قلنا** المراد به وحي الالهام لا وحي الرسالة الذي هو مخصوص بما بعد الاربعين
ونظيره قوله تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه وقوله تعالى واوحى ربك الى النحل **فان
قيل** كيف قال تعالى هنا ولما بلغ اشده اتيناه حكما وعلما وقال في حق موسى عليه السلام
ولما بلغ اشده واستوى اتيناه حكما وعلما **قلنا** المراد ببلوغ الاشد دون الاربعين سنة
على اختلاف في مقداره والمراد بالاستواء بلوغ الاربعين والستين وكان انباء كل واحد
منهما الحكم والعلم في ذلك الزمان فاخبر عنه كما وقع **فان قيل** كيف وحد الباب في قوله
تعالى واستبقا الباب بعد جمعه في قوله وغلقت الابواب **قلنا** لان اغلاق الباب للاحتياط
لا يتم الا باغلاق جميع ابواب الدار سواء كانت كلها في جدار الدار اولا واما هربه منها الى
الباب فلا يكون الا الى باب واحد ان كانت كلها في جدار الدار لان خروجه في وقت هربه
لا يتصور الا من باب واحد منها وان كان بعض الابواب داخل بعض فانه اول ما يقصد
الباب الادنى لقربه ولان الخروج من الباب الاوسط والباب الاقصى موقوف على الخروج
من الباب الادنى فلذلك وحد الباب **فان قيل** كيف قال تعالى وشهد شاهد من اهلها
ولم يكن قوله شهادة **قلنا** لما ادى معنى الشهادة في ثبوت قول يوسف عليه السلام

وبطلان

وبطلان قولها سمي شهادة والمراد بقوله شهد اعلم وبين وحكم **فان قيل** قد
قميصه من دبر يدل على انها كاذبة وانها هي التي تبعته وجذبت قميصه
من خلفه فقدته فاما قده من قبل كيف يدل على انها صادقة **قلنا** يدل
من وجهين احدهما انه اذا كان طالبها وهي تدفعه عن نفسها بيديها او برجليها
تقدت قميصه من قبل بالدفع الثاني انه يسرع خلفها وهي هاربة منه فيعثر
في مقدم قميصه فيشقه ويرد على الوجه الثاني انه مشترك الدلالة من جهة العثار
الذي هو نتيجة الاسراع لانه يحتمل ان يكون اسراعا الى الهرب منها وهي خلفه فيعثر
فينقد قميصه من قبل **فان قيل** كيف قال تعالى وقالت اخرج عليهن وانما يقال
خرجت الى السوق وطرقت عليه الباب فخرج الي **قلنا** اذا كان الخروج بقهر وغلبة
او بجمال او زينة او بآية وامر عظيم فانما يعدى بعلى ومنه قولهم خرج علينا في السفر
قطاع الطريق وقوله تعالى فخرج على قومه من المحراب **فان قيل** كيف شبهن يوسف
عليه السلام بالملك فقلن ان هذا الا ملك كريم وهن ما راين الملائكة قط **قلنا** اذكر
ما راين الملائكة وقد سمعن وصفها الثاني ان الله تعالى قد ركز في الطباع حسن الملائكة
كما ركز فيها قبح الشياطين ولذلك يشبه كل متناه في الحسن بالملك وكل متناه في القبح
بالشيطان **فان قيل** كيف قال يوسف عليه السلام اني تركت ملة قوم لا يؤمنون
بالله وهم بالاخرة هم كافرون وترك الشيء انما يكون بعد ملابسته والكون فيه يقال
ترك فلان شرب الخمر واكل الربا ونحو ذلك اذا كان فيه ثم اقلع عنه ويوسف عليه
السلام لم يكن على ملة الكفار قط **قلنا** الترك نوعان ترك بعد الملابسة ويسمى ترك
انتقال وترك قبل الملابسة ويسمى ترك اعراض كقوله تعالى في قصة موسى عليه السلام
ويذرك والهتك وموسى عليه السلام ما لابس عبادة فرعون ولا عبادة الهته في
وقت من الاوقات وما نحن فيه من النوع الثاني وسياتي نظير هذا السؤال في سورة
ابرهيم عليه السلام في قوله تعالى او لتعودن في ملتنا **فان قيل** كيف قال تعالى
امر ان لا تعبدوا الا اياه فنسق الامر بالنهي او بما جزؤه النهي وهما ضدان **قلنا** فيه
اضمار امر اخر تقديره امر امرا اقتضى ان لا تعبدوا الا اياه وهو قوله تعالى فاياي
فاعبدون فانه باعتبار تقديم المفعول في معنى الحصر كما في قوله تعالى اياك نعبد واياك

تستعين الثاني ان فيه اضمار نهي تقديره امر ونهي ثم فسر الامرين بقوله تعالى
الا تعبدوا الا اياه الثالث ان قوله تعالى ان لا تعبدوا وان كان مضادا للامر من حيث
اللفظ فهو موافق له من حيث المعنى فلم قلتم ان تفسير الشيء بما يضاده صورة ويوافقه
معنى غير جائز بيان موافقته معنى من وجهين احدهما ان النهي عن الشيء امر بضده
وعبادة الله تعالى ضد عبادة غير الله الثاني ان معنى مجموع قوله تعالى الا تعبدوا الا اياه
اعبدوه وحده فيكون تفسيرا للامر المطلق بفرد من افراده وانه جائز **فان قيل**
الانبياء عليهم السلام اعظم الناس زهدا في الدنيا ورغبة في الاخرة فكيف قال
يوسف عليه السلام رب اجعلني على خزائن الارض طلب ان يكون معتمدا على الخزائن
متوليا لها وهو من اكبر مناصب الدنيا **قلنا** انما طلب ذلك ليتوصل به الى امضاء
احكام الله تعالى واقامة الحق وبسط العدل ونحوه مما يبعث له الانبياء ولعلمه ان
احدا غيره لا يقوم مقامه في ذلك فطلب التولية ابتغاء لوجه الله تعالى وسعيا في
منافع العباد ومصالحهم لا لحب الملك والدنيا ونظيره قوله تعالى في حق النبي عليه السلام
ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير يعني لو كنت اعلم اي وقت يكون القحط
لادخرت لزمن القحط طعاما كثيرا للحرص لكن لا تمكن من اعانة الضعفاء والفقراء وقت
الضرورة والمضايقة ويحتمل ان يكون اعلم بعينه لذلك العمل وكان طلبه واجبا عليه
فان قيل كيف جاز ليوسف عليه السلام ان يامر المؤذن ايتها العير انكم لسارقون
وذلك بهتان وتسريق للصواع لمن لم يسرقه وتكذيب للبريء واتهام له **قلنا** قوله
انكم لسارقون تورية عما جرى منهم مجرى السرقة وتصويره بصورتها من فعلهم بيوسف
ما فعلوا اولا الثاني ان ذلك القول كان من المؤذن بغير امر يوسف عليه السلام كذا قاله
بعض المفسرين الثالث ان حكم هذا الكيد حكم الحيل الشرعية التي يتوصل بها الى مصالح
ومنافع دينية كقوله تعالى لايوب عليه السلام وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث
وقول ابرهيم عليه السلام في حق زوجته هي اختي ليسلم من يد الكافر وما اشبه ذلك
فان قيل كيف تاسف يعقوب عليه السلام على يوسف دون اخيه بقوله يا اسفى
على يوسف ~~دون اخيه بقوله~~ والرزء الاحدث اشد على النفس واعظم اثرا
قلنا انما يكون اشد اذا تساوت المصيبتان في العظم ولم يتساويا هنا فقد يوسف

كان

كان اعظم عليه واشد من فقد اخيه فانما خصه بالذكر ليدل على ان الرزء فيه
مع تقادم عهده ما زال غضا طريا **فان قيل** كيف قال تعالى وابيضت عيناه
من الحزن والحزن لا يحدث بياض العين لا طبا ولا عرفا **قلنا** قال ابن عباس
رضي الله عنه من الحزن اي من البكاء ولان الحزن سبب للبكاء فاطلق اسم
السبب واراد به المسبب وكثرة البكاء قد تحدث بياضا في العين يغشي السواد
وهكذا حدث ليعقوب عليه السلام وقيل اذا كثرت الدموع محقت سواد العين
وقلبته الى بياض كدر **فان قيل** كيف قال يعقوب عليه السلام انه لا ييأس
من روح الله الا القوم الكافرون مع ان المؤمن قد ييأس من روح الله اي من
فرجه وتنفيسه او من رحمته على اختلاف القولين لما اشتدت مصيبته او لكثرة
ذنوبه كما جاء في الحديث في قصة الذي امر اهله اذا مات ان يحرقوه ويذروا
رماده في البر والبحر ففعلوا به ذلك ثم ان الله تعالى غفر له كما جاء مشروحا في
الحديث المشهور وهو من الصحاح مع انه يئس من رحمة الله تعالى وضم الى يأسه
ذنبا اخر وهو اعتقاده انه اذا احرق وذري رماده لا يقدر الله تعالى على احيائه
وبعثه ومع هذا كله غفر له ودل انه لم يمت كافرا **قلنا** انما ييأس من روح الله
الكافر لا المسلم عملا بظاهر الاية وكل مؤمن يتحقق منه الاياس من روح الله فهو
كافر في تلك الحالة حتى يعود الى الاسلام بعوده الى رجاء روح الله واما الرجل المغفور له في
الحديث فلا نسلم انه لم يكفر ثم ان الله تعالى لما احياه في الدنيا عاد الى الاسلام بعوده
الى رجاء روح الله فلذلك غفر له او يكون قد عاد الى رجاء روح الله قبيل موتته الاولى
ولم يتسع له الزمان ان يرجع عن وصيته التي اوصى اهله بها فمات مسلما فلذلك
غفر له **فان قيل** في قوله تعالى وخروا له سجدا كيف جاز لهم ان يسجدوا لغير الله تعالى
قلنا كان السجود عندهم تحية وتكرمة كالقيام والمصافحة عندنا وقيل كان
انحناء كالركوع ولم يكن وضع الجبهة على الارض الا ان قوله تعالى وخروا يابى ذلك
لان الخرور عبارة عن السقوط ولا يرد عليه قوله تعالى وخر راكعا لانهم قالوا اراد به
ساجدا فعبر عن السجود بالركوع كما عبر به عن الصلاة في قوله تعالى واركعوا مع الراكعين
اي صلوا مع المصلين وقيل له اي لاجله فاللام للسببية لا للتعدية والسجود الى يوسف

عليه السلام فالمعنى وخروا لاجل يوسف سجدا لله تعالى شكرا على جمع شملهم به
وقيل الضمير في قوله يعود الى الله تعالى وهذا الوجه يدفعه قوله يا ابت هذا
تاويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا **فان قيل** كيف ذكر يوسف عليه السلام نعمة
الله تعالى عليه في اخراجه من السجن فقال وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن ولم يذكر
نعمته عليه في اخراجه من الجب وهو اعظم نعمة لان وقوعه في الجب كان اعظم خطرا
قلنا انما ذكر هذه النعمة دون تلك النعمة لوجوه احدها ان محنة السجن ومصيبته
كانت اعظم لطول مدتها فانه لبث فيه بضع سنين وما لبث في الجب الا ايام يسيرة
الثاني انه انما لم يذكر الجب كيلا يكون في ذكره توبيخ وتقريع لاخوته بعد قوله لهم لا تثريب
عليكم اليوم الثالث ان اخراجه من السجن كان مقدمة للملك وعيره فلذلك ذكره وخروجه
من الجب كان مقدمة الذل والرق والاسر فلذلك لم يذكره الرابع ان مصيبة السجن
كانت اعظم عنده لمصاحبة الاوباش والاراذل واعداء الدين بخلاف مصيبة الجب فانه
كان مونسه فيه جبريل وغيره من الملائكة عليهم السلام **فان قيل** كيف قال
يوسف عليه السلام توفني مسلما وهو يعلم ان كل نبي لا يموت الا مسلما **قلنا** يجوز ان يكون
قد دعا بذلك في حال غلبة الخوف عليه اذهلته عن ذلك العلم في تلك الساعة الثاني
انه دعا بذلك مع علمه اظهارا للعبودية والافتقار وشدة الرغبة في طلب سعادة الخاتمة
وتعليما للامة **فان قيل** كيف يجتمع الايمان والشرك وهما ضدان حتى قال تعالى وما يؤمن
اكثرهم بالله الا وهم مشركون **قلنا** معناه وما يؤمن اكثرهم بان الله خالقه ورازقه
وخالق السموات والارض قولا الا وهو مشرك بعبادة الاصنام فعلا الثاني ان المراد
بها المنافقون يؤمنون بالسنتهم قولا ويشركون بقلوبهم اعتقادا الثالث ان المراد بها
تلبية العرب كانوا يقولون لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك فكانوا
يؤمنون باول تلبيتهم بنفي الشريك ويشركون باخرها باثباته **فان قيل** هذه
التلبية توحيد كلها ولا شرك فيها لان معنى قولهم الا شريكا هو لك الا شريكا هو مملوك   قلنا
لك موصوفا بانك تملكه وتملك ما ملك فاللام هنا للملك لا للعلاقة الشركة وهذا الاستثناء
يحتمل ان يكون حقيقيا ويحتمل ان يكون مجازيا بيان الاول انا ان قلنا ان اللام حقيقة في
المعنى العام في موارده وهو الاختصاص يكون قولهم لا شريك لك عاما في نفي كل شريك مضاف

الى الله تعالى لجهة اختصاص ما فيدخل في النفي من جهة اللفظ الشريك المضاف
بجهة المملوكية وهو شريك زيد وعمرو ونحوهما ثم يقع عليه الاستثناء فيكون استثناء
حقيقيا وان قلنا انها مشتركة بين المعاني الثلاثة الموجودة في موارد استعمالها وهي
الملك والاستحقاق ويقال الاختصاص والعلية فقولهم لا شريك لك يكون عاما ايضا
عند من يجوز حمل المشترك على مفهوماته في حالة واحدة فيكون الاستثناء ايضا حقيقيا
كاملا واما على قول من لا يجوز ذلك يكون النفي واردا على احد مفهوماته وهو علاقة
الشركة فيكون الاستثناء بعده مجازيا من باب تاكيد المدح بما يشبه الذم وهو نوع
من انواع البلاغة مذكور في علم البيان وشاهده قول الشاعر ولا عيب فيهم
غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب معناه ان كان هذا عيبا ففيهم
عيب وهذا ليس بعيب فلا يكون فيهم عيب فكذا هنا معناه ان كان الشريك المملوك
لك يصلح شريكا لك فلك شريك وهو لا يصلح شريكا لك فلا يكون لك شريك لان
كل ما ادعى انه شريك لك فهو مملوك لك وهذا المعنى هو المراد بقوله تعالى ضرب لكم مثلا
من انفسكم الاية **فان قيل** على الوجه الاول انه ليس بصحيح لانا لو جعلنا اللام حقيقة
في المعنى العام وهو الاختصاص يلزم منه الكفر حيث وجد نفي الشريك من غير استثناء
لانه يلزم منه نفي ملكه تعالى شريك زيد وعمرو ونحوهما وهو كفر واللازم منتف لانه ايمان
محض بلا خلاف **قلنا** اعلم بكون كفرا مع عمومه لان حقيقته العرفية عند عدم الاستثناء
نفي كل شريك مضاف اليه بجهة ما فصارت الحقيقة اللغوية مهجورة بالحقيقة العرفية
عند عدم الاستثناء والجواب عن اصل السؤال انه سؤال حسن محقق وان هذه
التلبية توحيد محض على التقديرين فان صح النقل ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى
عنها فانما نهى عنها لانها توهم اثبات الشريك بمقتضى الاستثناء عند قاصري النظر
وهم عوام الناس فلهذه المفسدة نهى عنها **سورة الرعد** **فان قيل**   سورة الرعد
كيف قال تعالى ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار ولم يقل ومن هو سارب
بالنهار ليتناول معنى الاستواء المستخفي والسارب والا فقد يتناول واحدا هو مستخف
وسارب اي ظاهر وليتناسب لفظ الجملة الاولى والثانية فانه قال في الجملة الاولى
من اسر القول ومن جهر به **قلنا** قوله تعالى وسارب معطوف على من لا مستخف

متناول معنى الاستواء اثنين الثاني انه وان كان معطوفا على مستخف الآن من
هنا في معنى التثنية كقوله نكن مثل من يا ذيب يصطحبان وكانه قال
سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار **فان قيل** كيف قال تعالى وما
دعاء الكافرين الا في ضلال اي في ضياع وبطلان والكفار يدعون الله تعالى في اوقات
الشدائد والاهوال ومشارفتهم الغرق في البحر فيستجيب لهم **قلنا** المراد وما عبادة
الكافرين الاصنام الا في ضلال ويعضده قوله تعالى قبله الذين يدعون من دونه اي
يعبدون **فان قيل** كيف طابق قولهم لولا انزل عليه اية من ربه قل ان الله يضل
من يشاء ويهدي اليه من اناب **قلنا** هو كلام جرى مجرى التعجب من قولهم لان الايات
الباهرة المتكاثرة التي اوتيها رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤتها نبي قبله وكفى
بالقران وحده اية وراء كل اية فاذا جحدوا اياته ولم يعتقدوا بها وجعلوه كان اية لم تنزل
عليه قط كان موضعا للتعجب فكانه قيل لهم ما اعظم عنادكم وما اشد تصميمكم
على كفركم **فان قيل** كيف المطابقة بين قوله تعالى افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت
وقوله وجعلوا لله شركاء **قلنا** فيه محذوف تقديره افمن هو رقيب على كل نفس
صالحة وطالحة يعلم ما كسبت من خير وشر ويعد لكل جزاءه كمن ليس كذلك وهو
الصنم ثم ابتدأ فقال وجعلوا لله شركاء او تقديره افمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه
وجعلوا لله شركاء او تقديره افمن هو بهذه الصفة يغفل عن اهل مكة واقوالهم
وافعالهم وجعلوا لله شركاء **فان قيل** كيف اتصل قوله تعالى قل انما امرت ان
اعبد الله بما قبله وهو قوله تعالى ومن الاحزاب من ينكر بعضه **قلنا** هو جواب للمنكرين
معناه قل انما امرت فيما انزل الي بان اعبد الله ولا اشرك به فانكاركم لبعضه انكار
لعبادة الله تعالى وتوحيده كذا اجاب الزمخشري وفيه نظر **فان قيل** كيف قال تعالى
وقد مكر الذين من قبلهم اثبت لهم مكرا ثم نفاه بقوله تعالى فلله المكر جميعا **قلنا** معناه
ان مكر الماكرين مخلوق له ولا يضر الا باذنه فبهذه الجهة صحت اضافة مكرهم اليه الثاني
انه جعل مكرهم كلا مكر بالاضافة الى مكره لانه ياتيهم من حيث لا يعلمون وهم في غفلة عما
يراد بهم فيتخلص مكرهم عليهم **سورة ابراهيم عليه السلام** **فان قيل** سورة ابراهيم
قوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم هذا في حق غير النبي صلى الله

عليه

عليه وسلم من الرسل مناسب لان غيره لم يبعث الى الناس كافة بل الى قومه فقط
فارسل بلسانهم ليفقهوا عنه الرسالة ولا يبقى لهم حجة بانا لم نفهم رسالتك فاما النبي
صلى الله عليه وسلم فانه بعث الى الناس كافة قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم
جميعا وما ارسلناك الا كافة للناس فارساله بلسان قومه ان كان لقطع حجة
العرب فالحجة باقية لغيرهم من اهل الالسن الباقية وان لم يكن لغير العرب حجة
فلو نزل القران بلسان غير العرب لم يكن للعرب حجة **قلنا** نزوله على النبي صلى
الله عليه وسلم بلسان واحد كاف لان الترجمة لاهل بقية الالسن تغني عن نزوله
بجميع الالسن ويكفي التطويل كما جرى في القران العزيز الثاني ان نزوله بلسان واحد
ابعد عن التحريف والتبديل واسلم من التنازع والخلاف الثالث انه لو نزل بالسنة
كل الناس وكان معجزا في كل واحد منها وكلم الرسول العربي كل امة بلسانها كما كلم امته
التي هو منها لكان ذلك امرا قريبا من القسر والالجاء وبعثة الرسول لم تبن على
القسر والالجاء بل على التمكين من الاختيار فلما كان نزوله بلسان واحد كافيا كان
اولى الالسنة لسان قوم الرسول لانهم اقرب اليه وافهم عنه **فان قيل** كيف قال
تعالى في سورة البقرة يذبحون وفي سورة الاعراف يقتلون بغير واو فيهما وقال هنا
ويذبحون بالواو والقصة واحدة **قلنا** حيث حذف الواو جعل التذبيح والتقتيل
تفسيرا للعذاب وبيانا له وحيث اثبتها جعل التذبيح كانه جنس اخر غير العذاب
لانه اوفى على بقية انواعه وزاد عليها زيادة ظاهرة فعلى هذا يكون اثبات الواو
ابلغ **فان قيل** ما معنى التبعيض في قوله تعالى يغفر لكم من ذنوبكم **قلنا** ما جاء هكذا
الا في خطاب الكافرين كقوله تعالى في سورة نوح يغفر لكم من ذنوبكم وفي سورة
الاحقاف يا قومنا اجيبوا داعي الله وامنوا به يغفر لكم من ذنوبكم وقال تعالى في
خطاب المؤمنين في سورة الصف يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة الى قوله تعالى
يغفر لكم ذنوبكم وقال في سورة الاحزاب يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا
يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم وكذا باقي الايات في خطاب الفريقين اذا تتبعتها
وما ذلك الا للتفرقة بين الخطابين لئلا يسوى بين الفريقين في الوعد مع اختلاف
رتبتهما الا انه يغفر للكفار مع بقائهم على الكفر بعض ذنوبهم والذي يؤيد ما ذكرناه

من العلة انه في سورة نوح عليه السلام وفي سورة الاحقاف وعدهم مغفرة
بعض الذنوب بشرط الايمان لا مطلقا وقيل معنى التبعيض انه يغفر
لهم ما بينهم وبينه لا ما بينهم وبين العباد من المظالم ونحوها وقيل من زائدة
فان قيل كيف كرر تعالى الامر بالتوكل وكيف قال اولا وعلى الله فليتوكل
المومنون وقال ثانيا وعلى الله فليتوكل المتوكلون قلنا الامر الاول لاستحداث
التوكل والثاني لتثبيت المتوكلين على ما استحدثوا من توكلهم فلهذا كرره وقال
اولا المومنون وثانيا المتوكلون فان قيل كيف قالوا لرسلهم او لتعودن في ملتنا
والرسل لم يكونوا على ملة الكفار قط والعود هو الرجوع الى ما كان فيه الانسان قلنا
العود في كلام العرب يستعمل كثيرا بمعنى الصيرورة يقولون عاد فلان لا يكلمني
وعاد لفلان مال واشباه ذلك ومنه قوله تعالى عاد كالعرجون القديم الثاني انهم
خاطبوا الرسل بذلك بناء على زعمهم الفاسد واعتقادهم ان الرسل كانوا اولا على
ملة قومهم ثم انتقلوا عنها الثالث انهم خاطبوا كل رسول ومن امن به فغلّبوا في
الخطاب الجماعة على الواحد ونظير هذا السوال ما سبق في سورة الاعراف من قوله
تعالى او لتعودن في ملتنا وفي سورة يوسف عليه السلام من قوله اني تركت ملة قوم
الاية فان قيل كيف طابق الجواب السوال في قوله تعالى وبرزوا لله جميعا فقال
الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من
شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم قلنا لما كان قول الضعفا توبيخا وتقريعا وعتابا
للذين استكبروا على استتباعهم اياهم واستغوائهم احالوا الذنب على الله تعالى
في ضلالهم واضلالهم كما قالوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباونا ولو شاء الله
ما عبدنا من دونه من شيء يقولون ذلك في الاخرة كما يقولونه في الدنيا كما حكى الله
تعالى عن المنافقين يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم الاية وقيل
معنى جوابهم لو هدانا الله في الاخرة طريق النجاة من العذاب لهديناكم اي لاغنينا
عنكم وسلكنا بكم طريق النجاة كما سلكنا بكم طريق الهلكة في الدنيا فان قيل كيف
اتصل وارتبط قولهم سواء علينا اجزعنا ام صبرنا بما قبله قلنا اتصاله به من حيث
انه عتاب الضعفاء للذين استكبروا كان جزعا مما هم فيه وقلقا من الم العذاب

وقال

وقال لهم روساوهم سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص يريدون
انفسهم واياهم لاجتماعهم في عقاب الضلالة التي كانوا مجتمعين عليها في الدنيا
كانهم قالوا للضعفاء ما هذا الجزع والتوبيخ ولا فائدة فيه كما لا فائدة في الصبر فان
الامر اطم من ذلك واعظم فان قيل كيف قال الله تعالى وقال الشيطان لما قضي
الامر عبر عنه بلفظ الماضي وذلك القول من الشيطان لم يقع بعد وانما هو مترقب
منتظر بقوله يوم القيامة قلنا يجوز وضع المضارع موضع الماضي اذا امن اللبس
قال الله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان اي ما تلت وقال تعالى
فلم تقتلون انبياء الله من قبل وقال الحطيئة شهد الحطيئة يوم يلقى ربه
ان الوليد احق بالعذر وقوله على ملك سليمان نفي اللبس وكذا قوله تعالى من قبل
وقول الحطيئة يوم تلقى ربه وقوله تعالى لما قضي الامر لان قضاء الامر انما
يكون يوم القيامة فان قيل كيف قال تعالى ويضل الله الظالمين وقد راينا كثيرا
من الظالمين هداهم الله بالاسلام وبالتوبة وصاروا من الاتقياء قلنا معناه انه
لا يهديهم ما داموا مصرين على الكفر والظلم معرضين عن النظر والاستدلال
الثاني ان المراد به الظالم الذي سبق له القضاء في الازل انه يموت على الظلم فالله تعالى
يثبته على الضلالة ويخذله كما يثبت الذين امنوا بالقول الثابت وهو كلمة التوحيد
الثالث ان معناه انه يضل المشركين عن طريق الجنة يوم القيامة فان قيل
كيف قال تعالى وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله والضلال والاضلال لم يكن
غرضهم في اتخاذ الانداد وهي الاصنام وانما عبدوها ليقربهم الى الله كما حكى الله تعالى
عنهم ذلك بقوله ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقد شرحنا ذلك في سورة
يونس عليه السلام قلنا هذه لام العاقبة والصيرورة لا لام الغرض والمقصود كما
في قوله تعالى فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقول الشاعر
لدوا للموت وابنوا للخراب وقول الاخر فللموت تغذو الوالدات
سخالها كما لخراب الدهر تبنى المساكن والمعنى فيه انه لما افضى بهم اتخاذ
الانداد الى الضلال والاضلال صار كانهم اتخذوها لذلك وكذا لام الالتقاط والولادة والبناء
ونظايره كثيرة في القران العزيز وفي كلام العرب فان قيل كيف طابق الامر باقامة الصلاة

وانفاق المال وصف اليوم بانه لا بيع فيه ولا خلال قلنا معناه قل لهم تقدمون
من الصلوة والصدقة متجرا تجدون ربحه يوم لا ينفعهم متاجر الدنيا من المعاوضات
والصدقات التى يجلبون بها الهدايا والتحف لتحصيل المنافع الدنيوية بجهات المطابقة
فان قيل كيف قال تعالى لا بيع فيه ولا خلال اى لا صداقه وفى يوم القيامة خلال
لقوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ولقوله صلى الله عليه وسلم
المرء مع من احب قلنا معناه لا خلال فيه لمن لم يقم الصلوة ولم يؤد الزكوة فاما
المقيمون الصلوة والمؤتون الزكوة فهم الاتقياء وبينهم الخلال يوم القيامة لما تلونا
من الاية فان قيل كيف قال تعالى وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل
والنهار والمسخر للانسان هو الذى يكون فى طاعته يصرفه كيف شاء فى امره ونهيه
كالدابة والعبد والفلك كما قال تعالى سبحان الذى سخر لنا هذا وقال تعالى ليتخذ بعضكم
بعضا سخريا وقال تعالى وسخر لكم الفلك ويقال فلان مسخر لفلان اذا كان مطيعا له
ممتثلا لاوامره ونواهيه قلنا لما كان طلوعهما وغروبهما وتعاقب الليل والنهار لمنافعنا
متصلا مستمرا اتصالا لا ينقطع علينا فيه المنفعة ولا ينخرم سواسات هذه
المخلوقات ام ابت اشبهت المسخر المقهور فى ايدينا كالعبد والفلك ونحوهما
الثانى ان معناه انها مسخرة لله لاجلنا ولمنافعنا فاضافة التسخير الى الله تعالى بمعنى
انه فاعل التسخير واضافة التسخير الينا بمعنى عود نفع التسخير الينا فصحت
الاضافتان فان قيل كيف قال تعالى واتاكم من كل ما سألتموه والله لم يعطنا كل ما سألناه
ولا بعضا من كل فرد مما سألناه قلنا معناه واتاكم بعضا من جميع ما سألتموه لا من كل
فرد فرد فان قيل لا يصح هذا المحمل لوجهين احدهما انه لا يحسن الامتنان به الثانى
انه لا يناسبه قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قلنا اذا كان البعض الذى
اعطانا هو الاكثر من جميع ما سألناه وهو الاصلح والانفع لنا فى معاشنا ومعادنا
بالنسبة الى البعض الذى منعه عنا لمصلحتنا ايضا لم لا يحسن الامتنان به ويكون مناسبا
لما بعده وجواب اخر عن اصل السوال انه يجوز ان يكون قد اعطى جميع السائلين
بعضا من كل فرد مما سأله جميعهم وبهذا المقدار يصح الاخبار فى الاية وان لم يعط كل واحد
من السائلين بعضا من كل فرد مما سأله وايضاح ذلك ان يكون قد اعطى هذا شيئا مما سأله

واعطى

واعطى ذلك شيئا مما سأله هذا على ما اقتضته الحكمة والمصلحة فى حقهما كما اعطى
النبى صلى الله عليه وسلم الروية ليلة المعراج وهى مسئول موسى عليه السلام وما
اشبه ذلك فان قيل كيف قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها والاحصاء
والعد بمعنى واحد كذا نقل الجوهرى فيكون المعنى وان تعدوا نعمة الله لا تعدوها
وانه متناقض كقولك ان ترى زيدا لا تبصره اذ الروية والابصار واحد قلنا
بعض المفسرين فسر الاحصاء بالحصر فان صح ذلك لغة اندفع السوال ويويد ذلك
قول الزمخشرى لا تحصوها اى لا تحصروها ولا تطيقوا عدها وبلوغ اخرها وعلى
القول الاول فيه اضمار تقديره وان تريدوا عد نعمة الله لا تعدوها فان قيل
كيف قال تعالى لا تحصوها وهو يوهم ان نعم الله تعالى علينا غير متناهية وكل نعمة
ممتن بها علينا فهى مخلوقة وكل مخلوق متناه قلنا لا نسلم انه يوهم انها لا تتناهى
وذلك لان المفهوم منه منحصر فى انا لا نطيق عددها وحصر عددها ويجوز ان يكون
الشئ متناهيا فى نفسه والانسان لا يطيق عدده كرمل القفار وقطر البحار وورق
الاشجار وما اشبه ذلك فان قيل كيف قال ابرهيم عليه السلام واجنبنى وبنى ان
نعبد الاصنام وعبادة الاصنام كفر والانبياء معصومون عن الكفر باجماع الامة فكيف
حسن منه هذا السوال قلنا انما سأل هذا السوال فى حالة خوف اذهله عن ذلك
العلم لان الانبياء عليهم السلام اعلم الناس بالله فيكونون اخوفهم منه فيكون معذورا
بسبب ذلك ويمكن ان فى حكمة الله تعالى وعلمه ان لا يبتلى نبيا من الانبياء بالكفر
بشرط ان يكون متضرعا الى ربه طالبا منه ذلك فاجرى على لسانه هذا السوال
لتحقق شرط العصمة فان قيل كيف قال رب انهن اضللن كثيرا من الناس جعل
الاصنام مضلة والمضل ضار وقال فى موضع اخر ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم
ونظايره كثيرة فكيف التوفيق بينهما قلنا اضافة الاضلال اليها مجاز بطريق المشابهة
ووجهه انهم لما ضلوا بسببها فكانها اضلتهم كما يقال فتنتهم الدنيا وغرتهم اى افتتنوا
بسببها واغتروا ومثله قولهم دواء مسهل وسيف قاطع وطعام مشبع وماء مرو
وما اشبه ذلك معناه حصول هذه الاثار بسبب هذه الاشياء وفاعل الاثار هو الله
تعالى فان قيل كيف قال افئدة من الناس ولم يقل افئدة الناس وقوله قلوب

الناس اظهر استعمالاً من قوله فلو بأس من الناس **قلنا** قال ابن عباس رضى الله عنه
لو قال ابرهيم عليه السلام فى دعائه افئدة الناس لحجه جميع الملل وازدحم عليه
الناس حتى لم يبق لمومن فيه موضع مع ان حج غير الموحدين لا يفيد والافئدة هنا
القلوب فى قول الاكثرين و قيل الجماعة من الناس **فان قيل** اذا كان الله تعالى
قد ضمن رزق العباد فلم سال ابرهيم عليه السلام الرزق لذريته فقال
وارزقهم من الثمرات **قلنا** الله تعالى ضمن الرزق والقوت الذى لا بد للانسان
منه مادام حيا اما لم يضمن كونه ثمرا او حبا او نوعا معينا فالسوال كان لطلب
الثمر عينا **فان قيل** قوله الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسمعيل واسحق شكر
على نعمة الولد فكيف يناسبه قوله بعده ان ربى لسميع الدعاء **قلنا** لما كان قد دعا
ربه لطلب الولد بقوله رب هب لى من الصالحين فاستجاب له ناسب قوله بعد
الشكر ان ربى لسميع الدعاء اى لمجيبه من قولهم سمع الملك كلام فلان اذا اجابه
وقبله ومنه قولهم فى الصلوة سمع الله لمن حمده اى اجابه واثابه **فان قيل** كيف
قال ربنا اغفر لى ولوالدىّ استغفر لوالديه وكانا كافرين والاستغفار للكافر
لا يجوز ولا يقال ان هذا موضع الاشتباه الاستثناء المذكور فى قوله تعالى وما كان
استغفار ابرهيم الاية لان المراد بذلك استغفاره لابيه خاصة بقوله واغفر
لابى انه كان من الضالين والموعدة التى وعدها اياه كانت له خاصة بقوله
ساستغفر لك ربى ولهذا قال الله تعالى الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك
قلنا هذا الاستغفار لهما كان مشروطا بايمانهما بعد برا كانه قال ولوالدى
ان آمنا الثانى انه اراد بهما ادم وحواء عليهما السلام وقراء ابن عباس وابىّ والنخعى
والزهرى ولولدىّ يعنى اسمعيل واسحق وبعض هذه القراءة سبق ذكرهما
ولا اشكال على هذه القراءة وقيل ان هذا الدعاء على القراءة المشهورة كان زلة من
ابرهيم عليه السلام واليها اشار بقوله والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين
فان قيل الله تعالى منزه ومتعال عن السهو والغفلة والنبى صلى الله عليه وسلم
اعلم الناس بصفات جلاله وكماله فكيف يحسبه النبى صلى الله عليه وسلم غافلا حتى
نهاه عن ذلك بقوله تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون **قلنا** يجوز ان يكون

هذا نهيا لغير النبى صلى الله عليه وسلم ممن يجوز ان يحسبه غافلا لجهله بصفاته
وقوله تعالى بعده وانذر الناس لا يدل قطعا على ان الخطاب الاول للنبى صلى الله
عليه وسلم لجواز ان يكون ذلك النهى لغيره مع ان هذا الامر له الثانى انه مجاز معناه
ولا تحسبن الله يهمل الظالمين وتاركهم سدى لكون هذا من لوازم الغفلة عنهم الثالث
ان النهى وان كان حقيقة والخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم فالمراد به دوامه وثباته
على ما كان عليه من انه لا يحسب الله غافلا كقوله تعالى ولا تكونن من المشركين
وقوله تعالى ولا تدع مع الله الها اخر ونظير هذا من الامر قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا امنوا بالله ورسوله وقول بعض المفسرين ان معنى الاية يا ايها الذين امنوا
بموسى وعيسى امنوا بمحمد لا يخرج الاية عن كونها نظيرا الا ان الاستدلال بالايمان
بالله باق فتامل **سورة الحجر** **فان قيل** كيف قالوا يا ايها الذى
نزل عليه الذكر انك لمجنون اعترفوا بنبوته بان الذكر وهو القران نزل عليه
ثم وصفوه بالجنون **قلنا** انما قالوا ذلك استهزاء وسخرية لا تصديقا واعترافا
كما قال فرعون لقومه ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون وكما قال قوم شعيب له
انك لانت الحليم الرشيد ونظايره كثيرة الثانى ان فيه اضمارا تقديره يا ايها الذى
يدعى انه نزل عليه الذكر **فان قيل** كيف قال تعالى وانا لنحن نحيى ونميت ونحن
الوارثون والوارث هو الذى يتجدد له الملك بعد فناء المورث والله تعالى اذا
مات الخلايق لم يتجدد له ملك لانه لم يزل مالكا للعالم بجميع ما فيه ومن فيه
قلنا الوارث فى اللغة عبارة عن الباقى بعد فناء غيره سواء تجدد له بعده ملك
او لا ولهذا يصح ان يقال لمن اخبر ان زيدا مات وترك ورثة هل ترك لهم مالا
او لا فيكون معنى الاية ونحن الباقون بعد فناء الخلق الثانى ان الخلايق لما كانوا
يعتقدون انهم مالكون ويسمون بذلك ايضا اما مجازا او خلافة عن الله تعالى
كالعبد الماذون والمكاتب ويدل عليه قوله تعالى تؤتى الملك من تشاء واذا مات
الخلايق كلهم سلمت الاملاك كلها لله تعالى عن ذلك القدر من التعلق فبهذا الاعتبار
كانت الوراثة ونظير هذا قوله تعالى لمن الملك اليوم والملك له ازلا وابدا **فان قيل**
قوله تعالى فسجد الملائكة كلهم دل على الشمول والاحاطة وافاد التاكيد فما فائدة قوله

سورة الحجر

اجمعون قلنا قال سيبويه والخليل هو توكيد بعد توكيد ويفيد زيادة تمكين المعنى
وتقريره في الذهن ولا يكون لحصل الحاصل بل يكون نسبة اجمعون الى كلهم كنسبة
كلهم الى اصل الجملة وقال المبرد قوله تعالى اجمعون يدل على اجتماعهم في زمان
السجود وكلهم يدل على وجود السجود من الكل فكانه قال سجد الملائكة كلهم معًا
في زمان واحد واختار ابن الانباري هذا القول واختار الزجاج واكثر الائمة قول
سيبويه وقالوا لو كان الامر كما زعم المبرد لكان اجمعون حالًا لوجود حد الحال فيه
وليس بحال لانه مرفوع ولانه معرفة كسائر الفاظ التاكيد فان قيل ما وجه
ارتباط قوله تعالى ونبئهم عن ضيف ابرهيم بما قبله من قوله تعالى نبئ عبادي
الايتان قلنا لما انزل الله تعالى نبئ عبادي الايتان ولم يعين لاهل المغفرة واهل
العذاب غلب الخوف على الصحابة رضي الله عنهم فانزل الله تعالى بعد ذلك قصة
ضيف ابرهيم عليه السلام ليزول الخوف الصحابة وتسكن قلوبهم فان ضيف
ابرهيم جاؤا ببشارة للولي وهو ابرهيم عليه السلام وعقوبة للعدو وهم قوم
لوط عليه السلام وكذلك تنزيل الايتين المتقدمتين على الولي والعدو لا على الولي
وحده الثاني ان وجه الارتباط ان العبد وان كان كثير الذنوب والخطايا غير طامع
في المغفرة لا يبعد ان يغفر الله تعالى على ياسه كما رزق ابرهيم الولد على ياسه بعد
ما شاخ وبلغ مائة سنة او قريبا منها فان قيل كيف قالت الملائكة قدرنا انها
لمن الغابرين اي قضينا والقضاء لله تعالى لا لهم قلنا هو مجاز كما يقول خواص
الملك دبرنا كذا وامرنا بكذا ونهينا عن كذا ويكون الفاعل لجميع ذلك هو الملك
لا هم وانما يظهرون بذلك مزيد قربهم واختصاصهم بالملك فان قيل كيف
قال تعالى ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين واصحاب الحجر قوم صالح والحجر اسم
واديهم او مدينتهم على اختلاف القولين وقوم صالح لم يرسل اليهم غير صالح فكيف
يكذبونهم قلنا من كذب رسولا واحدا فكانما كذب الكل لان كل الرسل متفقون
في دعوة الناس الى توحيد الله تعالى فان قيل كيف قال تعالى هنا فوربك لنسئلنهم
اجمعين عما كانوا يعملون وقال في سورة الرحمن فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان
قلنا الجواب عنه من وجهين احدهما قد ذكرناه في مثل هذا السوال في سورة هود والثاني

ان المراد هنا انهم يسئلون سوال توبيخ وهو سوال لم فعلتم والمراد ثم انهم
لا يسئلون سوال استعلام واستخبار وهو سوال هل فعلتم

سورة النحل

سورة النحل

فان قيل لم قدمت الاراحة وهي موخرة في الواقع على السرح وهو مقدم
في الواقع في قوله تعالى حين تريحون وحين تسرحون قلنا لان الانعام في وقت
الاراحة وهي ردها عشيا الى المراح تكون اجمل واحسن لانها تقبل ملأى البطون
حافلة الضروع متهادية في مشيها يتبع بعضها بعضا بخلاف وقت السرح وهو اخراجها
الى المرعى فان كل هذه الامور تكون على ضد ذلك فان قيل قوله تعالى لم تكونوا بالغيه
الا بشق الانفس اريد به لم تكونوا بالغيه عليها الا بشق الانفس فلا امتنان فيه وان
اريد به لم تكونوا بالغيه بدونها الا بشق الانفس فهم لا يبلغونه عليها ايضا الا بشق
الانفس وهو مشقتها فما فائدة ذلك قلنا معناه وتحمل اثقالكم اي اجسامكم وامتعتكم
معكم الى بلد بعيد قد علمتم انكم لا تبلغونه بدونها بانفسكم من غير امتعتكم الا بجهد ومشقة
فكيف لو حملتم امتعتكم على ظهوركم والمراد بالمشقة المشقة التي تنشأ من المشي او من
المشي مع الحمل على الظهر لا مطلق مشقة السفر وهذا المخصوص بحال فقد الابل فظهر فائدة
ذلك فان قيل قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها يقتضي حرمة اكل لحم الخيل
كما اقتضاه في البغال والحمير من حيث انه لم ينص على منفعة اخرى غير الركوب والزينة
ومن حيث ان التعليل بعلة يقتضي الاختصار بها كقولك فعلت هذا لكذا فانه يناقضه
ان تكون فعلته لغيره اوله مع غيره الا اذا كان احدهما جهة في الاخر قلنا ينتقض
بالحمل عليها والحراثة بها فان ذلك مباح مع انه لم ينص عليه فان قيل انما ثبت ذلك
بالقياس على الانعام فانه منصوص عليه فيها بقوله تعالى والانعام خلقها لكم فيها دفء
ومنافع والمراد به كل منفعة معهودة منها فالاكل منفعة فثبت مثل ذلك في الخيل والبغال
والحمير لو كان ثبوته فيها بالقياس على ثبوته في الانعام لثبت الاكل في الخيل
بالقياس على ثبوته في الانعام لما ثبت لانه لو ثبت في الخيل لثبت في البغال والحمير
كما ثبت الحمل والحراثة ثبوتا شاملا للكل بالقياس على ثبوته في الانعام والجواب عن
الجهة الثانية في اصل السوال ان هذه ليست لام التعليل بل لام التمكين كقوله تعالى
جعل لكم الليل لتسكنوا فيه ومع هذا يجوز في الليل غير السكون فان قيل كيف قال

تعالى في وصف ماء السماء تنبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل
الثمرات ولم يقل كل الثمرات مع ان كل الثمرات تنبت بماء السماء قلنا كل الثمرات لا تكون
الا في الجنة وانما تنبت في الدنيا بعضها نموذجا وتذكرة فالتبعيض بهذا الاعتبار
فيكون المراد بالثمرات ما هو اعم من ثمرات الدنيا ومن يجوز زيادة من في الاثبات
يحتمل ان يجعلها زائدة هنا فان قيل قوله تعالى افمن يخلق كمن لا يخلق المراد بمن لا يخلق
الاصنام بدليل قوله تعالى بعده والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيا وهم
يخلقون فكيف جيء بمن المختصة باولي العلم والعقل قلنا خاطبهم على معتقدهم
لانهم سموها آلهة وعبدوها فاجروها مجرى اولي العلم ونظير هذا قوله تعالى في
الاصنام ايضا الهم ارجل يمشون بها الاية اجرى عليهم ضمير اولي العلم والعقل لما قلنا
ويرد على هذا الجواب ان يقال اذا كان معتقدهم خطاء وباطلا فالحكمة تقتضي ان ينزعوا
عنه ويقلعوا لا ان يبقوا عليه ويقرروا وفي خطابهم على معتقدهم ايهام لهم
ان معتقدهم حق وصواب وجوابه ان الغرض من الخطاب الافهام ولو خاطبهم على
خلاف معتقدهم ومفهومهم فقال افمن يخلق كما لا يخلق لاعتقدوا ان المراد بالثاني غير
الاصنام من الجماد الثاني قال ابن الانباري انما جاز ذلك لانها ذكرت مع العالم فغلب عليها
حكمه في اقتضاء من كما غلب على الدواب في قوله تعالى فمنهم من يمشي على بطنه الاية فكما في
قول العرب اشتبه على الراكب وجمله فما ادري من ذا ومن ذا فان قيل هذا الزام
للذين عبدوا الاصنام وسموها آلهة تشبيها بالله فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق
فظاهر الالزام يقتضي ان يقال لهم افمن لا يخلق كمن يخلق قلنا لما سووا بين
الاصنام وخالقها سبحانه وتعالى في تسميتها باسمه وعبادتها كعبادته فقد سووا
بين خالقها وبينها قطعا فصح الانكار بتقديم ايهما كان وانما قدم في الانكار عليهم ذكر
الخالق اما لانه اشرف او لانه هو المقصود الاصلي من هذا الكلام تنزيها له واجلالا
وتعظيما فان قيل ما فائدة قوله تعالى في وصف الاصنام غير احياء بعد قوله تعالى
اموات قلنا فائدته انها اموات لا يعقب موتها حياة كالنطف والبيض والاجساد
الميتة وذلك ابلغ في موتها كانه قال اموات في الحال وانها ستموت غير احياء في
المال الثاني انه ليس وصفا لها بل لعبادها معناه وعبادها غير احياء القلوب

المال الثالث انه انما قال غير احياء ليعلم انه اراد اموات في الحال لا انها ستموت كما في
قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون فان قيل كيف عاب الاصنام ان عبدتها
بانهم لا يعلمون وقت البعث فقال تعالى وما يشعرون ايان يبعثون والمؤمنون
الموحدون كذلك قلنا معناه وما تشعر الاصنام متى يبعث عبادها فكيف تكون
الهة مع الجهل ومعناه وما تشعر عبادها وقت بعثهم لا مفصلا ولا مجملا لانهم ينكرون
البعث بخلاف الموحدين فانهم يشعرون وقت بعثهم مجملا انه يوم القيامة وان
لم يشعروه مفصلا فان قيل قوله تعالى واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين
كيف يعترفون بانه من عند الله تعالى بالسؤال المعاد في ضمن الجواب ثم يقولون
هو اساطير الاولين قلنا قد سبق مثل هذا السؤال وجوابه في سورة الحجر في قوله
تعالى وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون فان قيل كيف قال هنا ليحملوا
اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم وقال في موضع اخر
ولا تزر وازرة وزر اخرى قلنا معناه ومن اوزار الذين يضلونهم فيكون عليهم وزر
كفرهم مباشرة ووزر كفر من اضلوه تسبيبا فقوله تعالى اوزارهم كاملة يعني اوزار
الذنوب التي باشروها واما قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى معناه وزرا لا مدخل
لها فيه ولا تعلق لها بها مباشرة ولا تسبيبا ونظيرهما من الايتين الايتان الاخريان
في قوله تعالى وقال الذين كفروا للذين امنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم الى قوله تعالى
واثقالا مع اثقالهم وجوابهما مثل جواب هاتين الايتين فان قيل قوله تعالى انما امرنا
لشيء الاية يدل على ان المعدوم شيء ويدل على ان خطاب المعدوم جائز والاول منتف
عند اكثر العلماء والثاني منتف بالاجماع قلنا اما تسميته شيا فمجاز باعتبار ما يؤول
اليه ونظيره قوله تعالى ان زلزلة الساعة شيء عظيم وقوله تعالى انك ميت وانهم
ميتون واما الثاني فان هذا خطاب تكوين تظهر به اثر القدرة فيمتنع ان يكون
المخاطب به موجودا قبل الخطاب لانه يكون بالخطاب فلا يسبقه بخلاف خطاب
الامر والنهي فان قيل قوله تعالى ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة
كيف لم يغلب العقلاء من الدواب على غيرهم كما في قوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء الاية
وبل اولى لانه ثم وصف ما لا يعقل بخصوصه بلفظ من وهو الحية والانعام وهنا

لو قال مَن في السموات ومن في الارض لايلزم وصف مالا يعقل بخصوصيه وتعيينه
بلفظ مَن بل المجموع قلنا لانه اراد عموم كل دابة وشمولها لما على التي
تعم النوع من وتشملها ولو جاء بمن لخصّ العقلاء فان قيل قوله تعالى ولو يؤاخذ
الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة يقتضي انه لو آخذ الظالمين بظلمهم لاهلك
غير الظالمين من الناس ولاهلك جميع الدواب غير الناس ومؤاخذة البري بسبب
ظلم الظالم لايحسن بالحكيم قلنا المراد بالظلم هنا الكفر وبالدابة الدابة الظالمة وهي
الكافر كذا قاله ابن عباس وقيل معناه لو اهلك الاباء بكفرهم لم تكن الابناء الثاني انه
لم لايجوز ان يهلك الجميع بشوم ظلم الظالمين مبالغة في اعدام الظلم ونفي وجود اثره حتى
لايوجد بعد ذلك من بقية الناس ظلم موجب للاهلاك كما وجد من الذين اهلكهم
بظلمهم ودليل جواز ذلك ما وجد في زمن نوح عليه السلام فانه اهلك بشوم ظلم
قوم نوح جميع دواب الارض الا من نجا في السفينة فلم يبق على ظهر الارض دابة
وكذا قال تعالى واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ثم اذا فعل ذلك للحكمة
والمصلحة التي اقتضت فعله عوّض البري في الاخرة ما هو خير وابقى الثالث ان
كل انسان مكلف فهو ظالم لنفسه او لغيره لانه لايخلو عن ذنب صغير او كبير فلو اهلك
الناس بذنوبهم لاهلك الدواب ايضا لانه انما خلق الدواب لمصالح الناس فاذا اعدم
الناس وقع استغناؤهم عن الدواب كلها فان قيل لانسلم ان غير الانسان من الحيوان
مخلوق لمصالح الانسان وسنده انه كان مخلوقا قبل خلق الانسان بالنقل عن كتب
الشرع وغيرها وقد جاء مصرحا به في الحديث في باب الخلق من جامع الاصول
سلمنا انه مخلوق لمصلحة الانسان لكن هلاك غير الانسان معه يخفف عليه الم
المصيبة لاسيما اذا كان الهالك معه من جنسه ولهذا قيل المصيبة اذا عمت طابت
سلمنا ان اهلاك غيره معه مؤلم له لكن لو كان اهلاكه معه لانه خلق لمصلحته
فاهلك تبعا له لاستغنائه عنه او لزيادة الايلام فالنبات ايضا خُلق لمصلحته على
قولكم فلم كان اهلاك الحيوان عقوبة للانسان اولى من اهلاك النبات ولم يقل
ما ترك عليها من دابة ونبات او من شيء قلنا الجواب عن الاول قوله تعالى خلق لكم
ما في الارض جميعا وخلقه قبل الانسان لاينفي خلقه لمصلحة الانسان كما يُعِدّ عظماء الناس

الدور والقصور والخدم والحشم والدواب والثياب لاولادهم واولاد اولادهم
قبل وجودهم وعن الثاني انا لاندعي انه يهلك مع الانسان بل قبله لتالمه بمشاهدة
هلاك محبوبه ومالوفه وعن الثالث ان المراد ما ترك عليها من دابة بواسطة منع
المطر فيعدم النبات ثم يعدم بواسطة عدمه غير الانسان من الحيوان ثم يعدم
الانسان كذا جاء في تفسير هذه الاية والاية التي في اخر سورة فاطر وهذا الترتيب
ابلغ في العذاب واعظم في العقاب من تقديم اهلاك الحيوان على النبات لان الانسان
اذا بقي حيوانه بلا علف كان اوجع له مما اذا بقي علفه بلا حيوان فان قيل كيف قال
تعالى من الجبال بيوتا ومن الشجر ولم يقل في الجبال وفي الشجر والاستعمال انما هو بفي
يقال اتخذ فلان بيتا في الجبل او في الصحراء ونحو ذلك قلنا قال الزمخشري انما اتى
بلفظة مِن لانه اراد معنى التبعيض وان لاتبتني بيوتها في كل جبل وكل شجر ولا في
كل مكان من الجبل والشجر وانا اقول انه انما ذكره بلفظة مِن لانه اراد كون البيت
بعض الجبل وبعض الشجر كما نشاهد ونرى من بناء بيوت النحل لا انه متخذ من طين
او عيدان في الجبل والشجر كما تتخذ الطيور فلو اتى بلفظة في لم تدل على هذا المعنى
ونظيره قوله تعالى وتنحتون من الجبال بيوتا فان قيل كيف قال تعالى والله جعل
لكم من انفسكم ازواجا وازواجنا ليست من انفسنا لانهن لو كن من انفسنا لكن حرمنا
علينا فان المتفرع من الانسان لايحل له نكاحها قلنا المراد بهذا انه خلق ادم ثم خلق
منه حواء كما قال تعالى الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها الثاني ان المراد
من جنسكم كما قال تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم فان قيل كيف قال تعالى ويعبدون
من دون الله ما لايملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا ولايستطيعون عبّر عن
الاصنام بالواو والنون وهما من خواص من يعقل قلنا كان في من يعبدونه من دون
الله من يعقل كعزير وعيسى والملائكة عليهم السلام فغلّبهم فان قيل لم افرد في
قوله تعالى ما لايملك ثم جمع في قوله ولايستطيعون قلنا افرد نظرا الى لفظها وجمع نظرا الى
معناها كما قال تعالى وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون لتستووا على ظهوره فافرد
الضمير نظرا الى لفظها وجمع الظهور نظرا الى معناها فان قيل ما فائدة نفي استطاعة
الرزق بعد نفي ملكه والمعنى واحد لان نفي ملك الفعل هو نفي استطاعته والرزق هنا

اسم مصدر بدليل اعماله في شيئا قلنا ليس في يستطيعون ضمير مفعول هو الرزق
بل الاستطاعة منفية عنهم مطلقا معناه لا يملكون ان يرزقوا ولا استطاعة لهم
اصلا في رزق او غيره لانهم جماد الثاني انه لو قدر فيه ضمير مفعول على معنى
ولا يستطيعونه كان مفيدا ايضا على اعتبار كون الرزق اسما للعين لان الانسان
يجوز ان لا يملك الشيء ولكن يستطيع ان يملكه لوجود الاهلية والقدرة على اكتساب
ملكه بخلاف هؤلاء فانهم لا يملكون ولا يستطيعون ان يملكوا فان قيل ما فائدة قوله تعالى
مملوكا بعد قوله عبدا وما فائدة قوله لا يقدر على شيء بعد قوله مملوكا قلنا لفظ العبد يصلح
للحر والمملوك لان الكل عبيد الله تعالى قال الله تعالى ووهبنا لداود سليمان نعم العبد
فقال مملوكا ليتميز عن الحر وقال لا يقدر على شيء ليتميز عن المأذون والمكاتب فانهما
يقدران على التصرف استقلالا فان قيل المضروب به المثل اثنان وهما المملوك
والمرزوق رزقا حسنا فظاهره ان يقال هل يستويان فكيف قال تعالى هل يستوون
قلنا لانه اراد جنس المماليك وجنس المالكين لا مملوكا معينا ولا مالكا معينا الثاني انه
اجرى الاثنين مجرى الجمع الثالث ان من يقع على الجمع ولقائل ان يقول على الوجه الثالث يلزم منه
ان يصير المعنى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا وجماعة مالكين هل يستوون وانه لا يحسن
مقابلة الفرد بالجمع في التمثيل فان قيل او في الخبر للشك والشك على الله تعالى محال
فما معنى قوله تعالى الا كلمح البصر او هو اقرب قلنا قيل او هنا بمعنى بل كما في قوله تعالى
الى مائة الف او يزيدون وقوله فهي كالحجارة او اشد قسوة وقوله فكان قاب قوسين او
ادنى ويرد على هذا ان بل للاضراب والاضراب رجوع عن الاخبار وهو على الله تعالى محال
وقيل هي بمعنى الواو في هذه الآيات وقيل او للشك في الكل لكن بالنسبة الينا لا الى الله تعالى
وكذا في قوله تعالى فكان قاب قوسين او ادنى يعني بالنسبة الى نظر النبي صلى الله عليه
وسلم وقال الزجاج ليس المراد ان الساعة تاتي في اقرب من لمح البصر ولكن المراد
وصف قدرة الله تعالى على سرعة الاتيان بها متى شاء فان قيل كيف قال تعالى
سرابيل تقيكم الحر ولم يقل والبرد مع ان السرابيل وهي الثياب تلبس لدفع الحر
والبرد وهي مخلوقة لهما قلنا حذف ذكر احدهما لدلالة ضده عليه كما في قوله تعالى بيدك
ولم يقل والشر وكما في قول الشاعر وما ادري اذا يممت ارضا اريد الخير ايهما يليني

اي اريد الخير لا الشر او اريد الخير واحذر الشر فان قيل فلم كان ذكر الخير
والحر اولى من ذكر الشر والبرد قلنا لان الخير مطلوب العباد من ربهم ومرغوبهم
اليه او لانه اكثر وجودا في العالم من الشر واما الحر فلان الخطاب بالقرآن اول ما وقع
مع اهل الحجاز والوقاية من الحر اهم عندهم لان الحر في بلادهم اشد من البرد
فان قيل كيف قال تعالى يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها واكثرهم الكافرون مع
ان كلهم كافرون قلنا قال الحسن المراد بالاكثر هنا الجميع وفي هذا نظر لان بعض
الناس لا يجوز اطلاق اسم البعض على الكل لانه ليس الا نماله بخلاف عكسه فان قيل
ما فائدة قول المشركين عند رؤية الاصنام ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو
من دونك والله تعالى عالم بذلك قلنا لما انكروا الشرك بقولهم والله ربنا ما كنا
مشركين عاقبهم الله تعالى باصمات السنتهم وانطق جوارحهم فقالوا عند معاينة
الهتهم ربنا هؤلاء شركاؤنا اي قد اقررنا بعد الانكار وصدقنا بعد الكذب طلبا
للرحمة وفرارا من الغضب فكان هذا القول على وجه الاعتراف منهم بالذنب لا على
وجه اعلام من لا يعلم الثاني انهم لما عاينوا عظم غضب الله تعالى وعقوبته قالوا
ربنا هؤلاء شركاؤنا رجاء ان يلزم الله تعالى الاصنام ذنوبهم لانهم كانوا يعتقدون
لها العقل والتمييز فيخف عنهم العذاب فان قيل لم قالت الاصنام للمشركين انكم
لكاذبون وكانوا صادقين فيما قالوا قلنا انما قالت لهم ذلك ليظهر فضيحتهم وذلك ان
الاصنام كانت جمادا لا تعرف من يعبدها فلم تعلم انهم عبدوها في الدنيا فظهرت
فضيحتهم حيث عبدوا من لا يعلم بعبادتهم ونظير هذا قوله تعالى واتخذوا من دون الله الهة
ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا فان قيل اذا كان القرآن
تبيانا لكل شيء من امور الدين فمن اين وقع بين الامة في احكام الشريعة هذا الخلاف الطويل
العريض قلنا انما وقع الخلاف بين الائمة لان كل شيء يحتاج اليه من امور الدين ليس مبينا
في القرآن نصا بل بعضه مبين نصا وبعضه مستنبط بيانه منه بالنظر والاستدلال
وطرق النظر والاستدلال مختلفة فلذلك وقع الخلاف فان قيل كثير من احكام الشريعة
لم تعلم من القرآن نصا ولا استنباطا كعدد ركعات الصلوات ومقادير ديات الاعضاء

وطه السفر والمسح والحيض ومقدار حد الشرب ونصاب السرقة وما اشبه
ذلك مما يطول ذكره **قلنا** القران تبيان لكل شي من امور الدين لانه نص على
بعضها واحال على السنة في بعضها بقوله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم
عنه فانتهوا وقوله وما ينطق عن الهوى واحال على الاجماع ايضا بقوله تعالى
ويتبع غير سبيل المومنين الاية واحال على القياس ايضا بقوله تعالى فاعتبروا
يا اولي الابصار والاعتبار النظر والاستدلال فهذه اربعة طرق لا يخرج شي من
احكام الشريعة عنها وكلها مذكور في القران فصح كونه تبيانا لكل شي **فان قيل**
كيف وُحِّدت القدم ونكرت في قوله تعالى فتزل قدم بعد ثبوتها ولم يقل القدم او
الاقدام وهو اشد مناسبة لجمع الايمان **قلنا** وُحِّدت ونكرت لاستعظام
ان تزل قدمٌ واحدة عن طريق الجنة فكيف باقدام كثيرة **فان قيل** من يتناول
الذكر والانثى لغة ويؤيده قوله تعالى من جاء بالحسنة الاية وقوله تعالى فمن يعمل
مثقال ذرة خيرا يره الاية وقوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه وقوله تعالى
ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ونظايره كثيرة فكيف قال تعالى
هنا من عمل صالحا من ذكر او انثى **قلنا** انما صرح بذكر النوعين هنا لسبب اقتضى
ذلك وهو ان النساء قلن ذكر الله تعالى الرجال في القران بخير ولم يذكر النساء بخير
فلو كان فينا خير لذكرنا به فانزل الله تعالى ان المسلمين والمسلمات الاية وانزل
من عمل صالحا من ذكر او انثى فذهب عن النساء وهم تخصيصهن عن العمومات
فان قيل كيف قال تعالى فلنحيينه حيوة طيبة وقد راينا كثيرا من الصلحاء الاتقيا
قطعوا اعمارهم في المصايب والمحن وانواع البلاء اعتبرنا الامثل فالامثل الى الانبياء **قلنا**
المراد بالحيوة الطيبة الحياة في القناعة وقيل في الرزق الحلال وقيل في رزق يوم بيوم وقيل
في التوفيق للطاعات وقيل في حلاوة الطاعات وقيل في الرضا بالقضاء وقيل المراد
الحياة في القبر كما قال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم
وقيل المراد به الحياة في الدار الاخرة وهي الحياة الحقيقية لانها حيوة لا موت بعدها دايمة في
النعيم المقيم والظاهر ان المراد به الحياة في الدنيا لقوله تعالى ولنجزينهم اجرهم وعدهم الله

ثواب الدنيا والاخرة كما قال فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة **فان قيل**
كيف قال تعالى وان الله لا يهدي القوم الكافرين وكثير من الصحابة وغيرهم كانوا
كافرين فهداهم الله تعالى الى الايمان **قلنا** المراد بهذا الكافرون الذين علم الله تعالى
انهم يموتون على الكفر ويؤيده ما بعد ذلك من الايات **فان قيل** ما معنى اضافة النفس
الى النفس في قوله تعالى يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها والنفس ليس لها
نفس اخرى **قلنا** النفس اسم للجوهر القايم بذاته المتعلق بالجسم تعلق التدبير
وقيل هو اسم لجملة الانسان كقوله تعالى كل نفس ذائقة الموت وقوله تعالى وكتبنا
عليهم فيها ان النفس بالنفس والنفس ايضا اسم لعين الشي وذاته كما يقال نفس
الذهب والفضة محبوبة اي عينهما وذاتهما فكانه قال يوم تاتي كل انسان تجادل
عن ذاته لا تهمه شان غيره كل يقول نفسي نفسي واختلف معنى النفسين
فان قيل كيف قال تعالى فاذاقها الله لباس الجوع ولم يقل فكساها الله لباس
الجوع والاذاقة لا تناسب اللباس وانما تناسبه الكسوة **قلنا** الاذاقة تناسب
المستعار له وهو الجوع من حيث ان الجوع يقتضي الاكل فيقتضي الذوق وان
كانت لا تناسب المستعار وهو اللباس والكسوة تناسب المستعار وهو اللباس
ولا تناسب المستعار له وهو الجوع وكلاهما من دقايق علم البيان يسمى الاول منهما
تجريد الاستعارة والثاني ترشيح الاستعارة فجاء القران العزيز في هذه الاية بتجريد
الاستعارة وقد ذكرنا تمام هذا في كتابنا المسمى روضة الفصاحة ولباس الجوع والخوف
استعارة لما يظهر على اهل القرية من اثر الجوع والخوف من الصفرة والنحول فهو كقوله
تعالى ولباس التقوى استعارة اللباس لما يظهر على المتقي من اثر التقوى وقيل ان فيه
اضمارا تقديره فاذاقها الله طعم الجوع وكساها لباس الخوف **سورة بني اسرائيل** سورة بني اسرائيل
فان قيل كيف قال تعالى بعبده ولم يقل بنبيه او برسوله او بحبيبه او بصفيه
ونحو ذلك مع ان المقصود من ذلك الاسراء تعظيمه وتبجيله **قلنا** انما سماه عبدا في ارفع
مقاماته واجلها وهو هذا وقوله تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى لئلا تغلط به امته وتضل به
كما ضلت امة المسيح به فدعته الها وقيل لئلا تتطرق اليه الكبر والعجب **فان قيل**
الاسرا لا يكون الا بالليل فما فايدة ذكر الليل **قلنا** فايدته انه ذكر منكرا ليدل على قصر

الزمان الذي كان فيه الاسراء والرجوع مع انه كان من مكة الى بيت المقدس مسيرة
اربعين ليلة وذلك لان التنكير يدل على البعضية ويؤيده قراءة عبد الله وحذيفة
من الليل اي بعض الليل كقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك فانه امر
بالقيام في بعض الليل فان قيل اي حكمة في نقله عليه السلام من مكة الى بيت
المقدس ثم العروج به من بيت المقدس الى السماء وهلا عرج به من مكة الى السماء
دفعة واحدة قلنا لان بيت المقدس محشر الخلائق فاراد الله تعالى ان يطأها قدمه
ليسهل على امته يوم القيامة وقوفهم عليها ببركة اثر قدمه الثاني ان بيت المقدس
مجمع ارواح الانبياء فاراد الله تعالى ان يشرفهم بزيارته عليه السلام الثالث انه
اسري به الى بيت المقدس ليشاهد من احواله وصفاته ما يخبر به كفار مكة
صبيحة تلك الليلة فيدلهم اخباره بذلك مطابقا لما رأوا وشاهدوا على صدقه
في حديث الاسراء فان قيل كيف قال تعالى باركنا حوله ولم يقل باركنا عليه او باركنا
فيه مع ان البركة في المسجد تكون اكثر من خارج المسجد وحوله خصوصا المسجد الاقصى
قلنا اراد البركة الدنيوية بالانهار الجارية والاشجار المثمرة وذلك حوله لا فيه وقيل اراد
البركة الدينية فانه مقر الانبياء عليهم السلام ومتعبدهم ومهبط الوحي والملائكة
وانما قال تعالى باركنا حوله ليكون بركته اعم واشمل فانه اراد بما حوله ما احاط به من ارض
الشام وما قاربه منها وذلك اوسع من مقدار بيت المقدس ولانه اذا كان هو الاصل
وقد بارك في لواحقه وتوابعه من البقاع كان هو مباركا فيه بالطريق الاولى بخلاف العكس
وقيل المراد البركة الدنيوية والدينية ووجههما ما مر وقيل المراد باركنا حوله من بركته
نشأت منه فعمت جميع الارض لان مياه الارض كلها اصلها انفجارها من تحت الصخرة
التي في بيت المقدس فان قيل ما وجه ارتباط قوله تعالى انه كان عبدا شكورا بما قبله
ومناسبته له قلنا معناه لا تتخذوا من دوني ربا فتكونوا كافرين ونوح كان عبدا
شكورا وانتم ذرية من امن به وحمل معه فتأسوا به في الشكر كما تأسى به اباؤكم فان
قيل كيف قال تعالى وان اساتم فلها ولم يقل فعليها كما قال من عمل صالحا فلنفسه ومن
اساء فعليها قلنا قيل اللام هنا بمعنى على كما في قوله تعالى وتله للجبين وقوله تعالى يخرون
للاذقان وقيل معناه فلها رجاء الرحمة او فلها التخلص بالتوبة والاستغفار والصحيح ان

اللام هنا على بابها لانها للاختصاص وكل عامل مختص بجزاء عمله حسنة كان او سيئة
وقد سبق مثل هذا مستوفى في اخر سورة البقرة في قوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت
فان قيل كيف قال تعالى هنا وجعلنا الليل والنهار ايتين وقال في قصة مريم وعيسى
عليهما السلام وجعلناها وابنها اية للعالمين وجعلنا ابن مريم وامه اية مع ان عيسى
عليه السلام كان وحده ايات شتى حيث كلم الناس في المهد وكان يحيي الميت ويبرئ
الاكمه والابرص ويخلق الطير الى غير ذلك من الايات وامه وحدها كانت اية حيث
حملت من غير فحل قلنا انما اراد به الاية التي كانت مشتركة بينهما ولم يتم الا بهما وهي ولادة ولد
من غير فحل بخلاف الليل والنهار والشمس والقمر الثاني ان الاية الواحدة محذوفة ايجازا
واختصارا تقديره وجعلناها اية وابنها اية وجعلنا ابن مريم اية وامه اية فان قيل
كيف قال تعالى وجعلنا اية النهار مبصرة والابصار من صفات ما له حياة والمراد باية النهار
اما الشمس او النهار نفسه وكلاهما غير مبصرة قلنا المبصرة في اللغة بمعنى المضيئة
نقله الجوهري وقال غيره معناه بينة واضحة ومنه قوله تعالى واتينا ثمود الناقة مبصرة
اي اية واضحة مضيئة وقوله تعالى فلما جاءتهم اياتنا مبصرة الثاني معناه مبصرا بها
ان كانت الشمس او فيها ان كانت النهار ومنه قوله تعالى والنهار مبصرا اي مبصرا فيه
ونظيره قولهم ليل نائم ونهار صائم اي ينام فيه ويصام فيه الثالث انه فعل رباعي
منقول بالهمزة عن الثلاثي الذي هو بصر بالشيء اي علم به فهو بصير اي عالم
معناه انها تجعلهم بصراء فيكون المبصرة بمعنى المبصرة وعلى هذا حمل الاخفش
قوله تعالى فلما جاءتهم اياتنا مبصرة اي تبصرهم فتجعلهم بصراء الرابع ان بعض
الناس زعم ان الشمس حيوان له حيوة وبصر وقدرة وهو متحرك بارادته في
امتثال امر الله تعالى كما يتحرك الانسان فان قيل ما الفائدة في ذكر عدد السنين
مع انه لو اقتصر على قوله تعالى لتعلموا الحساب دخل فيه عدد السنين اذ هو من جملة
الحساب قلنا العدد هو موضوع الحساب كبدن الانسان موضوع الطب وافعال
المكلفين موضوع الفقه وموضوع كل علم مغاير له وليس جزءا منه كبدن الانسان
ليس جزءا من الطب ولا افعال المكلفين جزءا من الفقه وكذا العدد ليس جزءا من الحساب
وانما ذكر عدد السنين وقدمه على الحساب لان المقصود الاصلي من محو اية الليل وجعل

اية النهار مبصرة علم عدد الشهور والسنين ثم يتفرع من ذلك علم حساب التاريخ
وضرب المدد والاجال **فان قيل** كيف قال تعالى هنا كفى بنفسك اليوم عليك
حسيبا وقال في موضع اخر وكفى بنا حاسبين **قلنا** مواقف القيامة مختلفة
ففي موقف يكل الله تعالى حسابهم الى انفسهم وعلمه محيط به وفي موقف يحاسبهم
هو وقيل هو الذي يحاسبهم لا غير وقوله تعالى كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا اي
يكفيك انك شاهد على نفسك بذنوبها عالم بذلك فهو توبيخ وتقريع لا انه تفويض
لحساب العبد الى نفسه وقيل من يريد مناقشته في الحساب يحاسبه بنفسه
ومن يريد مسامحته فيه يكل حسابه اليه **فان قيل** قوله تعالى ولا تزر وازرة
وزر اخرى يرده ما جاء في الاخبار ان في يوم القيامة يؤخذ من حسنات المغتاب
والمديون ويزاد في حسنات رب الدين والشخص الذي اغتيب فان لم يكن لهما
حسنات يوضع عليهما من سيئات خصميهما وكذلك جاء هذا في ساير المظالم **قلنا**
المراد من الاية انها لا تحمله اختيارا ردا على الكافرين حيث قالوا للذين امنوا اتبعوا
سبيلنا ولنحمل خطاياكم الاية والمراد من الخبر انها تحمله كرها فلا تنافي بينهما
وقد سبق هذا مرة في اخر سورة الانعام **فان قيل** كيف قال تعالى امرنا مترفيها
ففسقوا فيها وقال في اية اخرى قل ان الله لا يامر بالفحشاء **قلنا** فيه اضمار تقديره
امرناهم بالطاعة ففسقوا قاله الزجاج ومثله قولهم امرته فعصاني وامرته فخالفني
لا يفهم منه الامر بالمخالفة الثاني ان معناه كثّرنا مترفيها يقال امرته وآمرته بالقصر
والمد بمعنى كثّرته وقد قرئ بهما ومنه الحديث خير المال مهرة مامورة وسكة مابورة
اي كثيرة النتاج والنسل الثالث ان معناه امّرنا مترفيها بالتشديد يقال امّرت فلانا
بمعنى امرته اي جعلته اميرا فمعنى الاية سلطناهم بالامارة ويعضد هذا الوجه قراءة من قرأ
امّرنا بالتشديد وقال الزمخشري رحمه الله لا يجوز ان يكون معناه امرناهم بالطاعة ففسقوا
لان حذف ما لا دليل عليه في اللفظ غير جايز فكيف يقدر حذف ما قام الدليل في اللفظ على
نقيضه وذلك لان قوله ففسقوا يدل على ان المامور به المحذوف هو الفسق وهو كلام مستفيض
يقال امرته فقام وامرته فقعد وامرته فقرأ لا يفهم الا ان المامور به القيام والقعود والقراءة
خلاف قولهم امرته فعصاني وامرته فخالفني حيث لا يكون المامور به المحذوف المعصية والمخالفة

لان ذلك مناف للامر مناقض له ولا يكون ما يناقض الامر وينافيه مامورا به فيكون
المامور به في هذا الكلام غير مدلول عليه ولا منوي والمتكلم بمثل هذا لا ينوي لامره مامورا به
بل كانه قال كان مني امر فلم يكن منه طاعة او وكانت منه مخالفة كما تقول مر زيدا
يطيعك وكما تقول فلان يامر وينهى ويعطي ويمنع ويصل ويقطع ويضر وينفع فانك
لا تنوي فيه مفعولا **فان قيل** على هذا حقيقة امرهم بالفسق ان يقول لهم افسقوا
وهذا لا يكون من الله تعالى فلا يقدر الفسق محذوفا ولا مامورا به **قلنا** الفسق المحذوف
المقدر مجاز عن اترافهم وصب النعم عليهم صبا افضى بهم الى جعلها ذريعة الى المعاصي
ووسيلة الى اتباع الشهوات فكانهم امروا بذلك لما كان السبب في وجوده الاتراف
وفتح باب النعم **فان قيل** لم لا يكون ثبوت العلم بان الله تعالى لا يامر بالفحشاء
وانما يامر بالطاعة والعدل والخير دليلا على ان المراد امرناهم بالطاعة ففسقوا **قلنا**
لو جاز مثل هذا الاضمار والتقدير لكان المتكلم مريدا من مخاطبه علم الغيب لانه اضمر
ما لا دال عليه في اللفظ بل ابلغ لانه اضمر ما في اللفظ ما يناقضه وينافيه وهو قوله
ففسقوا فكانه اظهر شيا وادعى اضمار نقيضه فكان صرف الامر الى ما ذكرنا من المجاز هو الوجه
هذا كله كلام الزمخشري رحمه الله ولا اعلم احدا من ايمة التفسير صار اليه غيره ثم انه ايده
فقال ونظير امر شاء في ان مفعوله استفاض فيه الحذف لدلالة ما بعده عليه تقول
لو شاء فلان لاحسن اليك ولو شاء لاساء اليك يريد لو شاء الاحسان لاحسن ولو شاء
الاساءة لاساء فلو ذهبت تضمر خلاف ما اظهرت وتعني لو شاء الاساءة لاحسن اليك
او لو شاء الاحسان لاساء اليك وتقول قد دلت حال من اسندت اليه المشية انه من اهل
الاحسان دايما او من اهل الاساءة دايما فتترك الظاهر المنطوق به وتضمر ما دلت عليه
حال صاحب المشية لم تكن على سداد **فان قيل** على الوجه الاول لو كان المضمر المحذوف
الامر بالطاعة لما كان مخصوصا بالمترفين لان امر الله تعالى بالطاعة عام للمترفين وغيرهم
قلنا امر الله تعالى بالطاعة وان كان عاما ولكن لما كان صلاح الامراء والرؤسا وفسادهم
مستلزما لصلاح الرعية وفسادها غالبا خصهم بالذكر ويؤيد هذا ما جاء في الخبر
صلاح الوالي صلاح الرعية وفساد الوالي فساد الرعية **فان قيل** قوله تعالى من كان يريد
العاجلة الاية يدل على ان من لم يزهد في الدنيا ولم يتركها كان من اهل النار والامر بخلافه

قلنا المراد من كان يريد باسلامه وطاعته وعبادته الدنيا لا غير ومثل هذا
لا يكون الا كافرا او منافقا ولهذا قال ابن جرير هذه الاية لمن لا يوقن بالمعاد فاما
من اراد من الدنيا قدر ما يتزود به الى الاخرة كيف يكون مذموما مع ان الاستغناء
عن الدنيا بالكلية وعن جميع ما فيها لا يتصور في حق البشر ولو كانوا انبياء فعلم ان المراد
ما قلنا فان قيل كيف قال تعالى وما كان عطاء ربك محظورا اي ممنوعا ونحن نرى ونشاهد
في الواقع ان واحدا اعطاه قناطير مقنطرة واخر منعه العطاء حتى الدانق والحبة قلنا
المراد بالعطاء هنا الرزق والله تعالى سوى في ضمان الرزق وايصاله بين البر والفاجر
والمطيع والعاصي ولم يمنع الرزق عن العاصي بسبب عصيانه فلا تفاوت بين العبيد في
اصل الرزق وانما التفاوت بينهم في مقادير الاملاك فان قيل كيف منع الله تعالى الكفار
التوفيق والهداية ولم يمنعهم الرزق قلنا لانه لو منعهم الرزق لهلكوا وصار ذلك حجة لهم
يوم القيامة بان يقولوا لو امهلتنا ورزقتنا لبقينا احياء فامنا الثاني انه لو اهلكهم
بمنع الرزق لكان قد عاجلهم بالعقوبة فيبطل معنى اسمه الحليم عن معناه لان الحليم هو
الذي لا يعجل بالعقوبة على من عصاه الثالث ان منع الطعام والشراب من صفات البخلاء
الاخساء والله تعالى منزه عن ذلك وقيل اعطاء الرزق لجميع العبيد عدل وعدل الله تعالى
عام وهبة التوفيق والهداية فضل وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء فان قيل
ما فائدة قوله عندك في قوله تعالى اما يبلغن عندك الكبر قلنا فائدته انهما يكبران في
بيته وكنفه ويكونان كلا عليه لا كافل لهما غيره وربما تولى منهما من المشاق ما كانا
يتوليان منه في حال الطفولة فان قيل كيف قال تعالى ولا تقربوا الزنا ولم يقل
ولا تزنوا قلنا لو قال ولا تزنوا كان نهيا عن الزنا لا عن مقدماته كاللمس والعانقة
والقبلة ونحو ذلك ولما قال ولا تقربوا كان نهيا عنه وعن مقدماته لان فعل المقدمات
قربان للزنا فان قيل الانسان يقول كل ذلك كان سيئه الى ماذا على قراءة التنوين
قلنا الانسان الى كل ما هو منهي عنه من جميع ما ذكر من قوله تعالى وقضى ربك
الا تعبدوا الا اياه الى هذه الاية لا الى جميع ما ذكر فان فيه حسنا وسيئا وقال ابو علي
هو اشارة الى قوله تعالى ولا تقف وما بعده لانه لا حسن فيه فان قيل كيف قال تعالى

فعطل

سبح له السموات والارض ومن فيهن وقوله ومن فيهن يتناول الادميين كلهم
والمراد به العموم كما هو مقتضى الصيغة بدليل ما ذكره بقوله تعالى بعده وان من شيء
الا يسبح بحمده والتسبيح هو التنزيه والتقديس من كل ما لا يليق بصفات جلاله وكماله
والكفار يضيفون اليه الزوج والولد والشريك وغير ذلك فاين تسبيحهم قلنا
الضمير في قوله تعالى ومن فيهن راجع الى السموات فقط الثاني انه راجع الى السموات
والارض والمراد بقوله تعالى ومن فيهن يعني من المؤمنين فيكون عاما اريد به
الخاص وعلى هذا يكون المراد بالتسبيح المسند الى من فيهن التسبيح بلسان المقال
الثالث ان المراد به التسبيح بلسان الحال حيث يدل على وجود الصانع وعظم قدرته
ونهاية حكمته فكانها تنطق بذلك وتنزهه عما لا يجوز عليه ولا يليق به من
السوء ويؤيده قوله تعالى بعده وان من شيء الا يسبح بحمده والتسبيح العام لجميع
الموجودات انما هو التسبيح بلسان الحال فان قيل لو كان المراد هو التسبيح بلسان
الحال لما قال ولكن لا تفقهون تسبيحهم لان التسبيح بلسان الحال مفقوه لنا اي
مفهوم ومعلوم قلنا الخطاب بقوله تعالى ولكن لا تفقهون تسبيحهم للكفار وهم
مع تسبيحهم بلسان الحال لا يفقهون تسبيح الموجودات على ما ذكرنا من التفسير
لانهم لما جعلوا لله شركاء وزوجا وولدا دل ذلك على عدم فهمهم تسبيح الموجودات
وتنزيهها وعدم اتضاح دلائل الوحدانية لهم لان الله تعالى طبع على قلوبهم فان
قيل من فيهن وهم الملائكة والثقلان يسبحون حقيقة والسموات والارض
والجمادات تسبح مجازا فكيف جمع بين ارادة الحقيقة والمجاز من لفظ واحد وهو قوله تعالى
يسبح قلنا التسبيح المجازي بلسان الحال حاصل من الجميع فيحمل عليه دفعا لما ذكرتم
من المحذور فان قيل كيف قال تعالى يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده والمستجيب الشائع
دعاه فاستجاب لامره او بامره اي اجاب قلنا قال ابن عباس رضي الله عنه المراد
بقوله تعالى بحمده بامره وقال سعيد بن جبير اذا دعا الله الخلائق للبعث يخرجون من
قبورهم وهم ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك وقال غيره
وهم يقولون الحمد لله الذي صدقنا وعده وعلى هذا تكون الباء بمعنى مع كما في قوله تعالى تنبت
بالدهن وقوله وسبح بحمد ربك فان قيل كيف اجمل ذكر الانبياء كلهم بقوله تعالى

ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض ثم خص داود بالذكر فقال وآتينا داود زبورا
قلنا لانه اجتمع له ما لم يجتمع لغيره من الانبياء وهو الرسالة والكتابة والخطابة
والخلافة والملك والقضاء في زمن واحد قال الله تعالى وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة
وفصل الخطاب وقال يا داود انا جعلناك خليفة في الارض الثاني ان قوله تعالى
ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض اشارة الى تفضيل محمد صلى الله عليه وسلم وقوله
وآتينا داود زبورا دال على وجه تفضيله وهو انه خاتم الانبياء وان امته خير الامم
لان ذلك مكتوب في زبور داود عليه السلام واليه الاشارة بقوله تعالى ولقد كتبنا
في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
وامته فان قيل لم نكر الزبور هنا وعرفه في قوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر
قلنا يجوز ان يكون الزبور من الاعلام التي يستعمل بالالف واللام وبغيرهما كالعباس
والفضل والحسن والحسين ونحوها الثاني انه نكره لانه اراد وآتينا داود بعض الزبور
وهي الكتب الثالث انه نكره لانه اراد به ما ذكر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الزبور فسمي ذلك زبورا لانه بعض الزبور كما سمي بعض القران قرانا فقال تعالى
وقرانا فرقناه الاية وقال بما اوحينا اليك هذا القران واراد به سورة يوسف
عليه السلام وقال وقران الفجر اي القران المتلو في صلوة الفجر فان قيل قوله تعالى
فلا يستطيعون كشف الضر عنكم مغن عن قوله تعالى ولا تحويلا لانهم اذا لم يستطيعوا
كشف الضر لا يستطيعون تحويله لان تحويل الضر نقله من محل واثباته في محل اخر وهو
تحويل الغراس والمتاع وغيرهما وكشف الضر مجرد ازالته ومن لا يقدر على الازالة
وحدها فكيف يقدر على الازالة مع الاثبات والمراد بالاية كشف الفقر والمرض
والقحط ونحوها قلنا التحويل له معنيان احدهما ما ذكرتم والثاني التبديل ومنه قولهم
حولت القميص قباء والفضة خاتما واريد بالتبديل هنا الكشف لان في الكشف المنفي
في الاية تبديلا فان المرض متى كشف تبدل بالصحة والفقر متى كشف تبدل بالغنى
والقحط متى كشف تبدل بالخصب وكذا جميع الاضداد فاطلق التبديل واراد به الكشف
الا انه لم يرد كشف الضر لئلا يلزم التكرار بل اراد به مطلق الكشف الذي هو الازالة يعني
فلا يستطيعون كشف الضر عنكم ولا كشفا تاما ولهذا لم يقل ولا تحويله وهذا الجواب مما فتح الله

تعالى

تعالى علي به من خزاين جوده ونظيره ما ذكرنا في سورة النحل في قوله تعالى ويعبدون
من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا ولا يستطيعون
فان قيل قوله تعالى وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون
الاية فيها اسولة اولها ان الله تعالى لا يمنعه عما يريده مانع فان اراد ارسال الايات
كيف يمنعه تكذيب الامم الماضية وان لم يرد ارسالها كان وجود تكذيبهم وعدمه سواء
وكان عدم الارسال لعدم الارادة الثاني ان الارسال يتعدى بنفسه قال الله تعالى
انا ارسلنا نوحا الى قومه فاي حاجة الى الباء الثالث ان المراد بالايات هنا ما اقترحه
اهل مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم من جعل الصفا ذهبا وازالة جبال مكة
ليتمكنوا من الزراعة وانزال الكتاب مكتوب من السماء ونحو ذلك وهذه الايات
ما ارسلت الى الاولين ولا شاهدوها فكيف كذبوا بها الرابع ان تكذيب الاولين
لا يمنع ارسالها الى الاخرين لجواز ان لا يكذب الاخرون الخامس اي مناسبة وارتباط
بين صدر الاية وقوله تعالى وآتينا ثمود الناقة مبصرة السادس ما معنى وصف
الناقة بالابصار السابع ان الظلم يتعدى بنفسه قال الله تعالى ومن يعمل
سوءا او يظلم نفسه فاي حاجة الى الباء فهلا قال فظلموها يعني بالعقر والقتل
الثامن ان قوله تعالى وما نرسل بالايات الا تخويفا يدل على الارسال بها وقوله تعالى
وما منعنا ان نرسل بالايات يدل على عدم الارسال بها قلنا الجواب عن الاول
ان المنع مجاز عبر به عن ترك الارسال بالايات كانه تعالى قال وما كان سبب ترك
الارسال بالايات الا ان كذب بها الاولون وعن الثاني ان الباء لتعدية
الارسال الى المرسل به لا الى المرسل لان المرسل محذوف وهو الرسول تقديره
وما منعنا ان نرسل الرسول بالايات والارسال متعدى الى المرسل بنفسه والى المرسل به
بالباء والى المرسل اليه بالى قال الله تعالى ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين
الى فرعون وملائه وعن الثالث ان الضمير في قوله تعالى بها عايد الى نفس الايات
المقترحة لا الى هذه الايات المقترحة كانه تعالى قال وما منعنا ان نرسل بالايات التي
اقترحها اهل مكة الا تكذيب من قبلهم بالايات المقترحة مثل المائدة والناقة ونحوهما مما اقترحه
الاولون على انبيائهم وعن الرابع ان سنة الله تعالى في عباده ان من اقترح على الانبياء اية

واتوه بها فلم يومن عجّل الله هلاكه والله تعالى لم يرد هلاك مشركي مكة لانه تعالى علم
انه يولد منهم من يومن اولانه قضى وقدّر في سابق علمه بقاء من بعث اليهم محمد صلى الله
عليه وسلم الى يوم القيامة فلو ارسل بالايات التي اقترحوها فلم يومنوا لاهلكهم وحكمته
اقتضت عدم اهلاكهم فلذلك لم يرسل بها فهذا مصير معنى الاية وما منعنا ان نرسل
بالايات المقترحة عليك الا ان كذب بالايات المقترحة الاولون فاهلكوا فربما كذب بها
قومك فاهلكوا وعن الخامس انه تعالى لما اخبر ان الاولين كذبوا بالايات المقترحة
عنى منها واحدة وهي ناقة صالح عليه السلام لان اثار ديارهم المهلكة في بلاد العرب
قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم وعن السادس ان معنى مبصرة دالة
كما يقال الدليل مرشد وهاد وقيل مبصرا بها كما يقال ليل نايم ونهار صايم اي ينام فيه
ويصام فيه وقيل معناه مبصرة يعني انها تبصر الناس صحة نبوة صالح عليه السلام ويعضد
هذا قراءة من قرا مبصرة بفتح الميم والصاد اي تبصرة وقيل مبصرة صفة لاية محذوفة
تقديره اية مبصرة اي مضيئة بينة وعن السابع ان الباء ليست لتعدية الظلم الى
الناقة بل معناه فظلموا انفسهم بعقرها او بسببها وقيل الظلم هنا الكفر فمعناه فكفروا بها
فلما ضمّن الظلم معنى الكفر عدّاه تعديته وعن الثامن ان المراد بالايات ثانيا العبر
والدلالات لا الايات التي اقترحها اهل مكة فان قيل كيف قال تعالى والشجرة الملعونة
في القران وليس في القران لعن شجرة ما قلنا فيه اضمار تقديره والشجرة الملعونة المذكورة
في القران الثاني ان معناه الملعون اكلوها وهم الكفار الثالث ان الملعونة بمعنى المذمومة
كذا قاله ابن عباس وهي مذمومة في القران بقوله تعالى ان شجرة الزقوم طعام الاثيم وبقوله
تعالى طلعها كانه رؤوس الشياطين الرابع ان العرب تقول لكل طعام مكروه او ضار ملعون
وفي القران الاخبار عن ضررها وكراهتها الخامس ان اللعن في اللغة هو الطرد والابعاد
فالملعون هو المطرود وعن رحمة الله تعالى المبعد عنها وهذه الشجرة مطرودة مبعدة عن
مكان رحمة الله تعالى وهو الجنة لانها في قعر جهنم وهذا الابعاد والطرد مذكور في القران بقوله
تعالى انها شجرة تخرج في اصل الجحيم وقال ابن الانباري سميت ملعونة لانها مبعدة عن منازل
اهل الفضل فان قيل كيف خص اصحاب اليمين بقراءة كتابهم بقوله تعالى فمن اوتي
كتابه بيمينه فاولئك يقرون كتابهم ولم خصهم بنفي الظلم عنهم بقوله تعالى ولا يظلمون فتيلا

مع ان اصحاب الشمال يقرون كتابهم ولا يظلمون ايضا قلنا انما خص اصحاب اليمين
بذكر القراءة لان اصحاب الشمال اذا راوا ما في كتبهم من الفضايح والقبايح اخذهم من الحياء
والخجل والخوف ما يوجب حبسة اللسان وتعتع الكلام والعجز عن اقامة الحروف
فيكون قراءتهم كلا قراءة واما اصحاب اليمين فامرهم على عكس ذلك لا جرم انهم يقرون
كتابهم احسن قراءة وابينها ولا يقنعون بقراءتهم وحدهم حتى يقول القاري لاهل
المحشر هاؤم اقروا كتابيه واما قوله تعالى ولا يظلمون فتيلا فهو عايد الى كل الناس
لا الى اصحاب اليمين الثاني انه عايد الى اصحاب اليمين خاصة وانما خصهم بذلك لانهم
يعلمون انهم لا يظلمون ويعتقدون ذلك بخلاف اصحاب الشمال فانهم يعتقدون
او يظنون انهم يظلمون ويعضد هذا الوجه قوله تعالى ومن يعمل من الصالحات وهو مومن
فلا يخاف ظلما ولا هضما فان قيل كيف قال موسى عليه السلام لفرعون لقد علمت
ما انزل هولاء يعني الايات الا رب السموات والارض بصاير يعني بينات وحججا واضحات
وفرعون لم يعلم ذلك لانه لو علم ذلك لم يقل لموسى اني لاظنك يا موسى مسحورا اي مخدوعا
او قد سحرت او ساحرا مفعول بمعنى فاعل على اختلاف الاقوال بل كان يومن به وكيف يعلم
ذلك وقد طبع الله على قلبه واضله وحال بينه وبين الهدى والرشاد ولهذا قرا علي
رضي الله عنه لقد علمتُ بضم التاء وقال والله ما علم عدو الله ولكن موسى هو الذي
علم واختار الكسائي وثعلب قراءة علي ونصراها بانه لما نسب موسى الى انه مسحورا
اعلمه بصحة عقله بقوله لقد علمت قلنا معناه لقد علمت لو نظرت نظرا صحيحا
ولقد علمت نظرا الى الحجة والبرهان ولكنك معاند مكابر تخشى فوات دعوى الالهية
لو صدقتني وكان فرعون ممن اضله الله على علم ولهذا بلغ ابن عباس قراءة علي
رضي الله عنهما وعينه واحتج بقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا
فان قيل كيف قال موسى عليه السلام واني لاظنك يا فرعون مثبورا وموسى كان
عالما بذلك لا شك عنده فيه قلنا قال اكثر المفسرين الظن هنا بمعنى العلم كما في قوله تعالى
الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانما اتى بلفظ الظن ليعارض ظن فرعون بظنه كانه قال
ان ظننتني مسحورا فانا اظنك مثبورا والمثبور الهالك والمصروف عن الخير او الملعون
او الخاسر فان قيل كيف كرر تعالى الاخبار بالخرور قلنا كرره ليدل على تكرار الفعل

منهم الثاني انه كرره لاختلاف الحالين وهما خرورهم في حال كونهم ساجدين وفي حال كونهم باكين
الثالث انه اراد بالخرور الاول الخرور في حالة سماع القران او قراءته وبالخرور الثاني
الخرور في ساير الحالات وباقيها فان قيل الحمد انما يكون على نعمة انعم الله تعالى بها على العبد
كما في قوله تعالى الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي هدانا لهذا الحمد لله الذي خلق
السموات والارض لان فيهما من المنافع لنا ما لا تعد ولا تحصى فاي نعمة حصلت لنا من
كون الله تعالى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولا ناصر حتى قال تعالى وقل الحمد
لله الذي لم يتخذ ولدا الاية قلنا النعمة في ذلك ان الملك اذا كان له ولد او زوج فانما
ينعم على عبيده بما يفضل عن ولده وزوجته واذا لم يكن له ولد وزوج كان جميع انعامه واحسانه
مصروفا الى عبيده فكان نفي اتخاذ الولد مقتضيا لمزيد الانعام عليهم واما نفي الشريك
فلانه يكون اقدر على الانعام على عبيده لعدم المزاحم واما نفي النصير فلانه يدل على القوة
سورة الكهف
والاستغناء وكلاهما يقتضي القدرة على زيادة الانعام سورة الكهف فان قيل
قوله تعالى قيما بمعنى مستقيما وقوله ولم يجعل له عوجا مغن عن قوله قيما لانه متى انتفى العوج
ثبتت الاستقامة لان العوج في المعاني كالعوج في الاعيان والمراد به هنا نفي الاختلاف
والتناقض في معانيه وانه لا يخرج منه شيء عن الصواب والحكمة وقيل في الاية تقديم
وتاخير تقديره الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا قلنا قال
الفراء معنى قوله تعالى قيما اي قائما على الكتب السماوية كلها مصدقا لها شاهدا بصحتها
ناسخا لبعض شرايعها فعلى هذا لا تكرار فيه وعلى القول المشهور يكون الجمع بينهما للتاكيد
سواء قدر قيما مقدما او اقر في مرتبته ونصب بفعل مضمر تقديره ولكن جعله قيما
ولا بد من هذا الاضمار ومن التقديم والتاخير والا صار المعنى ولم يجعل له عوجا مستقيما
والعوج لا يكون مستقيما فان قيل اتخاذ الله تعالى الولد محال فكيف قال تعالى ما لهم به من
علم وانما يستقيم ان يقال فلان ما له علم بكذا اذا كان ذلك الشيء مما يعلمه غيره او مما يصح
ان يعلم كقولنا زيد ما له علم بالعربية او بالحساب او بالشعر ونحو ذلك قلنا معناه ما لهم به
من علم لانه ليس مما يعلم لاستحالته وهذا لان انتفاء العلم بالشيء تارة يكون للجهل بالطريق
الموصل اليه وتارة لانه في نفسه محال لا يستقيم تعلق العلم به وما نحن فيه من هذا القبيل
فان قيل كيف قال تعالى ثم بعثناهم لنعلم اي الحزبين احصى لما لبثوا امدا وهو عالم بذلك

في الازل قلنا معناه لنعلم بذلك علم مشاهدة كما علمناه علم الغيب فان قيل
كيف قال تعالى فابعثوا احدكم ولم يقل واحدكم قلنا لانه اراد فردا منهم ايهم كان
ولو قال واحدكم لدل على بعث رئيسهم ومقدمهم فان العرب تقول رايت احد القوم
اي فردا منهم ولا تقول رايت واحد القوم الا اذا اردت المقدم المعظم فان قيل كيف
جاء بسين الاستقبال في الفعل الاول دون الاخرين في قوله تعالى سيقولون ثلاثة
الاية قلنا اراد دخول الفعلين الاخرين في حكم الاول بمقتضى العطف فاقتصر على
ذكر السين في الاول ايجازا واختصارا كما تقول زيد قد يخرج ويركب تريد وقد يركب
فان قيل كيف دخلت الواو في الجملة الثالثة دون الاوليين وهي قوله تعالى وثامنهم
كلبهم قلنا قال بعض المفسرين هي واو الثمانية وقد ذكرنا مثلها في اخر سورة التوبة
وقال الزجاج دخول هذه الواو وخروجها سواء في صفة النكرة فجاء القران بهما
وقال غيره الواو مرادة في الجملتين الاوليين وانما حذفت فيهما تخفيفا واتي بها في
الجملة الثالثة دلالة على ارادتها فيهما ويرد على هذا القول انه لو كان كذلك لكانت
مذكورة في الجملة الاولى محذوفة في الجملة الثانية والثالثة ليدل ذكرها اولا على حذفها
بعد ذلك كما سبق في سين الاستقبال وقال الزمخشري وغيره هي الواو التي تدخل
على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على الصفة الواقعة حالا عن المعرفة تقول
جاءني رجل ومعه اخر ومررت بزيد وفي يده سيف ومنه قوله تعالى وما اهلكنا
من قرية الا ولها كتاب معلوم وفايدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة
على ان اتصافه بها امر ثابت مستقر وهذه الواو هي التي اذنت بان الذين قالوا
سبعة وثامنهم كلبهم قالوه عن ثبات علم وطمانينة نفس ولم يرجموا بالظن
كما رجم غيرهم والدليل عليه ان الله تعالى اتبع القولين الاولين قوله رجما بالغيب
واتبع القول الثالث قوله ما يعلمهم الا قليل وقال ابن عباس وقعت الواو بقطع العدد
اي لم يبق بعدها عدد عاد يلتفت اليه وثبت انهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع
والبتات وقال الثعلبي هذه واو الحكم والتحقيق كان الله تعالى حكى اختلافهم فتم الكلام
عند قوله سبعة ثم حكم بان ثامنهم كلبهم استينافا فيه الكلام لتحقق ثبوت العدد الاخير
لان الثامن لا يكون الا بعد السبعة فعلى هذا يكون قوله وثامنهم كلبهم من كلام الله تعالى

حقيقة او تقديرًا ويرد على هذا ان قوله بعد هذه الواو قل رب اعلم بعدتهم ما يعلمهم
الا قليل يدل على بقاء الابهام وعدم زوال اللبس بهذه الواو فان قيل كيف قال
تعالى لا مبدل لكلماته وقال في موضع اخر واذا بدلنا اية مكان اية ويلزم من تبديل الاية
بالاية تبديل الكلمات فكيف الجمع بينهما قلنا معنى الاول لا مغيّر للقران من البشر وهو
جواب لقولهم للنبي صلى الله عليه وسلم ايت بقران غير هذا او بدله الثاني ان معناه
لا خُلف لمواعيده ولا مغيّر لحكمه ومعنى الثاني النسخ والتبديل من الله تعالى فلا تنافي
بينهما فان قيل قوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر اباحة واطلاق للكفر
قلنا قال ابن عباس رضي الله عنه معناه فمن شاء ربكم فليؤمن ومن شاء ربكم فليكفر
يعني لا ايمان ولا كفر الا بمشيته الثاني انه تهديد ووعيد الثالث ان معناه لا تنفعون
الله بايمانكم ولا تضرونه بكفركم فهو اظهار للغنا لا اطلاق للكفر فان قيل لبس
الاساور في الدنيا عيب للرجال ولهذا لا يلبسها من يلبس الذهب والحرير من
الرجال وكيف وعدها الله تعالى المومنين في الجنة قلنا كانت عادة ملوك الفرس
والروم لبس الاساور والتيجان مخصوصين بها دون من عداهم فلذلك وعدها الله
تعالى المومنين في الجنة لانهم ملوك الاخرة فان قيل كيف افرد تعالى الجنة بعد التثنية
فقال ودخل جنته قلنا افردها لدلالة على الحصر معناه ما هو جنته لا جنة له غيرها
ولا نصيب في الجنة التي وعدها للمتقين بل ما ملكه في الدنيا وهو جنته لا غير
ولم يقصد جنة معينة منهما بل جنس ما كان له فان قيل كيف قال الاخ المومن لاخيه
لكن هو الله ربي ولا اشرك بربي احدا وهذا تعريض بان اخاه مشرك وليس
في كلام اخيه ما يقتضي الشرك بل الكفر وهو قوله وما اظن الساعة قايمة قلنا
اشراك اخيه الذي عرّض له به هو اعتقاده ان ذكاء جنته وغناها بحوله وقوته ولهذا
قال له ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله ولهذا قال ايضا لما اصبح
يقلب كفيه على ما انفق فيها وهي خاوية على عروشها يا ليتني لم اشرك بربي احدا
اعترف بالشرك فان قيل ما فائدة انا في قوله تعالى ان ترني انا اقل قلنا انا في
مثل هذا الموضع يفيد حصر الخبر في المخبر عنه ومنه قوله تعالى اني انا ربك وقوله انني انا الله
ونظايره كثيرة فان قيل ما معنى قوله تعالى ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وكذلك

كلما اشبهه مما جاء في القران العزيز واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا
والذين اتخذوا من دونه اولياء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير كيف يحقق
معناه قلنا دون يستعمل في كلام العرب بمعنى غير كقولهم لفلان مال دون هذا
ومن دون هذا اي غير هذا ونظيره قوله تعالى ولهم اعمال من دون ذلك اي من غيره
ويستعمل ايضا بمعنى قبل كقولهم المدينة دون مكة اي قبلها ومن دونه خرط القتاد
ولا اقوم من مجلسي دون ان تجيء ولا افارقك دون ان تعطي حقي وما اعلم انها جاءت
في القران العزيز بمعنى قبل بل بمعنى غير فقط فان قيل كيف قال هنالك الولاية
لله الحق يعني في يوم القيامة او في مقام الاخرة والولاية بكسر الواو السلطان والملك
وبفتح الواو التولي والنصرة وكل ذلك لله تعالى في الدنيا والاخرة يعز من يشاء ويذل من
يشاء وينصر من يشاء ويخذل من يشاء ويتولى من يشاء بحراسته وحفظه فما فائدة
تخصيص يوم القيامة قلنا فايدته ان الدعاوي المجازية لغيره في الدنيا ويوم القيامة
ينقطع كلها ويسلم الملك لله تعالى عن كل منازع وقد سبق نظير هذا السوال في سورة
الانعام في قوله تعالى وله الملك يوم ينفخ في الصور فان قيل كيف قال تعالى هو خير
ثوابا وخير عُقبا اي عاقبةً وغير الله تعالى لا يُثيب ليكون الله تعالى خيرًا منه ثوابًا
قلنا هذا على الفرض والتقدير معناه لو كان غيره يُثيب لكان ثوابه افضل ولكانت
لما عنده احمد عاقبة وخيرًا من طاعة غيره فان قيل كيف قال تعالى وحشرناهم بلفظ
الماضي وما قبله مضارعان وهما قوله تعالى ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة اي
لا شيء عليها نسيرها كما كان في الدنيا قلنا للدلالة على ان حشرهم كان قبل التسيير
وقبل البروز ليعاينوا تلك الاهوال والعظايم كانه قال وحشرناهم قبل ذلك
فان قيل كيف قال تعالى ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصيها مع
انه اخبر ان الصغاير تُكفَّر باجتناب الكباير بقوله تعالى ان تجتنبوا كباير ما تنهون
عنه نكفر عنكم سيئاتكم قلنا الاية الاولى في حق الكافرين بدليل قوله تعالى فترى
المجرمين والمراد بهم هنا الكافرون كذا قاله مجاهد وقال غيره كل مجرم في القران فالمراد به
الكافر والاية الثانية المراد بها المومنون لان اجتناب الكباير لا يكون محققا مع وجود
الكفر الثاني لو ثبت ان المراد بالمجرم مطلق المذنب لم يلزم التناقض لجواز ان يكتب

الصغائر ليتشاهد هذا العبدُ يوم القيامة ثم يُكَفَّر عنه فيعلم قدر نعمة العفو فان
اكثر ذنوب العبيد ينساها خصوصا الصغائر **فان قيل** قوله تعالى الا ابليس كان
من الجن يدل على انه من الجن وقوله تعالى في موضع اخر واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم
فسجدوا الا ابليس يدل على انه من الملائكة فكيف الجمع بينهما **قلنا** فيه قولان احدهما
انه من الجن حقيقة على ظاهر هذه الاية ولان له ذرية قال الله تعالى افتتخذونه وذريته
اولياء من دوني والملائكة لا ذرية لهم ولانه اكفر الكفرة وافسق الفسقة والملائكة معصومون
عن الكبائر لانهم رسل الله وعن المعاصي مطلقا لانهم عقول مجردة بغير شهوة ولا معصية
الا عن شهوة ويؤيده قوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وقال تعالى
ومن عنده يعني الملائكة لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار
لا يفترون فكيف يكون ابليس منهم ويؤمر بالسجود فيمتنع فعلى هذا يكون استثناء
من الملائكة استثناء من غير الجنس او يكون استثناء من جنس المامورين بالسجود لا من
جنس الملائكة ويكون التقدير واذ قلنا للملائكة وابليس اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس
كما تقول امرت اخوتي وعبدي بكذا فاطاعوني الا عبدي والعبد ليس من الاخوة
ولا داخلا فيهم الا من حيث شمله الامر بالفعل معهم هذا كذلك القول الثاني انه كان من
الملائكة قبل ان يعصي الله تعالى فلما عصاه مسخه شيطانا روي ذلك عن ابن عباس
رضي الله عنه فيكون معنى قوله تعالى كان من الجن صار من الجن بمخالفته فيكون كان
بمعنى صار وقيل معناه كان من الجن في سابق علم الله وهذان القولان يدلان
على انه كان من الملائكة قبل المعصية وروي عنه ايضا انه كان من خُزّان الجنة
وهم جماعة من الملائكة يسمون الجن فعلى هذا يكون قوله تعالى من الجن اي من الملائكة
الذين هم خُزّان الجنة ففسق عن امر ربه بمخالفته فيكون استثناء من الجنس
وقال الزمخشري في سورة البقرة في قوله تعالى فسجدوا الا ابليس هو استثناء متصل لانه
كان جنيا واحدا بين اظهر الالوف من الملائكة مغمورا بهم فغلبوا عليه فسجدوا قلت
وفي هذا التعليل نظر ثم قال بعده ويجوز ان يجعل منقطعا **فان قيل** كيف قال تعالى
افتتخذونه وذريته اولياء من دوني والاولياء الاصدقاء وهم ضد الاعداء ويؤيده قوله
تعالى وهم لكم عدو وليس من الناس احد يُحب ابليس وذريته ويُصادقهم **قلنا** المراد بالموالاة

هنا اجابة الناس لهم فيما يامرونهم به من المعاصي ويوسوسون في صدورهم
وطاعتهم اياهم فالموالاة مجاز عن هذا لانه من لوازمها **فان قيل** كيف قال تعالى
هنا ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم اي فلم يُجب
الاصنامُ المشركين فنفى عن الاصنام النطق وقال تعالى في سورة النحل واذ
راى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك
فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون يعني فكذبتهم الاصنامُ فيما قالوا فاثبت لهم النطق
فكيف الجمع بينهما **قلنا** المراد بقوله تعالى هنا نادوا شركائي الذين زعمتم اي نادوهم
للشفاعة لكم او لدفع العذاب عنكم فدعوهم فلم يجيبوهم لذلك فنفى عنهم النطق
بالاجابة الى الشفاعة ودفع العذاب وفي سورة النحل اثبت لهم النطق بتكذيب المشركين
في دعوى عبادتهم فلا تناقض بين المنفي والمثبت **فان قيل** كيف قال تعالى هنا
شركائي وقال في سورة النحل شركاءهم **قلنا** قوله تعالى شركائي معناه في زعمكم
واعتقادكم ولهذا قال شركائي الذين زعمتم او اخرجه مخرج التهكم بهم كما قال المشركون
للنبي صلى الله عليه وسلم يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون وقوله تعالى شركاءهم
يعني الهتهم التي جعلوها شركاء فاضافتها الى الله تعالى لجعلهم اياها شركاء له واضافتها
اليهم لجعلهم اياها شركاء والاضافة تصح بادنى ملابسة لفظية او معنوية فصحت
الاضافتان **فان قيل** كيف قال تعالى نسيا حوتهما والناسي انما كان يوشع وحده بدليل
قوله لموسى عليه السلام بعده اني نسيت الحوت اي قصة الحوت وخبره وما انسانيه
الا الشيطان ان اذكره **قلنا** اضيف النسيان اليهما مجازا والمراد احدهما قال الفراء نظيره
قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح لا من العذب وقيل نسي موسى عليه
السلام تفقد الحوت ونسي يوشع ان يخبره خبره وذلك انه كان حوتا مملوحا في مكتل قد تزوداه
فلما اصابه من ماء عين الحياة رشاش حيي وانسل من المكتل وسلك في البحر ويوشع يراه
وكان موسى عليه السلام قد ذهب لقضاء حاجة فعزم يوشع ان يخبره بما راى من امر
الحوت فلما جاء موسى نسي ان يخبره ونسي موسى تفقد الحوت والسوال عنه **فان قيل**
هذا التفسير يدل على ان النسيان من يوشع او منهما كان بعد حياة الحوت وذهابه في البحر

وظاهر الآية يدل على ان النسيان كان سابقا على ذهابه في البحر متصلا ببلوغ
مجمع البحرين لقوله تعالى فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا قلنا
في الآية تقديم وتاخير تقديره فلما بلغا مجمع بينهما اتخذ الحوت سبيله في البحر سربا فنسيا
حوتهما فان قيل كيف نسي يوشع مثل هذه الاعجوبة العظيمة في مدة يسيرة بل في لحظة
واستمر به النسيان بقية ذلك اليوم وليلته الى يوم الغد من اليوم الثاني ومثل ذلك لا ينسى
مع تطاول الزمان كيف وقد كان الله تعالى جعل فقدان الحوت علامة لهما على وجدان
الخضر عليه السلام على ما نقل ان موسى عليه السلام سال الله تعالى علامة على موضع
وجدانه فاوحى اليه ان خذ معك حوتا في مكتل فحيث ما فقدت الحوت فهو ثمة
قلنا سبب نسيانه انه كان قد اعتاد مشاهدة المعجزات من موسى عليه السلام
واستانس بها فكان الفه بمثلها من خوارق العادات سببا لقلة اهتمامه بتلك
الاعجوبة وعدم اكتراثه لها فان قيل كيف قال تعالى حتى اذا ركبا في السفينة خرقها بغير
فاء وحتى اذا لقيا غلاما فقتله بالفاء قلنا جعل خرقها جزاء للشرط ولم يحتج الى الفاء
كقولك اذا ركب زيد الفرس عقره وجعل قتل الغلام من جملة الشرط فعطفه عليه بالفاء
والجزاء قال اقتلت كقولك اذا ركب زيد الفرس فعقره قال له صاحبه اعقرته
فان قيل كيف خولف بين القصتين قلنا لان خرق السفينة لم يتعقب
الركوب وقتل الغلام تعقب لقاءه فان قيل كيف قال تعالى في قصة الغلام لقد
جئت شيئا نكرا وفي قصة السفينة لقد جئت شيئا امرا قلنا قيل امرا معناه منكرا
فعلى هذا لا فرق في المعنى لان النكر والمنكر بمعنى واحد وقيل الامر العجب او الداهية
وخرق السفينة كان اعظم من قتل نفس واحدة لان في الاول هلاك نفوس كثيرة وقيل النكر
اعظم من الامر ومعناه جئت شيئا انكر من الاول لان ذلك كان يمكن تداركه بالسد وهذا
لا يمكن تداركه فان قيل كيف قال تعالى في قصة السفينة الم اقل وفي قصة الغلام الم اقل
لك قلنا لقصد زيادة المواجهة بالعتاب على رفض الوصية مرة ثانية والتنبيه
على تكرر ترك الصبر والثبات فان قيل ما فائدة اعادة ذكر الاهل في قوله تعالى استطعما
اهلها وهلا قال استطعماهم لانه قد سبق ذكر الاهل مرة قلنا فائدة اعادته التوكيد لا غير

فان قيل كيف قال تعالى يريد ان ينقض فنسب الارادة الى الجدار وهي من صفات من
يعقل قلنا هذا مجاز بطريق المشابهة لان الجدار بعد مشارفته ومداناته للانقضاض
والسقوط شابه من يعقل ويريد في تهيئه للسقوط فظهرت منه هيئة السقوط
كما يظهر ممن يعقل ويريد فنسبت اليه الارادة مجازا بطريق المشابهة في الصورة
وقد اضافت العرب افعال العقلاء الى ما لا يعقل مجازا قال الشاعر يريد الرمح صدر
ابي براء ويعدل عن دماء بني عقيل وقال حسان ان دهرا
يلف شملي بجمل لزمان يهم بالاحسان ومن امثالهم تمرد مارد وعز الابلق
ومنه قوله تعالى ولما سكت عن موسى الغضب وقوله فاذا عزم الامر وقوله قالتا
اتينا طائعين ونظائره كثيرة فان قيل لاي سبب لم يفارقه الخضر عليه السلام
عند الاعتراض الاول والثاني وفارقه عند الثالث قلنا لوجهين احدهما ان موسى
عليه السلام شرط على الخضر ترك مصاحبته على تقدير وجود الاعتراض الثالث
وقد وجد وكان راضيا به الثاني ان اعتراض موسى في المرة الاولى والثانية كان تورعا
وصلابة في الدين واعتراضه في المرة الثالثة كان لهوى نفسه وشهوة بطنه فاعقبته
اهواؤه هوانا فان قيل قوله فاردت ان اعيبها علته خوف الغصب فكان حقه
ان يتاخر عن علته فلم قدم عليها قلنا هو متاخر عنه لان علة تعييبها او علة ارادته
تعييبها خوف الغصب وخوف الغصب سابق لانه الحامل للخضر عليه السلام على ما فعل
وفي قراءة ابي وعبد الله كل سفينة صالحة ولا بد من اضمار هذه الزيادة على قراءة الجمهور
والا لم يفد الخوف فان قيل الشمس في السماء الرابعة وهي بقدر كرة الارض
مائة وستين مرة وقيل مائة وخمس وقيل مائة وعشرين فكيف تسعها عين
في الارض حتى اخبر الله تعالى عنه انه وجدها تغرب في عين حمئة او حامية على الخلاف
القراءتين قلنا المراد بقوله تعالى وجدها اي في زعمه وظنه كما يرى راكب البحر اذا لجج
فيه وغاب عنه الاطراف والسواحل ان الشمس تطلع من البحر وتغرب فيه فذو
القرنين انتهى الى اخر البنيان في جهة الغرب فوجد عينا حمئة واسعة عظيمة فظن
ان الشمس تغرب فيها فان قيل ذو القرنين كان نبيا او تقيا حكيما على اختلاف
القولين فكيف خفي عليه هذا حتى وقع في ظنه المستحيل الذي لا يقبله العقل قلنا الانبياء

والاولياء والحكماء ليسوا معصومين عن ظن الغلط والخطاء وان كانوا معصومين عن كبائر
الذنوب الا ترى الى ظن موسى عليه السلام فيما انكره على الخضر عليه السلام في القضايا
الثلاث وظنه انه يرى الله تعالى في الدنيا وهو من كبائر الانبياء وكذلك يونس عليه السلام
على ما اخبر الله تعالى عنه بقوله وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه وكان
الواقع خلاف ظنه الثاني ان الله تعالى قادر على تصغير جرم الشمس وتوسيع العين الحمئة
وكرة الارض بحيث تسع عين الماء عين الشمس فلم لا يجوز ان يكون قد وقع ذلك ولم نعلم به
لقصور علمنا عن الاحاطة بذلك **فان قيل** قوله تعالى يا ذا القرنين اما ان تعذب
واما ان تتخذ فيهم حسنا يدل على انه كان نبيا لان الله تعالى خاطبه **قلنا** من قال
انه ليس نبيا يقول هذا الخطاب له كان بواسطة النبي الموجود في زمانه كما في قوله
تعالى يا بني اسرائيل وما اشبهه **فان قيل** كيف قال تعالى هنا في حق الكفار فلا نقيم
لهم يوم القيامة وزنا اي فلا ننصب لهم ميزانا لان الميزان انما ينصب لتوزن به
الحسنات في مقابلة السيئات والكافر لا حسنة له ولا طاعة لقوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا
من عمل فجعلناه هباء منثورا وقال في موضع اخر واما من خفت موازينه فامه هاوية
اي فمسكنه النار فاثبت له ميزانا **قلنا** معنى قوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا
اي لا يكون لهم عندنا قدر ولا خطر لخستهم وحقارتهم ولو كان معناه ما ذكرتم يكون
المراد بقوله تعالى واما من خفت موازينه فامه هاوية من غلبت سيئاته على
حسناته من المؤمنين فانه يسكن في النار ولكن لا يخلد فيها بل بقدر ما يمحص عنه ذنوبه
ولا منافي بينهما **سورة مريم** **فان قيل** النداء الصوت والصياح سورة مريم
يقال ناداه نداء اي صاح به فكيف وصفه تعالى بكونه خفيا **قلنا** النداء ههنا
الدعاء وانما اخفاه لكونه اقرب الى الاخلاص او لئلا يلام على طلب الولد بعد الشيخوخة
او لئلا يعاديه بنو عمه ويقولوا كره ان نقوم مقامه بعده فسأل ربه الولد لذلك
فان قيل كيف قال يرثني ويرث من آل يعقوب والنبي لا يورث لقوله صلى الله
عليه وسلم نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة **قلنا** المراد بقوله يرثني
اي يرثني العلم والنبوة ويرث من آل يعقوب الملك وقيل الاخلاق فاجابه الله تعالى
الى وراثة العلم والنبوة والاخلاق دون الملك والمراد بقوله عليه السلام لا نورث المال

يورثني

ويؤيده قوله ما تركناه صدقة ويعقوب هنا ابو يوسف وقيل لا بل هو اخو زكريا وقيل لا
بل هو اخو عمران الذي هو ابو مريم **فان قيل** كيف قال يرثني ويرث من آل يعقوب
فعدى الفعل في الاول بنفسه وفي الثاني بحرف الجر وهو واحد **قلنا** يقال ورثه وورث
منه فجمع بين اللغتين وقيل من هنا للتبعيض لا للتعدية لان آل يعقوب لم يكونوا كلهم
انبياء وعلماء **فان قيل** كيف طلب الولد بقوله فهب لي من لدنك وليا اي ولدا صالحا
فلما بشره الله تعالى به بقوله يا زكريا انا نبشرك بغلام الاية استبعد ذلك وتعجب منه
وانكره بقوله انى يكون لي غلام الاية **قلنا** لم يقل ذلك على طريق الانكار والاستبعاد
بل ليجاب بما اجيب به فيزداد المؤمنون ايقانا ويرتدع المبطلون والا فمعتقد
زكريا اولا واخرا كان على منهاج واحد في ان الله تعالى غني عن الاسباب الثاني
انه قال ذلك تعجب فرح وسرور لا تعجب انكار واستبعاد الثالث قيل انه قال ذلك
استفهاما عن الحالة التي يهبه الله تعالى فيها الولد ايهبه في حالة الشيخوخة ام يرده
الى حالة الشباب ثم يهبه ولكن هذا الجواب لا يناسبه ما اجيب به زكريا عليه السلام
بعد استفهامه **فان قيل** كيف طلب العلامة على وجود الولد بعد ما بشره الله تعالى به
اكان عنده شك بعد بشارة الله تعالى في وجوده حتى طلب العلامة **قلنا** انما طلب العلامة
على وجود الحمل لان الحمل لا يظهر في اول العلوق بل بعد مدة فاراد معرفته اول ما يوجد فجعل الله تعالى
آيته وجود الحمل عجزه عن الكلام وهو سوي الجوارح ما به خرس ولا بكم **فان قيل**
كيف قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا وانما يستعاذ من الفاسق لا من التقي **قلنا**
معناه ان كنت ممن يتقي الله ويخشاه فستنتهي عني بتعوذي به منك فمعنى اعوذ احصل
ثمرة التعوذ وعن ابن عباس رضي الله عنه انه كان في زمانها رجل اسمه تقي ولم يكن تقيا
بل كان فاجرا فظنته اياه والقول الاول هو الذي عليه المحققون وقيل هو على المبالغة
معناه اني اعوذ منك ان كنت تقيا فكيف يكون حالي في الهرب منك الى الله تعالى اذا لم تكن
تقيا قال الواو ونظير هذا ما جاء في الخبر نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه معناه
انه اذا كان بحال لو لم يخف الله تعالى لا يوجد منه عصيان فكيف يكون حاله اذا خاف الله
تعالى وفي قراءة ابي رجاء وابن مسعود الا ان يكون تقيا **فان قيل** اتفق العلماء على ان
الوحي لم ينزل على امرأة ولم يرسل جبريل عليه السلام الى امرأة قط ولهذا قالوا في قوله تعالى

وأوحينا الى ام موسى ان ارضعيه انه كان وحي الهام وقيل وحي منام فكيف قال
تعالى ههنا فارسلنا اليها روحنا وقال انما انا رسول ربك قلنا لا نسلم ان الوحي
لم ينزل على امراة قط فان مقاتلا قال في قوله تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه
انه كان وحيا بواسطة جبريل عليه السلام وانما المتفق عليه بين العلماء ان جبريل
عليه السلام لم ينزل بوحي الرسالة على امراة لا بمطلق الوحي وههنا لم ينزل على مريم
بوحي الرسالة بل بالبشارة بالولد ولهذا جاءها على صورة البشر فتمثل لها بشرا سويا
فان قيل ما وجه قراءة الجمهور لاهب لك والواهب للولد هو الله تعالى لا جبريل عليه السلام
قلنا قال ابن الانباري معناه انما انا رسول ربك يقول لك ارسلت رسولي اليك لاهب
لك فيكون حكاية عن الله تعالى لا من قول جبريل عليه السلام فيكون فعل الهبة مسندا
الى الله تعالى لا اليه الثاني ان معناه لاكون سببا في هبة الولد بواسطة النفخ في
الدرع فالاضافة اليه بواسطة السببية فان قيل كيف قالت مريم ولم اك بغيا ولم تقل
بغية مع انه وصف مؤنث قلنا قال ابن الانباري لما كان هذا الوصف غالبا على النساء
وقلما تقول العرب رجل بغي لم يلحقوا به علامة التانيث اجراء له مجرى حائض وعاقر
وقال الازهري لا يقال رجل بغي بل هو مختص بالمؤنث ولام الكلمة ياء يقال بغت تبغي
وهي فعول عند المبرد واصلها بغوي قلبت الواو ياء وادغمت وكسرت العين اتباعا فهو
كصبور وشكور في عدم دخول التاء وقال ابن جني في كتاب التمام هي فعيل ولو كانت فعولا
لقيل بغو كما قيل هو نهو عن المنكر ثم قيل هي فعيل بمعنى فاعل هي كقوله تعالى
قريب من المحسنين وقال الاخفش هي مثل ملحفة جديد فجعلها بمعنى مفعول وقيل انما
لم تقل بغية مراعاة لبقية رؤوس الايات فان قيل ما كان حزن مريم وقولها يا ليتني
مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا لفقد الطعام والشراب حتى تسلى بالسري والرطب
بل كان لخوف ان يتهمها اهلها بفعل الفاحشة قلنا كان حزنها لمجموع الامرين
وهو ما ذكرتم ووجدت مكانها الذي ولدت فيه فانه لم يكن فيه طعام ولا شراب ولا ماء
تتطهر به فكان اجراء النهر في المكان اليابس الذي لم يعهد فيه ماء واخراج الرطب
من الشجرة اليابسة دافعا لجهتي الحزن اما دافع الجدب فظاهر واما دافع حزن
التهمة لو جئتها بمعجزتان تدلان قومها على عصمتها وبراءتها من السوء وان الله

تعالى

تعالى قد خصها بامور الالهية خارجة عن العادة خارقة لها فتبين لهم ان ولادتها
من غير فحل ليس ببديع من شانها ولا بعيد في قدرة الله تعالى المخرج في لحظة واحدة
للرطب الجني من النخلة اليابسة والمجري للماء بغتة في مكان لم يعهد فيه فان قيل
كيف امرها جبريل عليه السلام اذا رات انسانا ان تكلمه بعد النذر بالسكوت بقوله
فاما ترين من البشر احدا الاية وذلك خلف في النذر قلنا انما امرها بذلك لانه تمام
نذرها فانها لم تكن مامورة بنذر مطلق السكوت حتى يندرج فيه الكف عن الذكر والتسبيح
والدعاء ونحوها بل بنذر السكوت عن تكليم الانسي واذا كان تمام نذرها بقولها
فلن اكلم اليوم انسيا لا تكون مكلمة للانسي بعد تمام النذر فان قيل كيف قال
تعالى من كان في المهد صبيا وكل احد كان في المهد صبيا قلنا كان هنا زائد وصبيا منصوب
على الحال لا على انه خبر كان تقديره كيف نكلم من في المهد في حال صباه وقيل كان بمعنى وقع
ووجد وصبيا منصوب على الوجه الذي مر فان قيل خطاب التكليف في جميع الشرائع
انما يكون بعد البلوغ او بعد التمييز والقدرة على فعل المامور به وعيسى عليه السلام كان
رضيعا في المهد فكيف خوطب بالصلوة والزكوة حتى قال واوصاني بالصلوة والزكوة ما دمت
حيا قلنا تاخير الخطاب الى غاية البلوغ وغيرها انما كان لتحصل العقل والتمييز وعيسى
عليه السلام كان واجدا للعقل والتمييز التام في تلك الحالة فتوجه نحوه الخطاب ان تفعلها
اذا قدر على ذلك ولهذا قيل انه اعطي النبوة في صباه ايضا فان قيل الزكوة انما تجب
على الاغنياء وعيسى عليه السلام لم يزل فقيرا لابس كساء مدة مقامه في الارض وعلم الله
تعالى ذلك من حاله فكيف اوصاه بالزكوة قلنا المراد بالزكوة هنا تزكية النفس
وتطهيرها من المعاصي لا زكوة المال فان قيل كيف جاء السلام في قصة يحيى عليه السلام
منكرا وفي قصة عيسى عليه السلام معرفا قلنا قد قيل ان النكرة والمعرفة في مثل هذا
سواء لا فرق بينهما المعنى الثاني انه سبق ذكره في قصة يحيى عليه السلام نكرة فلما اعيد ذكره
اعيد معرفا كقوله تعالى كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول كانه قال ذلك السلام
الموجه الى يحيى في المواطن الثلاثة موجه الي فان قيل كيف تكون الالف واللام في السلام
للعهد والاول سلام من الله تعالى على يحيى عليه السلام والثاني سلام من عيسى عليه السلام على
نفسه قلنا التعريف راجع الى ماهية السلام ومواطنه لا الى كونه واردا من عند الله

تعالى فان قيل ما معنى قوله تعالى واذكر في الكتاب ابرهيم وما اشبهه ومثل هذا انما يستعمل
اذا كان المامور مختارا في الذكر وعدمه كما تقول لصاحبك وهو يكتب كتابا اذكرني في الكتاب
او اذكر فلانا في الكتاب والنبي عليه السلام ما كان بسبيل من الزيادة والنقصان في الكتاب
لموصى بمثل ذلك قلنا هذا على طريق التاكيد في الامر بالابلاغ كما تاكيد الملك على رسوله باعلاه
بعض فصول الرسالة وتخصيصها بالامر بالابلاغ فان قيل الاستغفار للكافر لا يجوز فكيف
وعد ابرهيم السلام اباه الاستغفار له بقوله ساستغفر لك ربي قلنا ساسئل الله لك
توبة تنال بها مغفرته يعني الاسلام والاستغفار للكافر بهذا الطريق جائز وهو ان يقال
اللهم وفقه الاسلام او اللهم تب عليه واهده وارشده وما اشبه ذلك الثاني انه وعده ذلك
بناء على انه يسلم فيستغفر له بعد الاسلام الثالث انه وعده ذلك قبل تحريم الاستغفار
للكافر وان تحريم ذلك قضية شرعية انما تعرف بالسمع لا عقلية وان العقل لا يمنع من ذلك
فان قيل الطور وهو الجبل ليس له يمين ولا شمال فكيف قال تعالى من جانب الطور الايمن
قلنا خاطب الله تعالى العرب بما هو معروف في استعمالهم فانهم يقولون عن يمين القبلة وشمالها يعنون
ما يلي يمين المستقبل لها وشماله لان القبلة لا يد لها لتكون لها يمين وشمال وهذا اتساع منهم في
الكلام لعدم اللبس والمراد بالايمن هنا ما عن يمين موسى عليه السلام من الطور لان النداء جاءه
من قبل يمينه هذا ان كان الايمن ضد الايسر من اليمين وان كان من اليمن وهو البركة من قولهم
تيمن فلان قومه فهو يامن اي كان مباركا عليهم فلا اشكال لانه يصير معناه من جانب
الطور المبارك فان قيل كيف قال تعالى ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا وهرون
كان اكبر من موسى عليه السلام فما معنى هبته له قلنا معناه ان الله تعالى انعم على موسى
عليه السلام باجابة دعوته فيه حيث قال واجعل لي وزيرا من اهلي هرون الاية وقال
سنشد عضدك باخيك فالمراد بالهبة جعله عضدا له وناصرا ومعينا وكذا فسره ابن عباس
رضي الله عنه فان قيل كيف وصف تعالى النبيين المذكورين في قوله تعالى اولئك الذين
انعم الله عليهم من النبيين من ذرية ادم الاية بقوله واذا تتلى عليهم ايات الرحمن خروا سجدا
وبكيا والمراد بايات الرحمن القران والقران لم ينزل على احد من الانبياء المذكورين قلنا
ايات الرحمن غير مخصوصة بالقران بل كل كتاب انزله الله تعالى وفيه اياته ولو سلمنا
ان المراد بها القران فنقول ان المراد بقوله تعالى وممن هدينا واجتبينا محمدا صلى الله عليه

وسلم وامته فان قيل قوله تعالى فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات
فسوف يلقون غيا الا من تاب وامن يدل على ان ترك الصلوة واضاعتها كفر لانه
شرط في توبة مضيعها الايمان قلنا قال ابن عباس رضي الله عنه المراد بهولاء الخلف
هنا اليهود تركوا الصلوة المفروضة وشربوا الخمر واستحلوا نكاح الاخت من الاب فان
قيل كيف قال تعالى انه كان وعده ماتيا ولم يقل اتيا كما قال انما توعدون لات قلنا
المراد بوعده هنا موعوده وهو الجنة وهي ماتية يأتيها اولياؤه الثاني ان مفعولا هنا
بمعنى فاعل كما في قوله تعالى حجابا مستورا اي ساترا فان قيل قوله تعالى تلك الجنة التي
نورث من عبادنا من كان تقيا وقوله تعالى وجنة عرضها السموات والارض اعدت
للمتقين يدل من حيث المفهوم ان غير المتقين لا يدخلون الجنة قلنا المراد بالتقوى هنا
التقوى من الشرك وكل المومنين سواء في ذلك فان قيل ما معنى تفطر السموات
وانشقاق الارض وخرور الجبال من دعوتهم الولد لله سبحانه وتعالى ومن اين تؤثر هذه الكلمة
في الجمادات قلنا معناه ان الله تعالى يقول لكدت افعل هذا بالسموات والارض
والجبال عند وجود هذه الكلمة غضبا على قايلها لولا حلمي وامهالي واني لا اعجل بالعقوبة كما
قال عز وجل ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا يعني ان تخر على المشركين وتنشق
الارض بهم ويدل على هذا قوله تعالى في اخر الاية انه كان حليما غفورا الثاني ان يكون استعظاما
لقبح هذه الكلمة وتصويرا لاثرها في الدين وهدمها لاركانه وقواعده وان مثال ذلك
الاثر في المحسوسات ان تصيب هذه الاجسام العظيمة التي هي قوام العالم ما تنفطر منه
وتنشق وتخر فان قيل كيف قال تعالى هنا في صفة الشرك تكاد السموات يتفطرن منه
وتنشق الارض وتخر الجبال هدا وهذا يدل على قوة كلمة الشرك وشدتها وقال تعالى في
سورة ابرهيم عليه السلام في صفة كلمة الشرك ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت
من فوق الارض ما لها من قرار والمراد بالكلمة الخبيثة كلمة الشرك كذا قاله ابن عباس
رضي الله عنه وبالشجرة الخبيثة الحنظل كذا قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا يدل
على ضعف كلمة الشرك وتلاشيها واضمحلالها فكيف التوفيق بينهما قلنا وصفت كلمة
الشرك في سورة ابرهيم عليه السلام بالضعف وهنا بالقبح فهي في غاية الضعف وفي
غاية القبح والفظاعة فلا تنافي بينهما فان قيل كيف قال تعالى لقد احصاهم وعدهم

والاحصاء العدّ على ما نقله الجوهري او الحصر على ما نقله بعض ايمة التفسير كما سبق ذكره في
سورة ابرهيم عليه السلام في قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فان كان الاحصاء
العدّ فهو تكرار وان كان الحصر فذكره مغنٍ عن ذكر العدّ لان الحصر لا يكون الا بعد معرفة
العدد **قلنا** الاحصاء قد جاء بمعنى العلم ايضا ومنه قوله تعالى واحصى كل شيء عددا اي علم
عدد كل شيء وقول الشاعر وكن للذي لم تحصه متعلما واما الذي احصيت منه فعلم
وهو المراد هنا فصار المعنى لقد علمهم اي علم افعالهم واقوالهم وكل ما يتعلق بذواتهم وصفاتهم
وعدّهم فلا تكرار ولا استغناء عن ذكر العدّ **سورة طه فان قيل** كيف حكى
الله تعالى قول موسى عليه السلام لاهله عند روية النار في هذه السورة وفي سورة النمل وفي
سورة القصص بعبارات مختلفة وهذه القصة لم تقع الا مرة واحدة فكيف اختلفت عبارة
موسى عليه السلام فيها **قلنا** قد سبق في سورة الاعراف في قصة موسى عليه السلام مثل
هذا السوال والجواب المذكور ثم هو الجواب هنا **فان قيل** قوله تعالى فلا يصدنك عنها من
لا يومن بها بظاهر اللفظ نهي من لا يومن بالساعة عن صد موسى عليه السلام عن الايمان بها
والمقصود هو نهي موسى عن التكذيب بها فكيف يتناوله **قلنا** معناه كن شديد
الشكيمة في الدين صليب المعجم لئلا يطمع في صدك عن الايمان بها من لا يومن بها وهذا كقولهم
لا ارينك ههنا معناه لا تدن مني ولا تقرب من حضرتي لئلا اراك ففي الصورتين النهي متوجه
الى المسبب والمراد به النهي عن السبب وهو القرب منه والجلوس بحضرته فانه سبب
رويته وكذلك لين موسى عليه السلام في الدين وسلامة قيادته سبب لصدهم اياه
فان قيل ما فايدة السوال في قوله تعالى وما تلك بيمينك يا موسى وهو اعلم بما في يده
جملة وتفصيلا **قلنا** فايدته تانيسه وتخفيف ما حصل عنده من دهشة الخطاب
وهيبة الاجلال وقت التكلم معه كما يرى احدنا طفلا قد داخلته هيبة واجلال
وخوف وفي يده فاكهة او غيرها فيلاطفه ويوانسه بقوله ما هذا الذي بيدك مع انه عالم به
الثاني انه اراد بذلك ان يقر موسى عليه السلام ويعترف بكونها عصى ويزداد العلم
بكونها عصى رسوخا في قلبه فلا يحوم حوله شك اذا قلبها ثعبانا انها كانت عصى
ثم انقلبت ثعبانا بقدرة الله تعالى وان يتقرر في نفسه المباينة البعيدة بين المقلوب عنه
والمقلوب اليه فيتنبه على القدرة الباهرة ونظيره ان يريك الزراد زبرة من حديد

ويقول لك ما هذه فيقول زبرة حديد ثم يريك بعد ايام درعا سابغة مسرودة
ويقول هذه هي تلك الزبرة صيرتها الى ما تراه من عجيب الصنعة وانيق السرد
فان قيل كيف زاد موسى عليه السلام على حرف الجواب وليس ذلك من شيمة البلغاء
خصوصا في مخاطبة الملوك **قلنا** قال ابن عباس رضي الله عنه انه لما قال هي عصاي تشكل
سوالا ثانيا وقيل ما تصنع بها فاجاب بباقي الاية الثاني انه انما عدد فوايدها وبيّن
حاجته اليها خوفا من ان يومر بالقائها كما امر بالقاء النعلين الثالث انه ذكر ذلك
لئلا ينسب الى العبث في حملها **فان قيل** قد نقل انها كانت تضيء له بالليل وتدفع عنه
الهوام وتثمر له اذا اشتهى الثمار فيغرسها في الارض من ساعتها ويركزها فينبع الماء
من مركزها فاذا رفعها نضب وكان يستقي بها فتطول بطول البير وتقصر بقصرها
فهلا عدد هذه المنافع **قلنا** كره ان يشتغل عن سماع كلام الله تعالى بتفصيل منافعها
فتفصّل البعض واجمل الباقي الثاني انه ذكر المنافع التي هي الزم له وحاجته اليها اشد وان
كانت المنافع التي اجملها اعجب واغرب **فان قيل** قد ذكر الله تعالى عصى موسى عليه السلام
بلفظ الحية والثعبان والجان وبين الثعبان والجان تناف لان الجان الحية الصغيرة
كذا قاله ابن عرفة والثعبان الحية الكبيرة العظيمة كذا نقله الازهري عن الزجاج وقطرب
قلنا اراد انها في صورة الثعبان العظيم وخفة الحية الصغيرة وحركتها ولهذا قال فلما راها
تهتز كانها جان الثاني انها كانت في اول انقلابها تنقلب حية صغيرة صفراء دقيقة
ثم تتورم وتتزايد جرمها حتى تصير ثعبانا فاريد بالجان اول حالها وبالثعبان مآلها
فان قيل ما فايدة قوله تعالى اذ اوحينا الى امك ما يوحى وهذا الابهام فيه **قلنا** فايدته
الاشارة الى انه ليس كل الامور مما يوحى الى النساء كالنبوة ونحوها بل بعضها الثاني
انه للتاكيد كقوله تعالى فغشاها ما غشى فكانه قال اذ اوحينا الى امك ايحاء الثالث
انه ابهمه اولا للتفخيم والتعظيم ثم بينه واوضحه بقوله تعالى ان اقذفيه الاية **فان قيل**
كيف قدم هرون على موسى في قوله تعالى فالقي السحرة سجدا قالوا امنا برب هرون وموسى
وهارون كان وزيرا لموسى عليه السلام وتبعا له قال الله تعالى وجعلنا معه اخاه هرون
وزيرا **قلنا** انما قدمه ليقع موسى موخرا في اللفظ فيناسب الفواصل اعني رؤس الايات
فان قيل كيف قال تعالى لا يموت فيها ولا يحيى والحيوة في صفات الانسان نقيضان

فكيف يرتفعان قلنا المراد لا يموت فيها موتا يستريح به ولا يحيى حيوة تنفعه
ويستلذ بها الثاني ان المراد لا يموت فيها موتا متصلا ولا يحيى حياة متصلة بل كلما مات
من شدة العذاب أعيد حيا ليذوق العذاب هكذا سبعين مرة في مقدار كل يوم من
ايام الدنيا فان قيل الخوف والخشية واحد في اللغة فكيف قال تعالى لا تخاف دركا ولا تخشى
قلنا معناه لا تخاف دركا اى لحاقا من فرعون ولا تخشى غرقا في البحر كما تقول لا تخاف زيدا
ولا تخشى عمرا ولو قلت ولا عمرا صح وكان اوجز ولكن اذا اعدت الفعل كان آكد واما في الاية
فلما لم يكن مفعول الخشية مذكورا ذكر الفعل ثانيا ليكون دليلا عليه وخولف بين اللفظين
رعاية للبلاغة وقيل معناه لا تخاف دركا على نفسك ولا تخشى دركا على قومك والاول
عندى احسن فان قيل قوله تعالى واضل فرعون قومه مغن عن قوله وما هدى
ومفيد فوق فايدته فكيف ذكر معه قلنا معناه وما هداهم بعدما اضلهم فان المضل
قد يهدى بعد اضلاله الثاني ان معناه واضل فرعون قومه وما هدى نفسه الثالث
ان معناه واضل فرعون قومه عن الدين وما هداهم طريقا في البحر الرابع انه قوله وما هدى
تهكم به في قوله لقومه وما اهديكم الا سبيل الرشاد فان قيل كيف قال تعالى يا بني
اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الايمن اضاف المواعدة اليهم والمواعدة
انما كانت لموسى عليه السلام واعده الله تعالى جانب الطور الايمن لايتائه التورية
قلنا المواعدة وان كانت لموسى عليه السلام ولكنها لما كانت لانزال الكتاب بسبب بني اسرائيل
وفيه بيان شريعتهم واحكامهم وصلاح معاشهم ومعادهم اضيفت المواعدة اليهم بهذه
الملابسة والاتصال فان قيل قوله تعالى وما اعجلك عن قومك يا موسى سؤال عن سبب
العجلة فان موسى عليه السلام لما واعده الله تعالى انزال التورية عليه في جانب الطور
الايمن واراد الخروج الى ميعاد ربه اختار من قومه سبعين رجلا يصحبونه الى ذلك المكان
ثم سبقهم شوقا الى ربه وامرهم باللحاقه فعوتب على ذلك فكان الجواب المطابق ان يقول
اطلب زيادة رضاك او الشوق الى لقائك وتنجز وعدك فكيف قدم ما لا يطابق
السؤال وهو قوله هم اولاء على اثرى قلنا ما واجهه به ربه تضمن شيئين انكار
العجلة في نفسها والسؤال عن سببها فبدأ موسى عليه السلام بالاعتذار كما انكر عليه
بانه لم يوجد منه الا تقدم يسير لا يعتد به في العادة كما يتقدم المقدم جماعته واتباعه ثم عقب العذر

جواب

بجواب السؤال عن السبب فان قيل اليس ان ايمة اللغة قالوا العوج بالكسر في المعاني
وبالفتح في الاعيان ولهذا قال ثعلب ويقول في الامر والدين عوج وفي العصا ونحوها عوج والجبال
والارض عين فكيف صح فيها المكسور في قوله تعالى لا ترى فيها عوجا ولا امتا قلنا قال ابن السكيت
كل ما كان مما ينتصب كالحايط والعود قيل فيه عوج بالفتح والعوج بالكسر ما كان في ارض او دين
او معاش فعلى هذا لا اشكال الثاني انه اراد به نفي الاعوجاج الذى يدرك بالقياس الهندسي
ولا يدرك بحاسة البصر وذلك اعوجاج لاحق بالمعاني فلذلك قال فيه عوج بالكسر ومما يوضح
هذا انك لو سويت قطعة ارض غاية التسوية بمقتضى نظر العين بموافقة جماعة
من البصراء او اتفقتم على انه لم يبق فيها اعوجاج قط ثم امرت المهندس ان يعتبرها
بالمقاييس الهندسية لوجد فيها عوجا في غير موضع ولكنه عوج لا يدرك بحاسة البصر
فنفى الله تعالى ذلك العوج الذى لطف ودق عن الادراك فكان لدقته وخفائه ملحقا
بالمعاني فان قيل ان الله تعالى اخبر ان ادم عليه السلام نسي عهد الله ووصيته واكل
من الشجرة بقوله تعالى ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي واذا كان فعل ذلك ناسيا فكيف
وصفه بالعصيان والضلال بقوله تعالى وعصى ادم ربه فغوى وعاقبه عليه باعظم
انواع العقوبة وهو الاخراج من الجنة قلنا النسيان هنا بمعنى الترك كما في قوله تعالى
انا نسيناكم اى تركناكم في العذاب وقوله تعالى نسوا الله فنسيهم فمعناه انه ترك عهد الله
ووصيته وكيف يكون من النسيان الذى هو ضد الذكر وقد جرى بينه وبين ابليس من
المناظرة والمجادلة في اكل الشجرة فصول كثيرة منها قوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الاية
فكيف يبقى مع هذا نسيان فان قيل كيف قال تعالى فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى
ولم يقل فتشقيا والخطاب لادم وحواء عليهما السلام قلنا لوجوه احدها ان الرجل
هو قيم اهله واميرهم فشقاوه يتضمن شقاهم كما ان سعادته تتضمن سعادتهم
فاختصر الكلام باسناد الشقا اليه دونها لما كان متضمنا له الثاني انه انما اسند اليه
دونها للمحافظة على الفاصلة الثالث انه اراد بالشقاء في طلب القوت واصلاح المعاش
وذلك وظيفة الرجل دون المراة قال سعيد بن جبير اهبط الى ادم ثور احمر فكان يحرث
عليه ويمسح العرق عن جبينه فذلك شقاوه فان قيل هل يجوز ان يقال كان ادم
عاصيا غاويا اخذا من قوله تعالى وعصى ادم ربه فغوى قلنا يجوز ان يقال عصى ادم

كما قال الله تعالى ولا يجوز ان يقال كان ادم عاصيًا لانه لا يلزم من جواز اطلاق الفعل
جواز اطلاق اسم الفاعل الا ترى انه يجوز ان يقال تبارك الله ولا يجوز ان يقال الله متبارك
ويجوز ان يقال تاب الله على ادم ولا يجوز ان يقال الله تائب ونظايره كثيرة فان قيل
اسماء الله تعالى وصفاته توقيفية لا مدخل للقياس فيها ولهذا يقال الله عالم ولا يقال
علامة وان كان هذا اللفظ ابلغ في الدلالة على معنى العلم واما اسماء البشر وصفاتهم قياسية
فلم لا يجري فيها القياس المطرد قلنا هذا القياس ليس بمطرد في كلام البشر ايضا الا ترى
انهم قالوا ذَرْه ودَعْه بمعنى اتركه وفلان يَدَعُ ويَذَرُ ولم يقولوا منهما وَذَرَ ولا واذِرٌ
ولا وَدَعَ ولا وادِعٌ فاستعملوا منهما الامر والمضارع فقط والقياس لا يقول هذا شاذ
في كلام البشر ونادر ولا يترك لاجل القياس المطرد بل يجري على مقتضى القياس فان قيل
كيف قال تعالى ومن اعرض عن ذكري اي عن موعظتي او عن القران فلم يومن به ولم يتبعه
فان له معيشة ضنكا اي حياة في ضيق وشدة ونحن نرى المعرضين عن الايمان والقران
في اخصب معيشة وارغدها اي اوسعها قلنا قال ابن عباس رضي الله عنه المراد بالمعيشة الضنك
الحياة في المعصية وان كان في رخاء ونعمة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انها عذاب القبر
الثاني ان المراد بها عيشه في جهنم في الاخرة الثالث ان المراد بها عيشه مع الحرص الشديد
على الدنيا والسبا بها وهذه الاية في مقابلة قوله تعالى في سورة النحل من عمل صالحا من ذكر او انثى
وهو مومن فلنحيينه حيوة طيبة على ما ذكرناه في تفسير الحياة الطيبة فضده والاول
في المعيشة الضنك فان قيل اي كلمة هي الكلمة التي سبقت من الله تعالى من الله تعالى
وكانت مانعة من تعذيب هذه الامة في الدنيا عذاب الاستيصال حتى قال تعالى ولولا كلمة
سبقت من ربك لكان لزاما قلنا قيل هي قوله تعالى سبقت رحمتي غضبي ويرد عليه
انه لا اختصاص لهذه الكلمة بهذه الامة وقيل هي قوله تعالى للنبي عليه السلام وما كان الله
ليعذبهم وانت فيهم وقيل في قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين يعني لعالمي امته
بتاخير العذاب عنهم وفي الاية تقديم وتاخير تقديره ولولا كلمة سبقت من ربك واجل
مسمى وهو الاجل الذي قدر الله تعالى بقاء العالم واهله الى انقضائه لكان العذاب
لزاما اي لازما لهم كما لزم الامم التي قبلهم فان قيل اصحاب الصراط السوي والمهتدون
واحد فما فائدة التكرار في قوله تعالى فسيعلمون من اصحاب الصراط السوي ومن اهتدى

قلنا

قلنا المراد باصحاب الصراط السوي السالكون الصراط المستقيم السائرون
عليه والمراد بالمهتدين الواصلون الى المنزل وقيل اصحاب الصراط السوي
هم الذين ما زالوا على الطريق المستقيم والمهتدون هم الذين لم يكونوا على الطريق
المستقيم ثم صاروا عليه وقيل المراد باصحاب الصراط السوي اهل دين الحق في الدنيا
والمراد بمن اهتدى المهتدون الى طريق الجنة في العقبى فكانه قال فستعلمون
من الناجي في الدنيا والفائز في الاخرة سورة الانبيا فان قيل كيف
قال تعالى اقترب للناس حسابهم وصفه بالقرب وقد مضى من وقت هذا الاخبار
اكثر من سبعمائة عام ولم يوجد يوم الحساب بعد قلنا معناه انه قريب عند الله تعالى
وان كان بعيدا عند الناس كما قال تعالى انهم يرونه بعيدًا ونراه قريبا وقال تعالى
ويستعجلونك بالعذاب وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون الثاني ان
معناه انه قريب بالنسبة الى ما مضى من الزمان كما قال عليه السلام ان مثل ما بقي
من الدنيا في جنب ما مضى كمثل خيط في ثوب الثالث ان المراد به قرب حساب كل
واحد واحد في قبره اذا مات ويويده قوله عليه السلام من مات فقد مات قيامته
الرابع ان كل ات قريب وان طالت اوقات استقباله وترقبه وانما البعيد الذي
وجد وانقرض ولهذا يقول الناس اذا سافروا من بلد الى بلد بعد ما تواطوا هم
البلد الاول البلد الثاني اقرب وان كان ابعد مسافة فان قيل كيف قال تعالى
ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث والذكر الاتي من الله تعالى هو القران وهو قديم
لا محدث قلنا المراد محدث انزاله الثاني ان المراد به ذكر يكون غير القران
من مواعظ الرسول عليه السلام وغيره ونسبته الى الله تعالى لان موعظة كل واعظ
بالهامه وهدايته الثالث ان المراد بالذكر الذاكر وهو الرسول صلى الله عليه وسلم
ويويده قوله تعالى في سياق الاية هل هذا الا بشر مثلكم وعلى هذا يكون معنى قوله تعالى
الا استمعوه اي الا استمعوا ذكره او موعظته فان قيل النجوى المسارّة فما معنى
قوله تعالى واسروا النجوى قلنا معناه بالغوا في اخفاء المسارة بحيث لم يفطن
احد لتناجيهم ومسارّتهم تفصيلا ولا اجمالا فان الانسان قد يرى اثنين
يتسارّان بد وقد يتسارّان فيعلم من حيث الاجمال انهما يتساران والا لم يعلم

سورة الانبيا

تفصيل ما تتسارّ ان به وقد تتساران في مكان لا يراهما احد **قال قيل**
كيف قال تعالى لمشركي مكة فاسئلوا اهل الذكر يعني فاسئلوا اهل الكتاب عن مضي
من الرسل هل كانوا بشراً ام ملائكة مع ان المشركين قالوا لن نؤمن بهذا القرآن
ولا بالذي بين يديه **قلنا** هم وان لم يؤمنوا بكتاب اهل الكتاب ولكن النقل المتواتر
من اهل الكتاب في القضية العقلية يفيد العلم لمن يؤمن بكتابهم ولمن لا يؤمن به
قال قيل كيف قال تعالى ولا يستحسرون والاستحسار مبالغة في الحسور وهو الإعياء
وكان الابلغ في وصفهم ان ينفى عنهم ادنى الحسور او مطلقه لا اقصاه **قلنا** انما ذكر
الاستحسار اشارة الى ان ما هم فيه من التسبيح الدائم والعمل المتصل يوجب غاية
الحسور واقصاه **قال قيل** قوله تعالى في وصف الملائكة بل عباد مكرمون الى قوله
تعالى مشفقون يدل على انهم لا يعصون الله تعالى كما جا هذا مصرّحا به في قوله تعالى
لا يعصون الله ما امرهم فاذا كانوا لا يعصون الله تعالى فلم يخافون حتى قال تعالى
وهم من خشيته مشفقون **قلنا** لما راوا ما جرى على ابليس وعلى هاروت وماروت
من القضاء والقدر خافوا من مثل ذلك الثاني ان زيادة معرفتهم بالله تعالى وقربهم
في محل كرامته يوجب مزيد خوفهم ولهذا قال اهل التحقيق من كان بالله اعرف كان من
الله اخوف ومن كان الى الله اقرب كان من الله ارهب وقال بعضهم يا عجبا من مطيع
آمن ومن عاصٍ خائف **قال قيل** كيف قال تعالى اولم ير الذين كفروا ان السموات
والارض كانتا رتقا ففتقناهما وهم لم يروا ذلك **قلنا** معناه اولم يعلموا ذلك
باخبار من قبلهم او بوروده في القرآن الذي هو معجز في نفسه ونظيره قوله تعالى للنبي
عليه السلام الم تر ان الله يسجد له من في السموات والارض وقوله تعالى الم تر ان الله
يزجي سحابا الاية ونظايره كثيرة **قال قيل** كيف قال تعالى وجعلنا من الماء كل شيء
حي مع ان الملائكة احياء والجن احياء وليسوا مخلوقين من الماء بل من النور والنار كما
قال تعالى وخلق الجان من مارج من نار وكذا آدم مخلوق من التراب وناقة صالح مخلوقة من
الحجر **قلنا** المراد به البعض وهو الحيوان كما في قوله تعالى واوتيت من كل شيء وقوله تعالى
وجاءهم الموج من كل مكان ونظايره كثيرة الثاني ان الكل مخلوقون من الماء ولكن البعض بواسطة
والبعض بغير واسطة ولهذا قيل انه تعالى خلق الملائكة من ريح خلقها من الماء وخلق الجن من نار

خلقها

خلقها من الماء وخلق آدم من تراب خلقه من الماء **قال قيل** كيف قال تعالى فلا تستعجلون
بعد قوله تعالى خلق الانسان من عجل وكانه تكليف بالا يطاق **قلنا** هذا كما ركب
فيه الشهوة وامره ان يغلبها لانه اعطاه القدرة التي يستطيع بها قمع الشهوة وترك
العجلة **قال قيل** كيف قال تعالى ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون مع ان الصم لا يسمعون
الدعاء اذا ما يبشرون **قلنا** اللام في الصم اشارة الى المنذرين السابق ذكرهم بقوله
تعالى قل انما انذركم بالوحي فهي لام العهد لا لام الجنس **قال قيل** كيف قال ابرهيم
عليه السلام بل فعله كبيرهم هذا احال كسر الاصنام على الصنم الكبير وكان ابرهيم هو
الكاسر لها **قلنا** قاله على طريق الاستهزاء والتهكم بهم لا على طريق الجد الثاني انه لما كان
الحامل له على كسرها اغتياظه من رؤيتها مصفوفة مزيّنة للعبادة بحلة معظمة
وكان اغتياظه من كبيرها اعظم لمزيد تعظيمهم له اسند الفعل اليه كما يسند الى سببه
والى الحامل عليه الثالث انه اسند اليه معلقا بشرط منتفٍ لا مطلقا تقديره فعله
كبيرهم هذا ان كانوا ينطقون فاسئلوهم **قال قيل** كيف صح مخاطبة النار بقوله تعالى
يا نار كوني بردا وسلاما على ابرهيم والخطاب انما يكون مع من يعقل **قلنا** خطاب التحويل
والتكوين لا يختص بمن يعقل قال الله تعالى يا جبال اوبي معه وقال تعالى فقال لها وللارض
ائتيا طوعا او كرها وقال تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي **قال قيل** كيف
وصف تعالى الانبياء عليهم السلام بكونهم من الصالحين بقوله تعالى واسمعيل وادريس وذا الكفل
الاية مع ان اكثر المومنين صالحون خصوصا في الزمن الاول **قلنا** معناه انهم من الصالحين
للادخال في الرحمة التي اريد بها النبوة على ما فسره مقاتل او الجنة على ما فسره ابن عباس
رضي الله عنه ويؤيد ذلك قول سليمان عليه السلام وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين
اي الصالحين لحمل المرضى الذي سبق سواله **قال قيل** كيف قال تعالى هنا والتي احصنت
فرجها فنفخنا فيها من روحنا وقال في سورة التحريم ومريم ابنة عمران التي احصنت فرجها
فنفخنا فيه من روحنا **قلنا** حيث انّث اراد النفخ في ذاتها وان كان مبدا النفخ من الفرج
الذي هو مخرج الولد او جيب درعها على اختلاف القولين لانه فرجة وكل فرجة بين شيئين
تسمى فرجا في اللغة وهذا ابلغ في الثناء عليها لانها اذا منعت جيب درعها عما لا يحل كانت
لنفسها امنع وحيث ذكّر فظاهر **قال قيل** قوله تعالى وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون

اي منعت فرجها من الحرام
فنفخنا فيها من روحنا اي امرنا
جبريل حتى نفخ في جيب درعها
والمعنى احيينا فيها روح المسيح
المخلوقة لنا من غير واحدة

يعني قرية كافرة اهلكنا
اهلها بعذاب الاستيصال
ان يرجعوا الى الدنيا ولا زائد في
الاية ومعنى حرام عليهم انهم ممنوعون
من ذكر ان الله تعالى قضى على من
اهلكه ... ان يرجع الى ...

يدل على انهم يجب ان يرجعوا لان كل ما حرم ان لا يوجد وجب ان يوجد فكيف معنى الاية
قلنا معناها وواجب على اهل قرية عزمنا على اهلاكهم او قدرنا اهلاكهم انهم لا يرجعون
عن الكفر الى الايمان او انهم لا يرجعون بعد اهلاكهم الى الدنيا فالحرام هنا بمعنى الواجب كذا
قاله ابن عباس رضي الله عنه ويدل عليه قول الشاعر فان حراما لا ارى الدهر باكيا على
شجوه الا بكيت على عمرو وقيل لفظ الحرام على ظاهره ولا زائدة والمعنى ما سبق ذكره والحرمة
هنا بمعنى المنع كما في قوله تعالى وحرمنا عليه المراضع من قبل وقوله تعالى ان الله حرمهما على
الكافرين فان قيل كيف قال تعالى هنا ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون
وقال في موضع اخر وان منكم الا واردها والوارد لها يكون قريبا منها لا بعيدا قلنا معناه مبعدون
عن المها وعذابها مع كونهم واردين بها او معناه مبعدون عنها بعد ورودها بالانجاء المذكور
بعد الورود فلا تنافي بينهما فان قيل كيف قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين مع ان
مع ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن رحمة للكافرين الذين ماتوا على كفرهم بل نقمة لانه
لولا ارساله اليهم ما عُذّبوا بكفرهم لقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
قلنا كان رحمة للكافرين ايضا من حيث ان عذاب الاستيصال أُخّر عنهم بسببه
الثاني انه كان رحمة عامة من حيث انه جاء بما يُسعدهم ان اتّبعوه ومن لم يتّبعه فهو
الذي قصّر في حق نفسه وضيّع نصيبه من الرحمة ومَثَلُه صلى الله عليه وسلم مثل
عين عذبة فجّرها الله تعالى فسقى ناسٌ زروعهم ومواشيهم منها فافلحوا وفرّط
ناسٌ في السقي منها فضيّعوا فالعينُ في نفسها نعمةٌ من الله تعالى للفريقين ورحمةٌ
وان قصّر البعض وفرّطوا الثالث ان المراد بالرحمة الرحيم وهو صلى الله عليه
وسلم كان رحيما للفريقين الا ترى انهم لمّا شجّوه يوم اُحدٍ وكسروا رباعيته حتى خرّ
مغشيا عليه فان قيل كيف قال تعالى هنا وان ادري اقريب ام بعيد ما توعدون
مع اخباره تعالى اياهم بقرب الساعة بقوله تعالى اتى امر الله وقوله تعالى اقتربت الساعة
ونحوها قلنا معناه ما ادري آتي العذاب الذي توعدُونه وتُهدّدون به ينزل
بكم عاجلا او آجلا وليس المراد به قيامُ الساعة ويرد على هذا الجواب انه قريب على كل
تقدير لانه ان كان قبل قيام الساعة فظاهر وان كان بعد قيام الساعة فهو كالمتصل
بها لسُرعة زمن الحساب فيكون قريبا ايضا فان قيل اذا كان المؤمنون يعتقدون

ان الله تعالى لا يحكم الا بالحق فما فائدة الامر او الاخبار المتعلق بقوله رب احكم بالحق قلنا
ليس المراد بالحق هنا ما هو نقيض الباطل بل المراد به ما وعد الله تعالى به من نصر
النبي عليه السلام
المؤمنين وخذلان الكافرين ووعدُه لا يكون الا حقا فكانه قال عجّلْ لنا وعدك
وانجزه ونظيره قوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق الثاني انه تاكيد لما في
التصريح بالصفة من المبالغة وان كانت لازمة للفعل ونظيره في عكسه من صفة سورة الحج
الذنب قوله تعالى ويقتلون الانبياء بغير حق سورة الحج فان قيل
قوله تعالى ان زلزلة الساعة شيء عظيم يدل على ان المعدوم شيء قلنا لا نسلم وسنده
ان المراد انها اذا وُجدت كانت شيئا الا انها شيء الآن ويؤيد هذا قوله تعالى عظيم مع
ان المعدوم لا يوصف بالعظم فان قيل كيف قال تعالى اولا يوم ترونها بلفظ الجمع
ثم افرد فقال وترى الناس قلنا لان الرؤية اولا علقت بالزلزلة فجعل الناس كلهم
رائين لها وعلقت اخرا بكون الناس على هيئة السكرى فلا بد ان يجعل كل واحد منهم رائيا
لسائرهم فان قيل كيف قال تعالى في حق النُضَيْر بن الحارث ومن الناس من
يجادل في الله الى ان قال ليضل عن سبيل الله وهو ما كان غرضه في جداله الضلال
عن سبيل الله فكيف علل جداله به وما كان ايضا مهتديا حتى اذا جادل خرج بالجدال
من الهدى الى الضلال قلنا هذه لام العاقبة والصيرورة وقد سبق ذكرها غير مرة
ولما كان الهدى معترضا له فتركه واعرض عنه واقبل على الجدال بالباطل جعل كالخارج
من الهدى الى الضلال فان قيل الضرّ والنفع منفيان عن الاصنام مثبتان لها
في الايتين فكيف التوفيق بينهما قلنا معناه يعبد من دون الله ما لا يضره ترك
ان لم يعبده ولا ينفعه ان عبده ثم قال تعالى يعبد من يضره الله بسبب عبادته
وانما اضاف الضرر اليه لحصوله بسببه فان قيل قوله تعالى لمن ضره اقرب من نفعه
يدل على ان في عبادة الصنم نفعا وان كان فيها ضرر قلنا معناه اقرب من النفع المنسوب
اليه في زعمهم وهو اعتقادهم انه يشفع لهم فان قيل كيف قال تعالى اذن للذين
يقاتلون بانهم ظلموا اي بسبب كونهم مظلومين ولم يبين ما الشيء الذي اذن لهم
فيه قلنا تقديره اذن للذين يقاتلون في القتال وانما حذف لدلالة يقاتلون عليه
ولدلالة الحال ايضا فان كفار مكة كانوا يؤذون المؤمنين بانواع الاذى وهم يستاذنون

النبي صلى الله عليه وسلم في قتالهم فيقول لم يؤذن لي في ذلك حتى هاجر الى المدينة
فنزلت هذه الاية وهي اول اية نزلت في الاذن في القتال فنسخت سبعين اية ناهية
عن القتال كذا قاله ابن عباس رضي الله عنه فكان المأذون فيه ظاهرًا لكونه مترقبًا
منتظرًا **فإن قيل** كيف قال تعالى اذن للذين يقاتلون مع انهم ما كانوا يقاتلون
قبل نزول هذه الاية **قلنا** معناه اذن للذين يريدون ان يقاتلوا سماهم مقاتلين
مجازًا باعتبار ما يؤولون اليه كما في النظائر وقرئ يقاتلون بفتح التاء ولا اشكال
على تلك القراءة **فإن قيل** كيف صح الاستثناء في قوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق
الا ان يقولوا ربنا الله **قلنا** هو استثناء منقطع تقديره لكن اخرجوا بقولهم ربنا الله الثاني
انه بمنزلة قول الشاعر ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب
تقديره ان كان فيهم عيب فهو هذا وهذا ليس بعيب فلا يكون فيهم عيب **فإن قيل**
اي منة على المؤمنين في حفظ الصوامع والبيع عن الهدم حتى امتن عليهم بذلك في قوله
تعالى ولولا دفع الناس بعضهم ببعض الاية **قلنا** المنة في ذلك ان الصوامع والبيع
والكنائس في حرم المسلمين وحراستهم وحفظهم لان اهلها ذمة للمسلمين الثاني
ان المراد به لهدمت صوامع وبيع في زمن عيسى عليه السلام ومساجد في زمن
النبي صلى الله عليه وسلم فالامتنان على اهل الاديان الثلاثة لا على المؤمنين **فإن قيل**
كيف قال تعالى وكذب موسى ولم يقل وقوم موسى كما قال تعالى **قلنا** لان موسى
ما كذبه قومه بنو اسرائيل وانما كذبه غير قومه وهم القبط الثاني ان يكون التنكير
والابهام للتفخيم والتعظيم كانه قال تعالى بعد ما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم وكذب
موسى ايضا مع وضوح اياته وعظم معجزاته فما ظنك بغيره **فإن قيل** ما فائدة قوله تعالى
ولكن تعمى القلوب التي في الصدور **قلنا** هو تاكيد كما في قوله تعالى ولا طائر يطير بجناحيه
وقوله تعالى يقولون بافواههم وما اشبه ذلك الثاني ان القلب يستعمل بمعنى العقل ومنه
قوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب في احد القولين فكان التقييد مفيدا على
قول من يزعم ان العقل في الراس **فإن قيل** المغفرة انما تكون لمن يعمل السيئات
لا لمن يعمل الصالحات والحسنات فكيف قال تعالى فالذين امنوا وعملوا الصالحات
لهم مغفرة **قلنا** المراد بالعمل الصالح هنا الاخلاص في الايمان قال الكلبي كل موضع جاء

في القرآن الذين امنوا وعملوا الصالحات فالمراد به الاخلاص في الايمان فيصير
المعنى فالذين امنوا عن اخلاص تغفر لهم سيئاتهم **فإن قيل** ما الفرق بين الرسول
والنبي مع ان كليهما مرسل بدليل قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول
ولا نبي **قلنا** الفرق بينهما ان الرسول من الانبياء عليهم السلام من جمع له بين
المعجزة وانزال الكتاب عليه والنبي فقط من لم ينزل عليه كتاب وانما امر ان يدعو
الى شريعة من قبله وقيل الرسول من كانت له معجزة من الانبياء عليهم
السلام والنبي من لم تكن له منهم معجزة وفي هذا نظر وقيل الرسول من كان مبعوثا
الى امة والنبي فقط من لم يكن مبعوثا الى احد مع كونه نبيا والجواب عن الاية على هذا
القول ان فيه اضمارا تقديره وما ارسلنا من رسول ولا انبأنا من نبي او ولا كان
من نبي ونظيره قول الشاعر ورأيت زوجك في الوغى متقلدا سيفا ورمحا
اي ومتقلدا ومعتقلا سيفا ورمحا او وحاملا رمحا **فإن قيل** اين المثل المضروب
في قوله تعالى يا ايها الناس ضرب مثل والمذكور بعده وهو قوله تعالى ان الذين تدعون
من دون الله الى اخره ليس بمثل بل كلام مبتدأ مستقل بنفسه **قلنا** الصفة او
القصة العربية او المستحسنة تسمى مثلا ومنه قوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد
نارا فالمعنى بينت صفة وهي عجز الصنم عن خلق الذباب واستنقاذ ما يسلبه
وقيل هو اشارة الى قوله تعالى مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت
وانما الجهد هنا لانهم كانوا لا يصغون الى سماع القران ولهذا قالوا لا تسمعوا لهذا
القران والغوا فيه وكانوا يحبون الامثال فذكر لفظ المثل استدراجا لهم الى
سماع القران والاصغاء اليه **فإن قيل** كيف قال وما جعل عليكم في الدين
من حرج مع ان قطع اليد التي تساوي خمسة الاف درهم بسبب سرقة عشرة
دراهم حرج في الدين وكذا رجم المحصن بسبب الوطء مرة واحدة ووجوب صوم شهرين
متتابعين بسبب افطار يوم واحد والمخاطرة بالنفس والمال في الحج والغزو وكل ذلك
حرج بين **قلنا** المراد بالدين كلمة التوحيد فانها تكفر شرك سبعين سنة ولا يتوقف
تأثيرها على الايمان والاخلاص سبعين سنة ولا على ان يكون الاتيان بها في بيت الله
او في زمان معين وقيل المراد به ان كل ما يقع فيه الانسان من الذنوب والمعاصي

بجداله مخرجا في الشرع بتوبة او كفارة او رخصة وقيل المراد به فتح باب التوبة
للمذنبين وفتح ابواب الرخص للمعذورين وشرع الكفارات والاروش والديات
وقيل المراد به نفي الحرج الذي كان على بني اسرائيل من الاصر والتشديد فان قيل
كيف قال تعالى ملة ابيكم ابرهيم وابرهيم عليه السلام لم يكن ابا للامة كلها قلنا هو
ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان ابا لامته لان امة الرسول بمنزلة اولاده من
جهة العطف والشفقة هذا ان كان الخطاب لعامة المسلمين وان كان للعرب خاصة
وابرهيم عليه السلام ابو العرب قاطبة فان قيل متى سمانا ابرهيم عليه السلام
المسلمين من قبل حتى قال الله تعالى هو سماكم المسلمين من قبل قلنا وقت دعائه
عند بناء الكعبة حيث قال ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك
فكل من اسلم من هذه الامة فهو ببركة دعوة ابرهيم وهذا السوال سئلت عنه في
المنام واجبت عنه بهذا الجواب في المنام الهاما من الله تعالى سورة المؤمنين
فان قيل كيف قال تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم وحفظ الفرج
انما يتعدى بعن لا بعلى يقال فلان يحفظ فرجه عن الحرام ولا يقال على الحرام قلنا على هنا
بمعنى عن كما في قول الشاعر ؎ اذا رضيت علي بنو قشير ؎ لعمر الله اعجبني رضاها
الثاني انه متعلق بمحذوف تقديره فلا يرسلونها الا على ازواجهم فان قيل كيف
قال تعالى وما ملكت ايمانهم ولم يقل او من ملكت ايمانهم مع ان المراد من يعقل قلنا
لانه اراد من جنس العقلاء ما يجري مجرى غير العقلاء وهم الاناث فان قيل قوله
تعالى ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون كيف خص الاخبار عن الموت
الذي لم ينكره الكفار بلام التاكيد دون الاخبار عن البعث الذي انكروه والظاهر يقتضي عكس
ذلك قلنا لما كان العطف يقتضي الاشتراك في الحكم استغني به عن اعادة لفظ اللام الموجبة
لزيادة التاكيد فانها ثابتة معنى قضية للعطف ولا يلزم على هذا اعادة ان لانها الاصل للتاكيد
وهو اقوى والحاجة اليه امس فان قيل كيف قال تعالى وشجرة تخرج من طور سيناء
والمراد بها شجرة الزيتون وهي تخرج من الجبل الذي يسمى طور سينا ومن غيره قلنا قيل ان
اصل شجرة الزيتون من طور سينا ثم نقلت الى ساير المواضع وقيل انما اضيفت الى ذلك
الجبل لان خروجها فيه اكثر من خروجها في غيره من المواضع فان قيل قوله تعالى ام يقولون به جنة

خبر عن كفار مكة قلت قال تعالى بل جاءهم بالحق اي بالتوحيد او بالقران والكثير الحق
كارهون ولم يقل وكلهم مع ان كلهم كانوا للتوحيد كارهين بدليل قولهم به جنة
كان فيهم من ترك الايمان به انفة واستنكافا من توبيخ قومه لئلا يقولوا ترك
دين ابائه لا كراهة للحق كما يحكى عن ابي طالب وغيره فان قيل كيف جمع تعالى
وقال رب ارجعون رب ارجعني والمخاطب واحد وهو الله تعالى قلنا جمع للتفخيم
والتعظيم كقوله تعالى انا نحن نحيي ونميت واشباهه فان قيل كيف قال تعالى
فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وقال تعالى في موضع اخر واقبل بعضهم على
بعض يتساءلون قلنا يوم القيامة مقداره خمسون الف سنة وفيه احوال مختلفة
ففي بعضها يتساءلون وفي بعضها لا ينطقون لشدة الهول والفزع سورة النور
فان قيل كيف قدمت المراة في اية حد الزنا وقدم الرجل في اية حد السرقة قلنا
لان الزنا انما يتولد من شهوة الوقاع وشهوة الوقاع المراة اقوى واكثر والسرقة
انما تتولد من الجسارة والجراة والقوة وذلك في الرجل اكثر فان قيل فكيف قدم الرجل
في قوله تعالى الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك قلنا
لان الاية الاولى سيقت لعقوبتهما على ما جنيا والمراة هي الاصل في تلك الجناية لما ذكرنا
والاية الثانية سيقت لذكر النكاح والرجل هو الاصل فيه عرفا لانه هو الراغب والخاطب
والبادي بالطلب بخلاف الزنا فان الامر فيه بالعكس غالبا فان قيل كيف قال تعالى
الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة اي لا يتزوج والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك ونحن نرى
الزاني ينكح عفيفة ومسلمة والزانية ينكحها العفيف والمسلم قلنا قال عكرمة نزلت
هذه الاية في بغايا موسرات كن بمكة وكانت بيوتهن تسمى في الجاهلية المواخير وكان
لا يدخل عليهن الا زان من اهل القبلة او مشرك من اهل الاوثان فاراد جماعة من فقراء
المهاجرين ان ينكحوهن فنزلت هذه الاية زجرا لهم عن ذلك فان قيل ما فائدة دخول من
في غض البصر دون حفظ الفرج في قوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم
قلنا فائدته الدلالة على ان امر النظر اوسع من الفرج ولهذا يحل النظر في ذوات المحارم والاماء
المستعرضات الى عدة من اعضائهن ولا يحل شيء من فروجهن فان قيل لاي حكمة ترك
الله تعالى ذكر الاعمام والاخوال في قوله تعالى ولا يبدين زينتهن يعني الزينة الخفية الا لبعولتهن

الاية وهم من المحارم وحكمهم حكم من استثنى في الاية قلنا سئل الشعبي عن ذلك
فقال لئلا يصفها العم عند ابنه وهو ليس بمحرم لها وكذا الخال فيفضي الى الفتنة والمعنى
فيه ان كل من استثنى يشترك هو وابنه في المحرمية الا العم والخال وهذا من الدلالات
البليغة على وجوب الاحتياط في سترهن ولقائل ان يقول هذه المفسدة محتملة في
اباء بعولتهن لاحتمال ان يذكرها ابو البعل عند ابنه الاخر وهو ليس بمحرم لها وابو
البعل ايضا نقض على قولهم ان كل من استثنى يشترك هو وابنه في المحرمية فان قيل
كيف قال تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا مع ان اكراههن على الزنا
حرام في كل حال قلنا لان سبب نزول الاية ان الجاهلية كانوا يكرهون اماءهم
على الزنا مع ارادتهن التحصن فورد النهي على صفة السبب وان لم يكن شرطا فيه الثاني
انه تعالى انما شرط ارادة التحصن لان الاكراه لا يتصور الا عند ارادة التحصن لان الامة
اذا لم ترد التحصن فانها تزني بالطبع لان ارادتها الجماع مستمرة في جميع الاحوال
طبعا ولا بد له من احد الطريقين الثالث ان ان بمعنى اذ كما في قوله تعالى وذروا ما بقي
من الربا ان كنتم مؤمنين وقوله تعالى وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين الرابع ان في
الكلام تقديما وتاخيرا تقديره وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان
اردن تحصنا ويبقى قوله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء مطلقا غير معلق فان قيل
كيف مثل الله تعالى نوره اي معرفته وهداه في قلب المؤمن بنور المصباح في قوله تعالى
مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ولم يمثله بنور الشمس مع ان نورها اتم واكمل قلنا
المقصود تمثيل النور في القلب والقلب في الصدر والصدر في البدن كالمصباح وهو الضوء
او الفتيلة في الزجاجة والزجاجة في الكوة التي لا منفذ لها وهذا التمثيل لا يستقيم الا فيما
ذكر الثاني ان نور المعرفة له الات يتوقف على اجتماعها كالذهن والفهم والعقل واليقظة
وانشراح القلب وغير ذلك من الخصال الحميدة كما ان نور القنديل يتوقف على اجتماع القنديل
والزيت والفتيلة وغير ذلك الثالث ان نور الشمس يشرق متوجها الى العالم السفلي
لا الى العالم العلوي ونور المعرفة يشرق متوجها الى العالم العلوي كنور المصباح الرابع
ان نور الشمس لا يشرق الا بالنهار ونور المعرفة يشرق بالليل والنهار كنور المصباح
الخامس ان نور الشمس يعم جميع الخلائق ونور المعرفة لا يصل الا الى البعض كنور المصباح

الموصوف فان قيل هب انه تعالى لم يمثله بنور الشمس لما ذكرتم فلم لم يمثله
بنور الشمع مع انه اتم واكمل واشرف من نور المصباح قلنا انما لم يمثله تعالى بنور
الشمع لان في الشمع غشا لا محالة بخلاف الزيت الموصوف فلو مثله تعالى بنور الشمع
لتطاول المنافق المغشوش الى اسعها ونصيب في المعرفة الثاني انه تعالى انما
لم يمثله بنور الشمع لانه مخصوص بالاغنياء بخلاف نور المعرفة فانه في الفقراء اغلب
فان قيل التجارة تشمل الشرا والبيع فما فائدة عطف البيع عليها في قوله تعالى لا تلهيهم
تجارة ولا بيع عن ذكر الله قلنا قيل التجارة هي الشراء والبيع الذي يكون صناعة
للانسان ومقصودا به الربح وموجودة في الشخص الذي يسمى تاجرا والبيع اعم من ذلك
وقيل المراد بالتجارة هنا مبادلة الاخرة بالدنيا كما في قوله تعالى اولئك الذين اشتروا
الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم والمراد بالبيع مبادلة الدنيا بالدنيا كما في قوله تعالى
فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع وقيل انما عطف البيع على التجارة لانه اراد بالتجارة
الشرى اطلاقا لاسم الجنس على النوع وقيل انما عطفه عليها للتخصيص والتنويه
حيث انه ابلغ في الالهاء لان البيع الرابح يتعقبه حصول الربح بخلاف الشرا الرابح
فان الربح فيه مظنون مع كونه مترقبا منتظرا وقيل التجارة مخصوصة باهل الجلب
بخلاف البيع فان قيل كيف قال تعالى والله خلق كل دابة من ماء وبعض الدواب
ليس مخلوقا من الماء كادم عليه السلام وناقة صالح وغيرهما قلنا المراد بهذا الماء
الماء الذي هو اصل جميع المخلوقات وذلك ان الله تعالى خلق قبل خلق الاشياء جوهرة
ونظر اليها نظرة هيبة فاستحالت ماء ثم خلق من ذلك الماء جميع الموجودات وقد سبق
مثل هذا السؤال في قوله تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي فان قيل ان كان الجواب
هذا فما فائدة تخصيص الدابة بالذكر او تخصيص الشيء الحي قلنا انما خص بالذكر لان
القدرة فيه اظهر والعجب منها ابهر وغيره فان قيل كيف قال تعالى فمنهم من
يمشي على بطنه وقال تعالى من يمشي على اربع وهي ممن لا يعقل قلنا لما كان اسم الدابة
يتناول المميز وغيره غلب المميز على غيره واجرى عليه لفظه فان قيل كيف قال
تعالى من يمشي على بطنه وذلك انما يسمى زحفا لا مشيا ولا يسمى مشيا الا ما كان بالقوائم
قلنا هو مجاز بطريق المشابهة كما يقال مشى هذا الامر وفلان لا يتمشى له امر وفلان

ماشى الحال فان قيل كيف امر الله تعالى بالاستيذان الاطفال الذين لم يبلغوا
الحلم بقوله تعالى والذين لم يبلغوا الحلم منكم اى من الاحرار قلنا هو فى المعنى
امر للاباء والامهات بتاديب الاطفال وتعليمهم لا للاطفال فان قيل
كيف اباح تعالى للقواعد من النساء وهن العجائز من الثياب بحضرة الرجال بقوله
تعالى والقواعد من النساء الاية قلنا المراد بالثياب هنا الجلباب و الردا
والقناع الذى فوق الخمار لا جميع الثياب وقوله تعالى غير متبرجات بزينة اى
غير قاصدات بوضع الثياب الظاهرة اظهار زينتهن ومحاسنهن بل التعفف
ثم اعقبه بان التعفف بترك الوضع خير لهن فان قيل كيف قال تعالى ولا على
انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم مع ان انتفاء الحرج عن اكل الانسان من بيته معلوم
لا شك فيه ولا شبهة قلنا المراد بقوله تعالى من بيوتكم اى من بيوت اولادكم لان
ولد الرجل بعضه وحكمه حكم نفسه ولهذا عبر عنه بذلك وفى الحديث ان اطيب ما ياكل
الرجل من كسبه وان ولده من كسبه ويؤيد ذلك انه ذكر بيوت جميع الاقارب ولم يذكر
بيوت بيوت الاولاد وقيل المراد بقوله تعالى ان تاكلوا من بيوتكم اى ان تاكلوا من بيوتكم
من مال اولادكم وازواجكم الذين هم فى بيوتكم ومن جملة عيالكم وقيل المراد بقوله تعالى
من بيوتكم البيوت التى يسكنونها وهم فيها عيال لغيرهم كبيت ولد الرجل وزوجته
وخادمه ونحو ذلك فان قيل معنى السلام السلامة والامن فاذا قال الرجل لغيره
السلام عليك كان معناه سلمت منى وامنت فما معنى قوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا
فسلموا على انفسكم قلنا المراد به فاذا دخلتم بيوتكم فسلموا على اهلكم وعيالكم وقيل
معناه اذا دخلتم المساجد او بيوتا ليس فيها احد فقولوا السلام علينا وعلى عباد الله
الصالحين يعنى من ربنا فان قيل كيف قال تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره
وانما يقال خالف امره قلنا كلمة عن زايدة كذا قاله الاخفش الثانى ان فيه اضمارا
تقديره فليحذر الذين يخالفون الله تعالى ويعرضون عن امره او ضمن المخالفة معنى
الاعراض فعداه تعديته سورة الفرقان فان قيل الخلق هو التقدير — سورة الفرقان
ومنه قوله تعالى واذ تخلق من الطين اى تقدر فما معنى قوله تعالى وخلق كل شىء فقدره تقديرا
وكانه قال تعالى وقدر كل شىء فقدره تقديرا قلنا الخلق من الله تعالى بمعنى الايجاد والاحداث

بمعناه واوجد كل شىء مقدرا مسوى مهيئا لما يصلح له لا زايدا على ما تقتضيه الحكمة
والمصلحة ولا ناقصا عن ذلك الثانى ان معناه وقدر له ما يقيمه ويصلحه او وقدر له رزقا
واجلا واحوالا تجرى عليه فان قيل كيف قال تعالى فى وصف الجنة والمتقين كانت لهم جزاء
ومصيرا وهى ما كانت بعد وانما تكون كذلك بعد الحشر والنشر قلنا انما قال
كانت لان ما وعده الله تعالى فهو فى تحققه كانه قد كان او معناه كانت فى علم الله مكتوبة
فى اللوح المحفوظ انها جزاؤهم ومصيرهم فان قيل ما فائدة تاخير الهوى فى قوله تعالى
ارايت من اتخذ الهه هواه واصله اتخذ الهوى الها كما تقول اتخذ الصنم معبودا قلنا
هو من باب تقديم المفعول الثانى على الاول للعناية به كما تقول علمت منطلقا زيدا لفضل
عنايتك بانطلاقه فان قيل كيف قال تعالى ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون
قلنا قد مر مثل هذا السوال وجوابه فى قوله تعالى بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون
فان قيل كيف شبههم سبحانه بالانعام فى الضلال بقوله تعالى ان هم الا كالانعام مع
ان الانعام تعرف الله سبحانه وتعالى وتسبحه بدليل قوله تعالى وان من شىء الا يسبح
بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وقوله تعالى يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض قلنا
المراد تشبيههم بالانعام فى الضلال عن فهم الحق ومعرفة الله تعالى بواسطة دعوة الرسل
عليهم السلام الثانى ان المراد تشبيههم فى الضلال والعمى عن امر الدين بالانعام فى ضلالها
وعماها عن امر الدنيا فان قيل ان كانوا كالانعام فى الضلال فكيف قال تعالى بل هم
اضل سبيلا وان كانوا اضل من الانعام فكيف قال تعالى ان هم الا كالانعام وان كانوا
كالانعام فى الضلال واضل منها ايضا فكيف تجتمع الوصفان قلنا المراد بقوله تعالى
ان هم الا كالانعام التشبيه فى اصل الضلال لا فى مقداره وقيل المراد بالاول والثانى
بيان لمقداره وقيل المراد بالاول التشبيه فى المقدار ايضا ولكن المراد بالاول طايفة
وبالثانى طايفة اخرى ووجه كونهم اضل من الانعام ان الانعام تنقاد لاربابها التى
تعلفها وتتعهدها وتعرف من يحسن اليها ممن يسىء اليها وتطلب ما ينفعها
وتجتنب ما يضرها وهولاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه اليهم من اساءة
الشيطان الذى هو عدو لهم ولا يطلبون الثواب الذى هو اعظم المنافع ولا يتقون العقاب
الذى هو اشد المضار والمهالك ولا يهتدون للحق الذى هو المشرع الهنى والعذب الروى

فان قيل قوله تعالى وانزلنا من السماء ماءً طهورًا لنحيي به بلدة ميتا كيف ذكّر الصفة
والموصوف مونث ولم يونثها كما انثها في قوله تعالى واية لهم الارض الميتة قلنا انما ذكرها
نظرا الى معنى البلدة وهو البلد والمكان لا الى لفظها فان قيل قوله تعالى وانزلنا من السماء
ماء طهورا لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا انزله موصوفا
بالطهورية وتعليل ذلك بالاحياء والسقي يشعر بان الطهورية شرط في حصول تلك المصلحة
كما تقول حملني الامير على فرس سابق لأصيد عليه الوحش وليس كذلك قلنا وصف
الطهورية ذكر اكراما للاناسي الذين شربهم من جملة المصالح التي انزل لها الماء واتماما
للنعمة والمنة عليهم لا لكونه شرطا في تحقق تلك المصالح والمنافع بخلاف النظير وانه قصد بكونه
سابقا الشرطية لان صيد الوحش على الفرس لا يتم الا بها فان قيل كيف خص تعالى الانعام
بذكر السقي دون غيرها من الحيوان الصامت قلنا لان الطير والوحش يبعد في طلب الماء
ولا يعوزها الشرب بخلاف الانعام الثاني ان الانعام قنية الاناسي وعامة منافعهم متعلقة
بها فكان الإنعام بسقي الأنعام كالإنعام بسقي الاناسي فلذلك خصها بالذكر فان قيل
كيف قدم تعالى احياء الارض وسقي الانعام على سقي الاناسي قلنا لان حياة الاناسي
بحياة ارضهم وانعامهم فقدم ما هو سبب حياتهم ومعاشهم الثاني ان سقي الارض بماء المطر
سابق في الوجود على سقي الاناسي به فان قيل كيف وجه صحة الاستثناء في قوله تعالى
قل ما اسالكم عليه من اجرٍ الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا قلنا هو استثناء منقطع
تقديره لكن من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا فانا أدُلّه على ذلك وأرشده اليه وقيل تقديره
لكن من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا بانفاق ماله في مرضاته فليفعل ذلك فان قيل
كيف قال تعالى هنا قل لا اسالكم عليه من اجرٍ اي اجرًا لان من لتاكيد النفي وعمومه وقال
تعالى في اية اخرى قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى فاثبت سوال الاجر عليه
قلنا هذه الاية منسوخة بقوله تعالى قل ما سالتكم عليه من اجرٍ فهو لكم ان اجري الا على الله
رواه مقاتل والضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه والصحيح الذي عليه المحققون انها غير
منسوخة بل هو استثناء من غير الجنس تقديره لكني اذكركم المودة في القربى فان قيل
كيف قال تعالى واجعلنا للمتقين اماما ولم يقل ائمة قلنا مراعاة لفواصل الايات وقيل
تقديره واجعل كل واحد منا اماما فان قيل كيف قال تعالى ويلقون فيها تحية وسلاما

وهما بمعنى واحد وتوبيده قوله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وقوله عليه السلام السلام
تحية اهل الجنة في الجنة قلنا قال مقاتل المراد بالتحية سلام بعضهم على بعض او سلام
الملائكة عليهم والمراد بالسلام ان الله تعالى سلمهم مما يخافون وسلم اليهم امورهم وقيل
التحية من الملائكة او من اهل الجنة والسلام من الله تعالى عليهم لقوله تعالى سلام قولا
من رب رحيم وقيل التحية من الله لهم بالهدايا والتُحَف والسلام بالقول وقيل التحية
الدعاء بالتعمير والسلامُ الدعاء بالسلامة فمعناه انهم يلقون ذلك من الملائكة او بعضهم
من بعض او يلقون ذلك من الله تعالى فيعطون البقاء والخلود مع السلامة من كل آفة

سورة الشعراء

سورة الشعراء فان قيل كيف قال تعالى فظلت اعناقهم لها خاضعين
والاعناق لا تُعقل قلنا قيل اصل الكلام فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان
موضع الخضوع وترك الكلام على اصله كقولهم ذهبت اهل اليمامة كان الاهل غير مذكور
ومثله قول الشاعر رأتْ مرّ السنين اخذن مني كما اخذ السِرار من الهلال
ولما وُصفت الاعناق بالخضوع الذي هو من صفات العقلاء جمعت جمع العقلاء كقوله
تعالى والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين وقيل الاعناق رؤسا الناس ومقدموهم شبهوا
بالاعناق كما قيل لهم الرؤس والنواصي والوجوه وقيل الاعناق الجماعات يقال جاءني عنق من
الناس اي جماعة وقيل ان ذلك لمراعاة الفواصل فان قيل كيف قال تعالى فقولا انا رسول
رب العالمين فافرد وقال تعالى في موضع اخر انا رسولا ربك قلنا الرسول يكون بمعنى
المرسل فيلزم تثنيتُه ويكون بمعنى الرسالة التي هي المصدر فيوصف به الواحدُ والاثنان
والجماعة كما يوصف بسائر المصادر والدليل على انه يكون بمعنى الرسالة قول الشاعر
لقد كذب الواشون ما بحتُ عندهم بسرٍّ ولا ارسلتهم برسولٍ اي برسالةٍ الثاني
انهما لاتفاقهما في الاخوة والشريعة والرسالة جعلا كنفسٍ واحدة الثالث ان تقديره
ان كل واحد منا رسول رب العالمين الرابع ان موسى كان الاصل وهارون تبعا فافرد
اشارة الى ذلك فان قيل كيف قال موسى عليه السلام معتذرًا عن قتل القبطي فعلتُها
اذًا وانا من الضالين والنبي لا يكون ضالًّا قلنا اراد به من الجاهلين وكذا قراه ابن مسعود
وقيل من المخطئين لانه ما تعمّد قتله كما يقال ضلّ عن الطريق اذا عدل عن الصواب الى
الخطاء وقيل من الناسين كقوله تعالى ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى

فإن قيل كيف قال فرعون وما رب العالمين ولم يقل ومن رب العالمين قلنا هو
كان اعمى القلب عن معرفة الله تعالى منكر الوجود فكيف كان ينكر عليه العدول عن من
الى ما الثاني ان ما لا يختص بغير المميزين بل يطلق عليهما قال الله تعالى فانكحوا ما طاب لكم
من النساء وقال تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد فإن قيل كيف قال موسى عليه السلام
رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين علق كونه تعالى رب السموات والارض
وما بينهما بشرط كون فرعون وقومه موقنين وهذا الشرط منتف والربوبية ثابتة
فكيف صح التعليق قلنا معناه ان كنتم موقنين ان السموات والارض موجودة وهذا
الشرط موجود الثاني ان ان نافية لا شرطية فإن قيل ذكر السموات والارض
وما بينهما استوعب ذكر المخلوقات كلها فما فائدة قوله بعد ذلك ربكم ورب آبائكم الاولين
وقوله رب المشرق والمغرب قلنا اعاد ذكرها تخصيصا لها وتمييزا لان اقرب
المنظور فيه من العاقل نفسه ومن ولد منه وما شاهد وعاين من الدلائل
على الصانع والناقل من هيئة الى هيئة وحال الى حال من وقت ولادته الى وقت وفاته
ثم خص المشرق والمغرب لان طلوع الشمس من احدهما وغروبها في الاخر على تقدير
مستقيم في فصول السنة وحساب مستو من اظهر ما يستدل به على وجود الصانع ولظهوره
انتقل خليل الله عليه السلام الى الاحتجاج به عن الاحتجاج بالاحياء والاماتة فبهت
الذي كفر فإن قيل كيف قال اولا ان كنتم موقنين وقال آخرا ان كنتم تعقلون قلنا
لاينهم ولاطفهم اولا فلما رأى عنادهم واصرارهم خاشنهم وعارض قوله
ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون بقوله ان كنتم تعقلون فإن قيل قوله
لأسجننك اخصر من قوله لاجعلنك من المسجونين فكيف عدل عنه قلنا كان
مراده تعريف العهد فكأنه قال لاجعلنك واحدا ممن عرفت حالهم في سجني وكان اذا
سجن انسانا طرحه في هوة عميقة جدا مظلمة وحده لا يبصر فيها ولا يسمع فكان
ذلك اوجع من القتل واشد نكاية فإن قيل قصة موسى عليه السلام مع فرعون
والسحرة ذكرت في سورة الاعراف ثم في سورة طه ثم في هذه السورة فما فائدة تكرارها
وتكرار غيرها من القصص قلنا فائدته تاكيد التحدي واظهار الاعجاز كما ان
المبارز اذا خرج من الصف قال نزال نزال هل من مبارز هل من مبارز مكررا

ذلك ولهذا سمى الله تعالى القرآن مثاني لانه ثنيت فيه الاخبار والقصص الثاني
ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كان بعضهم حاضرين وبعضهم غائبين في
الغزوات وكانوا يحبون حضور مهبط الوحي وكانوا اذا رجعوا من غزوهم اكرمهم
الله تعالى في بعض الاوقات باعادة الوحي تشريفا لهم وتفضيلا فإن قيل كيف كرر
الله تعالى ذكر قصة موسى عليه السلام اكثر من قصص غيره من الانبياء قلنا لان احواله
كانت اشبه باحوال النبي صلى الله عليه وسلم من احوال غيره منهم في اقامته الحجج واظهاره
المعجزات لاهل مصر واصرارهم على تكذيبه والجفاء عليه كما كان حال النبي صلى الله
عليه وسلم مع اهل مكة فإن قيل كيف قال تعالى فلما تراءى الجمعان والتراءي تفاعل
من الرؤية فيقتضي وجود رؤية كل جمع الجمع الاخر والمنقول انه لم ير بعضهم بعضا فان
الله تعالى ارسل غيما ابيض فحال بين العسكرين حتى منع رؤية بعضهم بعضا قلنا
التراءي يستعمل بمعنى التداني والتقابل ايضا كما قال عليه السلام المؤمن والكافر لا تتراءان
اي لا يتدانيان ويقال دورنا تتراءى اي تتقارب وتتقابل فإن قيل كيف قال
واذا مرضت ولم يقل واذا امرضني قلنا لانه كان في معرض الثناء على الله تعالى وتعديد
نعمه فاضاف اليه الخير المحض حفظا للادب وان كان الكل مضافا اليه ونظيره قول الخضر
عليه السلام فاردت ان اعيبها وقوله فاراد ربك ان يبلغا اشدهما فإن قيل هذا
الجواب يبطل بقوله والذي يميتني وبقول الخضر فاردنا ان يبدلهما قلنا انما اضاف
الموت الى الله تعالى لانه سبب لقائه اياه وانتقاله الى دار كرامته وكان نعمة من هذا الوجه
وقيل انما اضاف المرض الى نفسه لان اكثر الامراض تحدث بتفريط الانسان في
مطاعمه ومشاربه فإن قيل كيف قال يوم لا ينفع مال ولا بنون والمال الذي
انفق في طاعة الله تعالى وسبيله ينفع والولد الصالح ينفع والولد الذي مات صغيرا يشفع
وشواهد ذلك كثيرة من الكتاب والسنة خصوصا قوله عليه السلام اذا مات ابن آدم انقطع
عمله الا من ثلاث الحديث قلنا المراد بالآية انهما لا ينفعان غير المؤمن فانه هو الذي
ياتي بقلب سليم من الكفر او المراد بهما مال لم ينفق في طاعة الله تعالى وولد بالغ غير صالح
فإن قيل كيف قال تعالى وازلفت الجنة للمتقين اي قربت والجنة لا تنتقل من مكانها
ولا تحول قلنا معناه وازلفنا المتقين الى الجنة كما يقول الحاج اذا دنونا الى مكة قربت مكة منا

وقيل معناه انها كانت محجوبة عنهم فلما رفعت الحجب بينهم وبينها كان ذلك تقريبا
لها **قال قيل** كيف جمع الشافع ووحد الصديق في قوله تعالى فما لنا من شافعين
ولا صديق حميم **قلنا** لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق ولهذا روي ان بعض
الحكماء سئل عن الصديق فقال هو اسم لا معنى له اراد بذلك عزة وجوده ويجوز ان يراد
بالصديق الجمع كالعدو **قال قيل** كيف قرن تعالى بين الانعام والبنين في قوله تعالى
امدكم بانعام وبنين **قلنا** لان الانعام كانت من اعز اموالهم عندهم وكان بنوهم
هم الذين يعينونهم على حفظها والقيام عليها فلهذا قرن بينهما **قال قيل** قوله
تعالى اوعظت ام لم تكن من الواعظين فكيف عدل عنه
قلنا مرادهم سواء علينا افعلت هذا الفعل ام لم تكن من اهله اصلا وهذا ابلغ
في قلة اعتدادهم بوعظه من قولهم ام لم تعظ **قال قيل** قوله تعالى فعقروها فاصبحوا
نادمين فاخذهم العذاب كيف اخذهم العذاب بعدما ندموا على جنايتهم وقد قال
عليه السلام الندم توبة **قلنا** قال ابن عباس رضي الله عنه ندموا حين راوا العذاب
وذلك ليس وقت التوبة كما قال الله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات
الاية وقيل كان ندمهم ندم خوف من العقاب العاجل لا ندم توبة فلذلك لم ينفعهم
قال قيل كيف طلب لوط عليه السلام تنجيته من اللواطة بقوله رب نجني
واهلي مما يعملون واللواطة كبيرة والانبياء معصومون من الكبائر **قلنا** مراده رب
نجني واهلي من عقوبة عملهم او من شومه والدليل على ذلك ضمه اهله اليه في الدعاء
واستثناء الله تعالى امراته من قبول الدعوة **قال قيل** كيف قال تعالى في قصة
شعيب عليه السلام اذ قال لهم شعيب ولم يقل اخوهم كما قال في حق غيره هنا وكما
قال في حقه في موضع اخر **قلنا** لانه هنا ذكره مع اصحاب الايكة وهو لم يكن منهم وانما
كان من نسل مدين كذا قاله مقاتل وفي الحديث ان شعيبا اخا مدين ارسل اليهم
والى اصحاب الايكة وقال ابن جرير الطبري اهل مدين هم اصحاب الايكة فعلى هذا يكون
حذف الاخ تخفيفا **قال قيل** ما الفرق بين حذف الواو في قصة صالح واثباتها في قصة
شعيب عليهما السلام في قولهم ما انت الا بشر مثلنا وما انت الا بشر مثلنا **قلنا**
الفرق بينهما ان عند اثبات الواو المقصود معنيان كلاهما مناف للرسالة عندهم التسخير

والبشرية

والبشرية وعند حذف الواو المقصود معنى واحد مناف لها وهو كونه مسحرا ثم قرر
التسخير بالبشرية كذا اجاب الزمخشري رحمه الله **قال قيل** كيف قال تعالى في
وصف الكهنة والمتنبئة كشق وسطيح ومسيلمة واكثرهم كاذبون بعدما قضى
عليهم الكل واحد منهم افاك اثيم والافاك الكذاب والاثيم الفاجر ويلزم من هذا
ان يكونوا كلهم كاذبين **قلنا** الضمير في قوله تعالى واكثرهم عائد الى الشياطين لا الى كل
افاك **سورة النمل** **قال قيل** ما فائدة تنكير الكتاب في قوله
تعالى وكتاب مبين **قلنا** فائدته التفخيم له والتعظيم كقوله تعالى في مقعد صدق عند
مليك مقتدر **قال قيل** العطف يقتضي المغايرة فكيف عطف الكتاب المبين على
القران والمراد به القران **قلنا** قيل ان المراد بالكتاب المبين اللوح المحفوظ فعلى هذا
لا اشكال وعلى القول الاخر نقول العطف يقتضي المغايرة مطلقا اما لفظا او معنى
بدليل قول الشاعر فالفى قولها كذبا ومينا وقولهم جاءني الفقيه والظريف
والمغايرة لفظا ثابتة **قال قيل** كيف قال تعالى ان الذين لا يؤمنون بالاخرة زينا
لهم اعمالهم وقال تعالى في موضع اخر وزين لهم الشيطان اعمالهم **قلنا** تزيين الله لهم
الاعمال بخلقه الشهوة والهوى وتركيبها فيهم وتزيين الشيطان بالوسوسة
والاغواء والغرور والتمنية فصحت الاضافتان **قال قيل** كيف قال تعالى هنا ساتيكم
وقال تعالى في سورة طه لعلي اتيكم واحدهما قطع والاخر ترج والقصة واحدة **قلنا**
قد يقول الراجي اذا قوي رجاؤه سافعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه الخيبة **قال
قيل** كيف قال تعالى ان بورك من في النار مع انه لم يكن في النار احد بل لم تكن
المرئية نارا وانما كان نورا في قول الجمهور وقيل كان نارا انقلبت نورا **قلنا** قال ابن
عباس والحسن رضي الله عنهما معناه قدس من ناداه من النار وهو الله عز وجل
لا على معنى ان الله تعالى يحل في شيء بل على معنى انه اسمعه النداء من النار في زعمه
الثاني ان من زائدة والتقدير بورك في النار وفي من حولها وهو موسى عليه السلام او
الملائكة الثالث ان معناه بورك من في طلب النار وهو موسى عليه السلام **قال قيل**
انما يقال بارك الله في كذا ولا يقال بارك الله كذا **قلنا** قال الفراء العرب تقول
باركك الله وبارك فيه وبارك عليه بمعنى واحد ومنه قوله تعالى وباركنا عليه وعلى اسحق

سورة النمل

معناه واهلها العجوز في الغابرين

وفي لفظ التحيات وبارك على محمد وعلى آل محمد فإن قيل كيف وجه صحة الاستثناء في قوله تعالى
إني لا يخاف لدي المرسلون إلا من ظلم الآية قلنا فيه وجوه أحدها أنه استثناء منقطع
بمعنى لكن الثاني أنه استثناء متصل كذا قاله الحسن وقتادة ومقاتل رضي الله عنهم ومعناه
إلا من ظلم منهم بارتكاب الصغائر كآدم ويونس وداود وسليمان وإخوة يوسف وموسى
وغيرهم عليهم السلام فإنه يخاف مما فعل ثم عليه إني غفور رحيم فيكون تقدير الكلام إلا
من ظلم منهم فإنه يخاف فمن ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فإني غفور رحيم ولهذا قال بعضهم إن
هنا وقفا على قوله تعالى إلا من ظلم وابتدأ الكلام الثاني محذوف كما قدرنا الثالث أن إلا
بمعنى ولا كقوله تعالى لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم الرابع أن تقديره إني
لا يخاف لدي المرسلون ولا غير المرسلين إلا من ظلم الآية فإن قيل كيف قال سليمان
عليه السلام علمنا وأوتينا بنون العظمة وهو من كلام المتكبرين قلنا لم يرد به نون العظمة
وإنما أراد به نون الجمع وعنى نفسه وأباه الثاني أنه كان ملكا مع كونه نبيا فراعى سياسة الملك
وتكلم بكلام الملوك فإن قيل كيف حل له تعذيب الهدهد حتى قال لأعذبنه عذابا شديدا
قلنا لعل ذلك أبيح له خاصة كما خص بفهم منطق الطير وتسخيره له وغير ذلك فإن
قيل كيف استعظم الهدهد عرشها مع ما كان يرى من ملك سليمان عليه السلام حتى
قال ولها عرش عظيم قلنا يجوز أنه استصغر حالها بالنسبة إلى حال سليمان فاستعظم لها
ذلك العرش الثاني أنه يجوز أن لا يكون لسليمان مثله وإن عظمت مملكته في كل شيء كما يكون
لبعض الأمراء شيء لا يكون للملك مثله فإن قيل كيف قال الهدهد وأوتيت من كل
شيء مع قول سليمان وأوتينا من كل شيء فكأنه سوى بينهما قلنا بينهما فرق وهو أن الهدهد
أراد به وأوتيت من كل شيء من أسباب الدنيا لأنه عطفه على الملك وسليمان أراد به وأوتينا من
كل شيء من أسباب الدين والدنيا ويؤيد ذلك عطفه على المعجزة وهو منطق الطير فإن قيل
كيف سوى الهدهد بين عرشها وعرش الله تعالى في الوصف بالعظم حتى قال ولها عرش عظيم
وقال رب العرش العظيم قلنا بين الوصفين بون عظيم لأنه وصف عرشها بالعظم بالنسبة
إلى عروش أبناء جنسها من الملوك ووصف عرش الله تعالى بالعظم بالنسبة إلى ما خلق من السموات
والأرض وما بينهما فإن قيل قوله تعالى فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون إذا تولى عنهم
مستترا من حيث لا يرونه فكيف فانظر ماذا يرجعون الثاني أن فيه تقديما وتأخيرا تقديره فانظر

[illegible]

فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم فإن قيل كيف استجاز سليمان عليه السلام
تقديم اسمه في الكتاب على اسم الله تعالى حتى كتب فيه إنه من سليمان وإنه بسم
الله الرحمن الرحيم قلنا لأنه عرف أنها لا تعرف الله تعالى وتعرف سليمان فخاف
أن تستخف باسم الله تعالى إذا كان أول ما يقع نظرها عليه فجعل اسمه وقاية لاسم
الله تعالى وقيل إن اسم سليمان كان على عنوانه واسم الله تعالى كان في أول طيه
فإن قيل كيف يجوز أن يكون آصف وهو كاتب سليمان عليه السلام ووزيره وليس
بنبي يقدر على ما لا يقدر عليه النبي وهو إحضار عرش بلقيس في طرفة عين قلنا
يجوز أن يخص غير الرسول بكرامة لا يشاركه فيها الرسول كما خصت مريم بأنها
كانت ترزق من فاكهة الجنة وزكريا لم يرزق منها وكان سليمان عليه السلام
خرج مع قومه يستسقون فرأى نملة مستلقية على ظهرها رافعة قوائمها إلى
السماء تستسقي فقال لقومه ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم ولم يلزم من ذلك
فضلها على سليمان عليه السلام وقد نقل أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد الخروج
إلى الغزو قال لفقراء المهاجرين والأنصار ادعوا لنا بالنصرة فإن الله تعالى ينصرنا
بدعائكم ولم يكونوا أفضل منه عليه السلام مع أن كرامة التابع من جملة كرامات
المتبوع من وجه آخر قالوا والعلم الذي كان عنده هو اسم الله تعالى الأعظم فدعا به
فأجيب في الحال ثم قيل هو يا حي يا قيوم وقيل يا ذا الجلال والإكرام وقيل يا الله يا
رحمن وقيل يا إلهنا وإله كل شيء إلها واحدا لا إله إلا أنت فمن أخلص النية
ودعا بهذه الكلمات كلها مع استجماع شرائط الدعاء المعروفة فإنه يجاب لا محالة
فإن قيل كيف قالت وأسلمت مع سليمان وهي إنما أسلمت بعده على يديه لا معه
لأنه كان مسلما قبلها قلنا إنما عدلت عن تلك العبارة إلى هذه لأنها كانت ملكة
فلم ترد أن تذكر عبارة تدل على أنها صارت مولاة له بإسلامها على يديه وإن كان
الواقع كذلك فإن قيل كيف يكونون صادقين وقد جحدوا ما فعلوا فأتوا بالخبر
على خلاف المخبر عنه قلنا كأنهم اعتقدوا أنهم إذا اجتمعوا من البياتين ثم قالوا ما شهدنا
مهلك أهله يعنون ما شهدناه وحده كانوا صادقين لأنهم شهدوا مهلكه ومهلك
أهله فإن قيل كيف قال تعالى قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله

ونحن نعلم الجنة والنار واحوال القيامة وكلها غيب قلنا معناه لا يعلم الغيب
بلا دليل الا الله او بلا معلم الا الله او جميع الغيب الا الله وقيل معناه لا يعلم ضماير
اهل السموات والارض الا الله فان قيل قوله تعالى بل ادارك علمهم في الاخرة
او ادرك على اختلاف القراءتين هل مرجع الضمير فيه وفيما قبله واحد ام لا وكيف مطابقة
هذا الاضراب لما قبله ومطابقته لما بعده من الاضرابين وكيف وصفهم بنفي الشعور
ثم بكمال العلم ثم بالشك ثم بالعمى قلنا مرجع الضمير في قوله تعالى بل ادارك علمهم
هو الكفار فقط وفيما قبله جميع من في السموات والارض وقوله تعالى بل ادارك معناه
بل تتابع بلاحق واجتمع كقوله تعالى حتى اذا اداركوا فيها جميعا واصله تدارك التاء في الدال
وقوله تعالى بل ادرك معناه بل كمل وانتهى قال ابن عباس يريد ما جهلوه في الدنيا علموه في
الاخرة وقال السدي يريد اجتمع علمهم يوم القيامة فلم يشكوا ولم يختلفوا وقال مقاتل
يريد علموا في الاخرة ما شكوا فيه وعموا عنه في الدنيا وقوله تعالى بل هم في شك منها معناه
بل هم اليوم في شك من الساعة بل هم منها عمون جمع عمي وهو الاعمى القلب له مطابقة الاضراب
الاول لما قبله ان الذين لا يشعرون وقت البعث لما كانوا فريقين فريق منهم لا يعلمون وقت
البعث مع علمهم انه يوجد لا محالة وهم المومنون وفريق منهم لا يعلمون وقته لانكارهم اصل
وجوده افرد الفريق الثاني بالذكر بقوله تعالى بل ادارك علمهم في الاخرة تاكيدا لنفي علمهم بها في الدنيا
كانه قال تعالى بل ادارك علمهم فريق منهم لا يعلمون شيئا من امر البعث في الدنيا اصلا ثم اضرب
عن الاخبار بتتابع علمهم وتلاحقه بحقيقة البعث في الاخرة الى الاخبار عن شكهم في الدنيا
في امر البعث والساعة ثم اضرب عنه الى الاخبار عن عمى قلوبهم في امر البعث والساعة
مع قيام الادلة الشرعية على وجودها لا محالة واما وصفهم بنفي الشعور ثم بكمال العلم
ثم بالشك ثم بالعمى فلانه لا تناقض فيه لاختلاف الازمنة او لاختلاف متعلقات تلك
الامور الاربعة وهي الشعور والعلم والشك والعمى فان قيل قضاء الله تعالى
وحكمه واحد فما معنى قوله تعالى ان ربك يقضي بينهم بحكمه وهو العزيز قوله تعالى ان ربك
يقضي بينهم بقضايه او يحكم بينهم بحكمه قلنا معناه بما يحكم به وهو عدله المعروف المالوف
لانه لا يقضي الا بالعدل فسمي المحكوم به حكما وقيل معناه بحكمته ويدل عليه قراءة من قرأه
بحكمه جمع حكمة فان قيل كيف قال تعالى الم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار

مبصرا ولم يراع المقابلة بقوله تعالى والنهار ليبصروا فيه قلنا راعى المقابلة
المعنوية دون اللفظية لان معنى مبصرا ليبصروا فيه وقد سبق ما يشبه هذا في
قوله تعالى واتينا ثمود الناقة مبصرة فان قيل كيف قال تعالى ان في ذلك
لايات لقوم يومنون مع ان في ذلك علامات على وحدانية الله تعالى لجميع العقلاء
قلنا انما خصهم بالذكر لانهم هم المنتفعون بها دون غيرهم فان قيل كيف قال
تعالى ويوم ينفخ في الصور ففزع ولم يقل فيفزع وهو الظاهر مناسبة قلنا اراد بذلك
الاشعار بتحقق الفزع وثبوته وانه كائن لا محالة لان الفعل الماضي يدل على
الوجود والتحقق قطعا فان قيل كيف قال تعالى وكل اتوه داخرين اي صاغرين
اذلاء بعد البعث مع ان الانبياء والصديقين والشهداء ياتونه عزيزين مكرمين
قلنا المراد به صغار العبودية والرق وذلها لا ذل الذنوب والمعاصي وذلك
يعم الخلق كلهم ونظيره قوله تعالى ان كل من في السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا

سورة القصص

فان قيل ما فايدة وحي الله تعالى الى ام موسى بارضاعه
وهي ترضعه طبعا سواء امرت بذلك ام لا قلنا امرها بارضاعه ليالف لبنها فلا يقبل
ثدي غيرها بعد وقوعه في يد فرعون فلو لم يامرها بارضاعه ربما كانت تسترضع له
مرضعة فيفوت ذلك المقصود فان قيل كيف قال تعالى فاذا خفت عليه
فالقيه في اليم ولا تخافي والشرط الواحد اذا تعلق به جزاآن صدق قولنا اذا وجد
الشرط وجد هذا الجزاء ايهما شئت ويلزم من هذا صدق قوله تعالى فاذا خفت عليه
فالقيه في اليم فلا تخافي وانه يشبه المناقض قلنا فاذا خفت عليه من القتل فالقيه
في اليم ولا تخافي عليه من الغرق ولا تناقض بينهما فان قيل ما الفرق بين الخوف
والحزن حتى عطف احدهما على الاخر في قوله تعالى ولا تخافي ولا تحزني قلنا الخوف غم
يصيب الانسان لامر يتوقعه في المستقبل والحزن غم يصيبه لامر قد وقع ومضى
فان قيل كيف جعل موسى عليه السلام قتله القبطي الكافر من عمل الشيطان
وسماه ظلما لنفسه واستغفر منه قلنا انما جعله من عمل الشيطان لانه قتله قبل
ان يوذن له في قتله فكان ذلك ذنبا يستغفر منه مثله قال ابن جريج ليس لنبي ان يقتل
ما لم يومر فان قيل موسى عليه السلام ما سقى لابنتي شعيب طلبا للاجر فكيف

اجابت دعوتها لما قالت له ان ابى يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا **قلنا**
يجوز ان يكون قد اجاب دعوتها ودعوة ابيها لوجه الله تعالى على سبيل البر والمعروف
ابتداء لا على سبيل الاجر وان سماه هو اجرا ويؤيد هذا ما روى انه لما قدم اليه
الطعام امتنع وقال انا اهل بيت لا نبيع ديننا بطلاع الارض ذهبا ولا ناخذ على
المعروف ثمنا حتى قال له شعيب عليه السلام هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا
فان قيل كيف قال شعيب عليه السلام انى اريد ان انكحك احدى ابنتى هاتين
ومثل هذا النكاح لا يصح لجهالة المنكوحة والنبى عليه السلام لا ينكح نكاحا فاسدا ولا يعد به
قلنا انما كان ذلك وعدا بنكاح معينة عند الواعد وان كانت مجهولة عند الموعود ومثله
جائز ويكون التعيين عند انجاز الوعد كما وقع منه **فان قيل** كيف قال تعالى هنا واضمم
اليك جناحك من الرهب فجعل الجناح هنا مضموما وقال تعالى فى سورة طه واضمم يدك الى
جناحك فجعل الجناح مضموما اليه والقصة واحدة **قلنا** المراد بالجناح المضموم هنا
هو اليد اليمنى والمراد بالجناح المضموم اليه فى سورة طه ما بين العضد الى الابط من اليد اليسرى
فلا تناقض بينهما **فان قيل** ما معنى قوله تعالى واضمم اليك جناحك من الرهب **قلنا**
لما هرب من الحية امره الله تعالى ان يضم اليه جناحه ليذهب عنه الفزع وانما قال
تعالى من الرهب لانه جعل الرهب الذى اصابه علة وسببا لما امره به من ضم الجناح
وقال مجاهد من فزع من شى ضم جناحه اليه ذهب عنه الفزع وقيل حقيقة ضم الجناح
غير مراده بل هو مجاز عن تسكين الروع وتثبيت الجاش قال ابو على لم يرد به الضم بين
شيئين وانما امره بالعزم والجد فى الاتيان بما طلب منه ومثله قولهم اشدد حيازيمك
للموت ليس فيه شد حقيقة وقيل فى الاية تقديم وتاخير تقديره ولى مدبرا من
الرهب **فان قيل** اى فائدة تفيد تصديق هرون لموسى عليه السلام حتى قال
فارسله معى ردءا يصدقنى **قلنا** ليس مراده بقوله يصدقنى ان يقول له صدقت
فى دعوى الرسالة فان ذلك لا ينفعه عند فرعون وقومه الذين كانوا لا يصدقونه
مع وجود الايات الباهرة والمعجزات الظاهرة بل مراده ان يلخص بحجته بلسانه ويبسط
القول ببيانه ويجادل عنه بالحق فيكون ذلك سببا لتصديقه الا ترى الى قوله واخى هرون
هو افصح منى لسانا فارسله معى ردءا يصدقنى وفضل الفصاحة انما يحتاج اليه لما قلنا

لا لقوله صدقت فان سحبان وائل وباقلا فى ذلك سواء **فان قيل** قوله تعالى
وما كنت بجانب الغربى اذ قضينا الى موسى الامر اى احكمنا اليه الوحى مغن عن قوله
تعالى وما كنت من الشاهدين اى من الحاضرين عند ذلك **قلنا** معناه وما كنت
من الشاهدين قصته مع شعيب عليه السلام فاختلفت القضيتان **فان قيل**
كيف قال تعالى ان الله لا يهدى القوم الظالمين وكم راينا من الظالمين بالكفر والكبائر
من قد هداه الله للاسلام والتوبة **قلنا** قد سبق مثل هذا السؤال وجوابه فى سورة
المائدة **فان قيل** كيف قال تعالى وراوا العذاب لو انهم كانوا يهتدون وانما يرى
العذاب من كان ضالا لا مهتديا **قلنا** جواب لو محذوف تقديره وراوا العذاب لو انهم
كانوا مهتدين لما اتبعوهم او لما راوا العذاب **فان قيل** كيف قال تعالى فى اخر اية
الليل بضياء افلا تسمعون وقال فى اخر اية النهار بليل تسكنون فيه افلا تبصرون
قلنا السمع والابصار المذكوران لا تعلق لهما بظلمة الليل ولا بضياء النهار فلذلك
لم يقرن الابصار بالضياء وبيانه ان معنى الاول افلا تسمعون القران سماع تدبر
وتامل فتستدلوا بما فيه من الحجج على توحيد الله تعالى او لا تبصرون ما انتم عليه من الخطاء
والضلالة **فان قيل** كيف وجه صحة الاستثناء فى قوله تعالى الا رحمة من ربك **قلنا** قال
الفراء هو استثناء منقطع تقديره ولكن القى اليك رحمة من ربك اى للرحمة **سورة**
سورة العنكبوت
العنكبوت فان قيل كيف قال تعالى وما هم بحاملين من خطاياهم من شى ثم قال
وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم **قلنا** معناه وما الكافرون بحاملين شيئا من خطايا
المؤمنين التى ضمنوا حملها وليحملن الكافرون اثقال انفسهم وهى ذنوب ضلالهم واثقالا مع
اثقالهم وهى ذنوب اضلالهم غيرهم من الكفار لا خطايا المؤمنين التى نفى عنهم حملها وقد سبق
نظير هذا فى قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى فى اخر سورة الانعام وفى سورة بنى اسرائيل
فان قيل ما فائدة العدول عن قوله تعالى تسعمائة وخمسين عاما الى قوله تعالى الف سنة
الا خمسين عاما مع ان عادة اهل الحساب هو اللفظ الاول **قلنا** لما كانت القصة مسوقة
لتسلية النبى صلى الله عليه وسلم بذكر ما ابتلى نوح عليه السلام من امته وكابده من
طول مصابرتهم كان ذكر اقصى العدد الذى لا عقد اكثر منه فى مراتب العدد افخم واعظم
والمقصود من الغرض المقصود وهو استطالة السامع مدة صبره وفيه فائدة اخرى وهى نفى توهم

اراده المجاز باطلاق لفظ نسج المايدة والتحسين على الكثرة فان هذا الوهم مع ذكر الالف
والاستثناء منتف اونحو ابعد فان قيل كيف جاء المميز اولا بالسنه وثانيا
بالعام قلنا لان تكرار اللفظ الواحد مجتنب في مذهب الفصحاء والبلغاء الا لغرض
تفخيم اوتهويل اوتنويه ونحو ذلك فان قيل كيف نكر الرزق ثم عرفه في قوله تعالى ان
الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق قلنا لانه
اراد انهم لا يستطيعون ان يرزقوكم شيا من الرزق فابتغوا عند الله الرزق كله فانه هو
الرازق وحده لا يرزق غيره فان قيل كيف اضمر اسمه تعالى في قوله تعالى قل سيروا
في الارض فانظروا كيف بدا الخلق ثم اظهره في قوله تعالى ثم الله ينشئ النشاة الاخرة وكان
القياس كيف بدا الله الخلق ثم ينشا النشاة الاخرة قلنا انما عدل عن الاضمار الى التاكيد
الاخبار عن الاعادة التي كانت هي المنكرة عندهم بالافصاح باسمه تعالى في ذكرها وجعله
مبتدا لزيادة الاهتمام بشانها فان قيل كيف قال تعالى واتيناه اجره في الدنيا في معرض
المدح او في معرض الامتنان واجر الدنيا فان منقطع بخلاف اجر الاخرة فانه النعيم الباقي
المقيم فكان اولى بالذكر قلنا المراد به واتيناه اجره في الدنيا مضموما الى اجره في الاخرة
من غير ان ينقص من اجر الاخرة شيا قال ابن جرير واليه الاشارة بقوله تعالى وانه في
الاخرة لمن الصالحين يعني له في الاخرة جزاء الصالحين وافيا كاملا واجره في الدنيا قيل الثناء
الحسن من الناس والمحبة من اهل الاديان كلها وقيل هو البركة التي بارك الله فيه وفي ذريته
فان قيل كيف قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية يعنون مدينة قوم لوط عليه السلام
ولم يقولوا تلك القرية مع ان مدينة قوم لوط عليه السلام كانت بعيدة عن موضع ابرهيم
عليه السلام غايبة عنه وقت هذا الخطاب قلنا انما قالوا هذه القرية لانها كانت قريبة
فهي حاضرة بالنسبة اليهم وان كانت بعيدة بالنسبة الى ابرهيم عليه السلام فان قيل
كيف قالوا اهل هذه القرية ولم يقولوا اهل هذه القرى مع ان مداين قوم لوط كانت خمسة
فاهلكوا منها اربعة قلنا انما اقتصروا في الذكر على قرية واحدة لانها كانت اكبرها واقرب
وهي سدوم مدينة لوط فجعلوا ما وراها تبعا لها في الذكر فان قيل كيف قال تعالى
وكانوا مستبصرين اي ذوي بصاير بعقل ولا مستبصروا اذا كان عاقلا لبيبا صحيح النظر
ولو كانوا كذلك لما عدلوا عن طريق الهدى الى طريق الضلال قلنا معناه وكانوا مستبصرين

في امور الدنيا وقيل معناه وكانوا عارفين الحق بوضوح الحجج والدلايل ولكنهم كانوا ينكرونه
متابعة للهوى كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقيل معناه
كانوا مستبصرين لو نظروا نظر تدبر وتفكر فان قيل كيف قال تعالى وان اوهن
البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون وكل احد يعلم ان اضعف بيوت يتخذها
الهوام بيت العنكبوت قلنا معناه لو كانوا يعلمون ان اتخاذ الاصنام اولياء من دون
الله مثل اتخاذ العنكبوت بيتا فان قيل كيف قال تعالى ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي
هي احسن الا الذين ظلموا منهم وكل اهل الكتاب ظالمون لانهم كافرون والظلم اشد من الكفر
ويؤيده قوله تعالى والكافرون هم الظالمون قلنا المراد بالظلم هنا الامتناع عن قبول عقد
الذمة واداء الجزية او نقض العهد بعد قبوله الثاني ان هذه الاية منسوخة بقوله تعالى
قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر الاية فان قيل ما فائدة قوله تعالى ولا تخطه
بيمينك قلنا فائدته تاكيد النفي كما يقال في الاثبات للتاكيد هذا الكتاب خطه فلان
بيده وبيمينه ورايت فلانا بعيني وسمعت هذا الحديث باذني ونحو ذلك فان قيل
كيف لم يؤكد سبحانه في التلاوة ولم يقل وما كنت تتلو من قبله من كتاب بلسانك قلنا
الاصل في الكلام عدم التاكيد فكل ما جاء على الاصل لا يحتاج الى العلة وانما يحتاج الى العلة
ما جاء على خلاف الاصل فان قيل كيف قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا ومعلوم ان المجاهدة في دين الله او في حق الله مع النفس الامارة بالسوء او مع
الشيطان او مع اعداء الدين كلها كلك انما تكون بعد تقديم الهداية من الله فكيف جعل الهداية
من ثمرات المجاهدة قلنا معناه والذين جاهدوا في طلب العلم لنهدينهم سبلنا بمعرفة
الاحكام وحقايقها وقيل معناه لنهدينهم طرق الجنة وقيل معناه والذين جاهدوا في التحصيل
درجة لنهدينهم الى درجة اخرى اعلى منها وحاصله لنزيدنهم هداية وتوفيقا للخيرات
كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وقوله تعالى ويزيد الله الذين اهتدوا هدى
وقال ابو سليمان الداراني معناه والذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم الى ما لم يعلموا وعن
بعض الحكماء من عمل بما علم وفق لما لا يعلم وقيل ان الذي نرى من جهلنا بما لا نعلم هو
سورة الروم
من تقصير فيما نعلم سورة الروم فان قيل كيف ذكر الضمير
في قوله تعالى وهو اهون عليه والمراد به الاعادة لسبق قوله تعالى وهو الذي يبدا الخلق ثم يعيده

قلنا معناه ويُجعد او رَدُّه اهون عليه فاعاد الضمير على المعنى لا على اللفظ كما في
قوله تعالى لنحيي به بلدة ميتا اي بلدا او مكانا **فان قيل** كيف اخرت الصلة في قوله تعالى
وهو اهون عليه وقدمت في قوله تعالى هو علي هين **قلنا** لان هناك قصد الاختصاص
وهو محز الكلام فقيل هو علي هين وان كان مستصعبا عندكم ان يولد بين هرم
وعاقر واما هنا فلا معنى للاختصاص يجري على اصله كيف والامر مبني على ما يعقل
الناس من ان الاعادة اسهل من الابتداء فلو قدمت الصلة لتغير المعنى **فان قيل**
كيف قال تعالى وهو اهون عليه والافعال كلها بالنسبة الى قدرة الله تعالى في السهولة سواء
وانما التفاوت في السهولة والصعوبة بالنسبة الى قدرتنا **قلنا** معناه وهو هين عليه
وقد جاء في كلام العرب افعل بمعنى اسم الفاعل من غير تفضيل ومنه قولهم في الاذان
الله اكبر اي الله الكبير في قول بعضهم وقال الفرزدق ان الذي سمك السما بنى
لنا بيتا دعائمه اعز واطول اي عزيزة طويلة وقال معن بن اوس المزني
لعمرك ما ادري واني لاوجل على اينا تعدو المنية اول اي واني لوجل وقال
الاخر اصبحت امنحك الصدود وانني قسما اليك مع الصدود لاميل اي
لمائل وقال الاخر تمنى رجال ان اموت وان امت فتلك سبيل
لست فيها باوحد اي بواحد الثاني ان معناه وهو اهون عليه في تقديركم
وحكمكم لانكم تدعون وتعتقدون فيما بينكم ان الاعادة اهون من الابتداء كيف وان
الابتداء من ما والاعادة من تراب وتركيب الصورة من التراب اهون عندكم الثالث
ان الضمير في قوله تعالى عليه راجع الى المخلوق لا الى الله تعالى معناه انه لا صعوبة على
المخلوق فيه ولا ابطا لانه يعاد دفعة واحدة بقوله تعالى كن فيكون وفي الابتداء خلق نطفة
ثم نقل الى علقة ثم الى مضغة ثم الى عظام ثم الى كسوة اللحم الرابع ان الابتداء من قبيل
التفضل الذي لا يقتضي وجوبه والاعادة من قبيل الواجب لانها لا بد منها لجزاء الاعمال
وجزاؤها واجب بحكم وعد سبحانه **فان قيل** كيف معنى قوله تعالى وما اتيتم من ربوا
الاية على اختلاف القرائتين بالمد والقصر **قلنا** قال الحسن رضي الله عنه المراد به الربا
المحرم والخطاب لدافعي الربا لا لآخذيه معناه وما اعطيتم اكلة الربا من زيادة لتربوا
وتزكوا في اموالهم فلا تزكوا عند الله ولا يبارك فيها فهو نظير قوله تعالى يمحق الربى ويربي

الصدقات لا فرق بينهما وقال ابن عباس والجمهور المراد به ان يهب الرجل
غيره هبة او يهدي اليه هدية على قصد ان يعوضه اكثر منها فالواو ليس
في ذلك اجر ولا وزر وانما سماه ربا لانه مدفوع لاجتلاب الربا وهو الزيادة
وكان سببا لها فسمي باسمها ومعنى قراة المد ظاهر واما قراة القصر فمعناها
وما جيتم اي وما فعلتم من اعطاء ربا كما تقول اتيت خطاء واتيت صوابا اي فعلت
وقوله تعالى فاولئك هم المضعفون اي ذووا الاضعاف من الحسنات وهو الثقات
عن الخطاب الى الغيبة **فان قيل** ما فائدة قوله تعالى من قبله بعد قوله تعالى
من قبل ان ينزل عليهم **قلنا** فائدته التاكيد كما في قوله تعالى فسجد الملائكة كلهم
اجمعون وقيل الضمير لارسال الرياح او للسحاب فلا تكرار **فان قيل** كيف قال
الله تعالى الله الذي خلقكم من ضعف والضعف صفة الشي الضعيف فكيف
يخلق الانسان من تلك الصفة مع علمنا انه انما خلق من عين وهي الماء والتراب
لا من صفة **قلنا** اطلق المصدر وهو الضعف واراد به اسم الفاعل وهو الضعيف
كقولهم رجل عدل اي عادل ونحوه فمعناه من ضعيف وهو النطفة وقيل معناه على
ضعف فمن بمعنى على كما في قوله تعالى ونصرناه من القوم الذين كذبوا باياتنا والمراد به
ضعف حينئذ الطفل حال طفولته **فان قيل** كيف قال تعالى لقد لبثتم في كتاب الله الى
يوم البعث وهم انما لبثوا في الارض في قبورهم **قلنا** معناه لقد لبثتم في قبوركم زمانا في
علم كتاب الله او في خبر كتاب الله وقيل معناه في قضاء الله وقيل فيه تقديم وتاخير تقديره
وقال الذين اوتوا العلم في كتاب الله لقد لبثتم الى يوم البعث واراد بالذين اوتوا العلم في كتاب
الله الذين علموه وفهموه قوله تعالى ومن وراءهم برزخ الى يوم يبعثون **فان قيل** كيف قال
تعالى هنا ولا هم يستعتبون وقال تعالى في موضع اخر وان يستعتبوا فما هم من المعتبين فجعلهم
مرة طالبين الاعتاب ومرة مطلوبا منهم الاعتاب **قلنا** معنى قوله تعالى ولا هم يستعتبون
اي ولا هم يقالون عثراتهم بالرد الى الدنيا ومعنى قوله تعالى وان يستعتبوا فما هم من المعتبين
اي وان يستقيلوا فما هم من المقالين هذا ملخص الجواب وحاصله وقد اوضحنا معناه في
شرح غريب القران **سورة لقمان** **فان قيل** كيف حل سماع الغنا

سورة لقمان

بعد قوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث الاية وقد قال الواحدي في وسيطه
اكثر المفسرين على ان المراد بلهو الحديث الغناء وروى هو ايضا عن النبي صلى الله عليه
وسلم حديثا مسندا انه قال والذي نفسي بيده ما رفع رجل قط عقيرته يتغنى الا
ارتدفه شيطانان يضربان بارجلهما على ظهره وصدره حتى يسكت (اي صوته) وقال سعيد
ابن جبير ومجاهد وابن مسعود رضي الله عنهم لهو الحديث هو والله الغناء واشترا
المغني والمغنية بالمال وروى ايضا حديثا اخر عن النبي صلى الله عليه وسلم مسندا انه قال
في هذه الاية ومن الناس من يشتري لهو الحديث اللعب والباطل كثير النفقة سمح فيه
لا تطيب نفسه بدرهم يتصدق به وروى ايضا حديثا اخر مسندا عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال من ملأ مسامعه من غناء لم يؤذن له ان يسمع صوت الروحانيين يوم القيامة
قيل وما الروحانيون قال قراء اهل الجنة قال اهل المعاني ويدخل في هذا كل من اختار
اللهو واللعب والمزامير والمعازف على القران وان كان اللفظ ورد بالاشتراء لان
هذا اللفظ يذكر في الاستبدال والاختيار كثيرا وقال قتادة حسب المرء من الضلالة
ان يختار حديث الباطل على حديث الحق هذا كله نقل الواحدي رحمه الله وكان من كبار السلف
في العلم والعمل وقال غيره قال ابن عباس وابن مسعود ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة وقتادة
رضي الله عنهم المراد بلهو الحديث الغناء وعن الحسن مثله وعنه انه كل ما الهى عن الله
وفي معنى يشتري قولان احدهما انه الشراء بالمال والثاني انه الاختيار كما مر وقيل
الغناء منفدة للمال مفسدة للقلب مسخطة للرب قلنا جوابهم انهم يؤولون
هذه الاية ونظائرها وهذه الاحاديث ونظائرها فيصرفونها عن ظاهرها متابعة
للهوى وميلا الى الشهوات ولو نظروا بعقولهم فيما نشأ عن جمعيات السماع
في زماننا هذا من المفاسد لعلموا حرمته بلا خلاف بين المسلمين فان شروط اباحة
السماع عند من اباحه لا تجتمع في زماننا هذا على ما هو مسطور في كتب المشايخ وارباب الطريق
ولو اشتغلنا بتفصيل مفاسده وعدد شروطه عند من اباحه لخرجنا عن مقصود كتابنا هذا
فان قيل كيف وقع قوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه الايتان في اثناء وصية
لقمان لابنه وما الجامع بينهما قلنا هي جملة وقعت معترضة على سبيل الاستطراد تاكيدا .

لما في وصية لقمان من النهي عن الشرك فان قيل قوله تعالى حملته امه وهنا
على وهن وفصاله في عامين كيف اعترض بين الوصية ومفعولها قلنا لما
وصى بالوالدين ذكر ما تكابده الام خاصة وتعانيه من المشاق والمتاعب
تخصيصا لها بتاكيد الوصية وتذكيرا بعظيم حقها بافرادها بالذكر ومن هنا
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن قال له من ابر قال امك ثم امك ثم امك
ثم قال بعد ذلك ثم اباك فان قيل كيف قال تعالى ان انكر الاصوات لصوت الحمير
بجمع الاصوات وافراد صوت الحمير قلنا ليس المراد ذكر صوت كل واحد من
احاد هذا الجنس حتى يجمع وانما المراد ان كل جنس من الحيوان الناطق له صوت وانكر
الاصوات من هذه الاجناس صوت هذا الجنس فوجب افراده فان قيل قوله تعالى
ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام بطانقه وما في البحر من ماء مداد فكيف عدل
عنه قلنا استغنى عن ذكر المداد بقوله تعالى يمده لانه من قولك مد الدواة وامدها
فجعل البحر المحيط بمنزلة الدواة والابحر السبعة مملوءة مدادا ابدا صبا لا ينقطع
فصار نظير ما ذكرتم ونظير قوله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي الاية فان
قيل كيف قال تعالى من شجرة ولم يقل من شجر قلنا لانه اراد تفصيل الشجر
وتقصيها شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر شجرة واحدة الا وقد بريت اقلاما
فان قيل الكلمات جمع قلة والمقصود التعظيم والتفخيم فكان جمع الكثرة وهو الكلم
اشد مناسبة قلنا جمع القلة ابلغ فيما ذكرتم من المقصود لان جمع القلة اذا لم يفن
بتلك الاقلام وذلك المداد فكيف يفنى جمع الكثرة فان قيل في قوله تعالى ان الله عنده
علم الساعة الاية كيف اضاف العلم الى نفسه في الامور الثلاثة من الخمسة المغيبات
ونفى العلم عن العباد في الامرين الاخيرين مع ان الامور الخمسة سواء في اختصاص الله
تعالى بعلمها وانتفاء علم العباد بها قلنا انما خص الامور الثلاثة الاول بالاضافة اليه
تعظيما لها وتفخيما لانها اجل واعظم وانما خص الامرين الاخيرين بنفي علمهما عن العباد لانهما
من صفاتهم واحوالهم فاذا انتفى عنهم علمهما كان انتفاء علم ما عداهما من الامور الخمسة اولى
فان قيل كيف قال تعالى وما تدري نفس باي ارض تموت ولم يقل باي وقت تموت
وكلاهما غير معلوم بل نفي العلم بالزمان اولى لان من الناس من يدعي علمه وهم المنجمون

خلاف المكان فان احدا لا يدعي علمه قلنا انما خص المكان بنفي علمه لوجهين
احدهما ان الكون في مكان دون مكان في وسع الانسان واختياره فيكون اعتقاده
علم مكان الموت اقرب بخلاف الزمان الثاني ان للمكان تاثيرا في جلب الصحة
والسقم بخلاف الزمان اذ تاثير المكان في ذلك اكثر سورة السجدة فان قيل
كيف قال تعالى يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان
مقداره الف سنة مما تعدون وقال تعالى في سورة المعارج تعرج الملائكة والروح اليه
في يوم كان مقداره خمسين الف سنة قلنا المراد بالاول مسافة عروج الملك من
الارض الى السطح الاعلى من سماء الدنيا وذلك الف سنة خمسمائة سنة مسافة ما بين
السماء والارض وخمسمائة مسافة سمك سماء الدنيا والمراد بالثاني مسافة عروج الملائكة
من الارض الى العرش الثاني ان المراد بهما يوم القيامة ومقدار الف سنة
من حساب اهل الدنيا لقوله تعالى وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون ومعنى قوله
تعالى خمسين الف سنة اي لو تولى فيه حساب الخلق غير الله تعالى الثالث انه كالف سنة
في حق عوام المومنين وكخمسين الف سنة في حق الكافرين لشدة ما يكابدون فيه من
الاهوال والمحن وكساعة من ايام الدنيا في حق خواص المومنين ويويده ما روي انه قيل
يا رسول الله يوم مقداره خمسون الف سنة ما اطوله فقال عليه السلام والذي
نفسي بيده انه ليخفف على المومنين حتى يكون اخف عليه من صلوة مكتوبة يصليها
في الدنيا وروي ان ابن عباس رضي الله عنه سئل عن هاتين الايتين فقال يومان ذكرهما
الله تعالى في كتابه واني اكره ان اقول في كتاب الله تعالى بما لا اعلم فان قيل كيف قال
تعالى الذي احسن كل شيء خلقه او كل شيء خلقه على اختلاف القراءتين ومقتضى القراءتين
ان لا يكون في مخلوقات الله تعالى شيء قبيح والواقع بخلافه ولو لم يكن الا الشرور والمعاصي
فانها مخلوقة لله تعالى عند اهل السنة والجماعة مع انها قبيحة قلنا احسن بمعنى احكم
واتقن وهذا الجواب يعم القراءتين الثاني ان فيه اضمارا تقديره احسن الى كل شيء
خلقه الثالث ان احسن بمعنى علم كما يقال فلان لا يحسن شيئا اي لا يعلم وقال علي رضي الله
عنه قيمة كل امرئ ما يحسنه اي ما يعلمه فمعناه انه علم خلق كل شيء او علم كل شيء
خلقه ولم يتعلمه من احد وهذا الجواب يخص القراءة بفتح اللام فان قيل كيف قال

تعالى هنا من سلالة من ماء مهين وقال تعالى في موضع اخر من سلالة من طين
المذكور هنا صفة ذريته والمذكور هناك صفة ادم عليه السلام وعلم ذلك
من اول الايتين فلا تنافي فان قيل كيف قال تعالى ونفخ فيه من روحه والله تعالى
منزه عن الروح قلنا معناه ونفخ فيه من روح مضافة الى الله تعالى بالخلق والايجاد
لا بوجه اخر فان قيل كيف قال تعالى قل يتوفاكم ملك الموت وقال تعالى في موضع اخر
توفته رسلنا وقال تعالى في موضع اخر الله يتوفى الانفس حين موتها قلنا الله تعالى
هو المتوفي بخلق الموت وامر الوسايط بنزع الروح والملائكة المتوفون اعوان
ملك الموت وهم يجذبون الروح من الاظافير الى الحلقوم وملك الموت يتناول الروح
من الحلقوم فصحت الاضافات كلها فان قيل كيف قال تعالى انما يومن باياتنا الذين
اذا ذكروا بها خروا سجدا الاية وليس المومنون منحصرين في من هو موصوف بتلك الصفة
ولا هذه الصفة شرط في تحقق الايمان قلنا المراد بقوله تعالى اذا ذكروا بها اي
وعظوا والمراد بالسجود الخشوع والخضوع والتواضع في قبول المواعظ بايات الله تعالى
وهذه الصفة شرط في تحقق الايمان ونظيره قوله تعالى ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى
عليهم يخرون للاذقان سجدا الاية الثاني ان معناه انما يومن باياتنا ايمانا كاملا من
اتصف بهذه الصفة وقيل المراد بالايات فرائض الصلوات الخمس والمراد بالتذكير بها
بالاذان والاقامة فان قيل قوله تعالى افمن كان مومنا كمن كان فاسقا لا يستوون
يدل على ان الفاسق لا يكون مومنا قلنا الفاسق هنا الكافر بدليل قوله تعالى بعده
وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون والتقسيم يقتضي كون الفاسق المذكور
هنا كافرا لا كون كل فاسق كافرا ونظيره قوله تعالى افنجعل المسلمين كالمجرمين وقوله تعالى
ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات ولم يلزم من ذلك
ان كل مجرم كافر ولا ان كل مسيء كافر فان قيل ما فائدة العدول عن قوله تعالى انا منه
منتقمون في قوله تعالى ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه الاية قلنا لما جعله اظلم الظلمة ثم
توعد كل المجرمين بالانتقام منهم دل على ان الظالم يصيبه النصيب الاوفر من الانتقام
ولو قاله بالضمير لم تفد هذه الفائدة فان قيل قوله تعالى ويقولون متى هذا الفتح سوال
عن وقت الفتح وهذا يوم القضاء بين المومنين والكافرين يعني يوم القيامة فكيف طابق

ما بعده جوابا قلنا لما كان سوالهم سوال تكذيب واستهزاء بيوم القيامة لا سوال
استفهام أجيبوا بالتهديد المطابق للتكذيب والاستهزاء لا ببيان حقيقة الوقت
فان قيل على قول من فسر الفتح بفتح مكة او بفتح يوم بدر كيف وجه الجواب وقد نفع
بعض الكفار ايمانهم في ذينك اليومين وهم الطلقاء الذين امنوا قلنا المراد ان المقتولين سورة الاحزاب
منهم لا ينفعهم ايمانهم في حال القتل كما لم ينفع فرعون ايمانه عند ادراك الغرق سورة
الاحزاب فان قيل كيف قال تعالى يا ايها النبي ولم يقل يا محمد كما قال تعالى يا موسى
يا عيسى يا داود ونحوه قلنا انما عدل عن ندائه باسمه الى ندائه بالنبي والرسول اجلالا له
وتعظيما كما قال تعالى يا ايها النبي لم تحرم يا ايها الرسول بلغ فان قيل لو كان ذلك لما ذكر ثم
لعدل عن اسمه الى نعته في الاخبار عنه كما عدل في النداء ولم يعدل عنه في قوله تعالى
محمد رسول الله وقوله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل قلنا انما
عدل عن نعته في هذين الموضعين لتعليم الناس انه رسول الله وتلقينهم ان يسموه
بذلك ويدعوه ولذلك ذكره بنعته لا باسمه في غير هذين الموضعين من مواضع الاخبار كما
ذكره في النداء لقد جاءكم رسول من انفسكم وقال الرسول يا رب لقد كان لكم في
رسول الله اسوة حسنة والله ورسوله احق ان ترضوه النبي اولى بالمومنين من انفسهم
ان الله وملائكته يصلون على النبي ولو كانوا يومنون بالله والنبي ونظائره كثيرة فان قيل
ما فائدة ذكر الجوف في قوله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه قلنا قد سبق مثل
هذا السوال وجوابه في سورة الحج في قوله تعالى ولكن تعمى القلوب التي في الصدور فان
قيل ما معنى قولهم انت علي كظهر امي قلنا ارادوا ان يقولوا انت علي حرام كبطن
امي فكنوا عن البطن بالظهر لئلا يذكروا البطن الذي يقارب ذكره ذكر الفرج
وانما كنوا عن البطن بالظهر لوجهين احدهما انه عمود البطن ومنه قول عمر رضي الله عنه
يجي به احدهم على عمود بطنه اي على ظهره الثاني ان اتيان المراة من قبل ظهرها كان
محرما عندهم وكانوا يعتقدون انها اذا اتيت من قبل ظهرها جاء الولد احول فكان
المطلق في الجاهلية اذا قصد تغليظ الطلاق قال انت علي كظهر امي فان قيل
كيف قال الله تعالى وازواجه امهاتهم جعل ازواج النبي صلى الله عليه وسلم بمنزلة امهات
المومنين حكما وما جعل النبي عليه السلام بمنزلة ابيهم حكما حتى قال تعالى ما كان محمد ابا احد

من رجالكم قلنا اراد الله تعالى بقوله وازواجه امهاتهم ان امته يدعون ازواجه
باشرف اسماء واشرف اسماء النساء الام واشرف اسماء النبي صلى الله عليه
وسلم رسول الله لا الاب الثاني انه تعالى جعلهن امهات المومنين تحريما لهن
عليهم اجلالا وتعظيما له صلى الله عليه وسلم كيلا يطمع احد في نكاحهن فلو جعل
النبي عليه السلام ابا للمومنين لكان ابا للمومنات ايضا فلم يحل له نكاح امراة من
المومنات وذلك ينافي اجلاله وتعظيمه وقد جعله اعظم من الاب في القرب والحرمة
بقوله تعالى النبي اولى بالمومنين من انفسهم فجعله اقرب اليهم من انفسهم واحب وكثير
من الاباء يتبرأ من ابنه ويتبرأ منه ابنه وليس احد يتبرأ من نفسه فان قيل
كيف قدم النبي صلى الله عليه وسلم على نوح ومن بعده في قوله تعالى واذ اخذنا من
النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابرهيم وموسى وعيسى بن مريم قلنا لان هذا
العطف من باب عطف الخاص على العام الذي هو جزء منه لبيان التفضيل والتخصيص
بذكر مشاهير الانبياء وذراريهم فلما كان النبي صلى الله عليه وسلم افضل هولاء المفضلين
قدم عليهم وفي الميثاق الماخوذ قولان احدهما انه تعالى اخذ منهم الميثاق يوم اخذ الميثاق
بان يصدق بعضهم بعضا والثاني انه تعالى اخذ منهم الميثاق ان يوحدوا الله ويدعوا
الى توحيده ويصدق بعضهم بعضا فان قيل فكيف قدم عليه نوح عليهما السلام
في نظير هذه الاية وهي قوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك
قلنا لان تلك الاية سيقت لوصف دين الاسلام بالاصالة والاستقامة كانه قال
شرع لكم الدين الاصيل الذي بعث عليه نوح عليه السلام في العهد القديم وبعث
عليه محمد صلى الله عليه وسلم في العهد الحديث وبعث عليه من توسطهما من الانبياء
المشاهير وكان تقديم نوح عليه السلام اشد مناسبة للمقصود من سوق الاية
فان قيل ما فائدة اعادة اخذ الميثاق في قوله تعالى واخذنا منهم ميثاقا غليظا قلنا
فائدته التاكيد ووصف الميثاق المذكور اولا بالجلالة والعظم استعارة من وصف الاجرام به
وقيل ان المراد بالميثاق الغليظ اليمين بالله تعالى على الوفاء بما حملوا فلا اعادة لاختلاف
المتناقين فان قيل كيف قال الله تعالى في وصف حال المومنين التي امتن عليهم فيها
وبلغت القلوب الحناجر ولو بلغت القلوب الحناجر لماتوا ولم يبق للانسان روح قلنا قال

ابن قتيبة معناه كادت القلوب تبلغ الحناجر من الخوف فهو مثل في اضطراب
القلوب ووجيبها ورده ابن الانبارى فقال العرب لا تضمر كاد ولا يعرف معناه
ما لم ينطق به وقال الفراء معناه انهم جبنوا وجزعوا والجبان اذا اشتد خوفه انتفخت
رئته فرفعت قلبه الى حنجرته وهي جوف الحلقوم واقصاه وكذا اذا اشتد الغضب
او الغم وهذا المعنى مروي عن ابن عباس رضي الله عنه ومن هنا قيل للجبان انتفخ
سحره فان قيل كيف علق الله تعالى عذاب المنافقين بمشيئته بقوله تعالى ويعذب
المنافقين ان شاء وعذابهم متيقن مقطوع به لقوله تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل
من النار قلنا معناه ان شاء تعذيبهم باماتتهم على النفاق وقيل معناه ان شاء
ذلك وقد شاءه فان قيل ما حقيقة قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة
قلنا فيه وجهان احدهما انه نفسه اسوة حسنة اي قدوة والاسوة اسم للمتأسى به
اي المقتدى كما تقول في البيضة عشرون منا حديدا اي هي في نفسها هذا المقدار الثاني
ان فيه خصلة من حقها ان تؤتسى بها وتتبع وهي مواساته بنفسه اصحابه وصبره
على الجهاد وثباته يوم احد حتى كسرت رباعيته وشج وجهه فان قيل كيف
اظهر تعالى الاسمين مع تقدم ذكرهما في قوله تعالى ولما راى المومنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا
الله ورسوله وصدق الله ورسوله قلنا لئلا يكون الضمير الواحد عن الله تعالى وغيره
فان قيل كيف قال تعالى في وصف بني قريظة واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وارضا
لم تطؤها والله تعالى انما ملكهم ارضهم بعدما وطئوها وظهروا عليها قلنا معناه
ويورثكم بطريق وضع الماضي موضع المستقبل مبالغة في تحقق الموعود وتاكيدا الثاني ان
فيه اضمارا تقديره وارضا لم تطؤها سيورثكم اياها يعني ارض مكة وقيل ارض فارس
والروم وقيل ارض خيبر وقيل كل ارض ظهر عليها المسلمون بعد ذلك الى يوم القيامة
الثالث ان معناه واورثكم ذلك كله في الازل بكتابته لكم في اللوح المحفوظ فان قيل
كيف خص الله تعالى نساء النبي صلى الله عليه وسلم بتضعيف العقوبة على الذنب والمثوبة
على الطاعة في قوله تعالى يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة مبينة الايتان قلنا
اما تضعيف الاثم فلانهن يشاهدن من الزواجر الرادعة عن الذنوب ما لا يشاهده

غيرهن الثاني ان في معصيتهن اذى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وذنب من آذى
رسول الله اعظم من ذنب غيره والمراد بالفاحشة النشوز وسوء الخلق كذا قاله
ابن عباس رضي الله عنه واما تضعيف المثوبة فلانهن اشرف من سائر النساء بقربهن
من رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت الطاعة منهن اشرف كما كانت المعصية
منهن اقبح ونظير ذلك الوزير والبواب في طاعتهما للملك ومعصيتهما فان قيل
كيف قال تعالى يا نساء النبي لستن كاحد من النساء ولم يقل كواحدة من النساء قلنا
قد سبق هذا مرة في اخر سورة البقرة في قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله فان قيل
كيف امر الله تعالى نساء النبي صلى الله عليه وسلم بالزكوة في قوله تعالى واقمن الصلوة وآتين
الزكوة ولم يملكن نصابا حولا كاملا قلنا المراد بالزكوة هنا الصدقة النافلة والامر
ندب فان قيل ما الفرق بين المسلم والمومن حتى عطف احدهما على الاخر في قوله تعالى
ان المسلمين والمسلمات والمومنين والمومنات قلنا المراد بالمسلم الموحد بلسانه
وبالمومن المصدق بقلبه فان قيل كيف قال تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم مع انه
كان ابا للطاهر والطيب والقاسم وابراهيم قلنا قوله تعالى من رجالكم يخرجهم من
حكم النفي من وجهين احدهما انهم لم يبلغوا مبلغ الرجال بل ماتوا صبيانا والثاني انه اضاف
الرجال اليهم وهم كانوا رجاله لا رجالهم فان قيل كيف قال تعالى وخاتم النبيين
وعيسى عليه السلام ينزل بعده وهو نبي قلنا معنى كونه خاتم النبيين انه لا يتنبأ
احد بعده وعيسى ممن نبئ قبله وحين ينزل ينزل عاملا بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم
مصليا الى قبلته كانه بعض امته فان قيل قوله تعالى هو الذي يصلي عليكم معناه
يرحمكم ويغفر لكم فما معنى قوله تعالى وملائكته والرحمة والمغفرة منهم محال قلنا جعلوا لكونهم
مستجابي الدعوة بالرحمة والمغفرة كانهم فاعلوا الرحمة والمغفرة ونظيره قولهم حياك الله اي
احياك وابقاك وحيا زيد عمرا اي دعا له بان يحييه الله اتكالا منه على اجابة دعوته
ومثله قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي فان قيل قد فهم من قوله تعالى انا
ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله انه ماذون له في الدعاء الى الله فما فائدة
قوله سبحانه باذنه قلنا معناه بتسهيله وتيسيره وقيل معناه بامره لا انك تدعوهم
من تلقاء نفسك فان قيل كيف شبه الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم بالسراج

دون الشمس والشمس اتم واكمل **قلنا** قيل ان المراد بالسراج ههنا الشمس كما قال
تعالى جعل الشمس سراجا وقيل انما شبهه بالسراج لان السراج تتفرع وتتولد منه
سُرُجٌ لا تُعَدّ ولا تحصى بخلاف الشمس والنبي صلى الله عليه تفرع عنه بواسطة ارشاده
وهدايته جميعُ العلماء من عصره الى يومنا هذا وهلم جرّا الى يوم القيامة وقيل انما شبهه
بالسراج لانه بعث في زمان شبه الليل بظلمات الكفر والجهل والضلال **فان قيل**
كيف شبه تعالى بالسراج دون الشمع والشمع اشرف ونوره اتم واكمل **فان قيل**
كيف خص تعالى المؤمنات بعدم وجوب العدة في الطلاق قبل المسيس في قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن الاية مع ان حكم الكتابية كذلك **قلنا** هذا اخرج
مخرج الاغلب والاكثر لا التخصيص **فان قيل** كيف افرد سبحانه العم وجمع العمات
وافرد الخال وجمع الخالات في قوله تعالى وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك
وبنات خالاتك والمعهود في كلام العرب مقابلة الجمع بالجمع **قلنا** لان العم اسم على وزن
المصدر الذي هو الضم ونحوه وكذا الخال على وزن القال ونحوه فيستوى فيه الفرد والمسند
والجمع بخلاف العمة والخالة ونظيره قوله تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم
فان قيل هذا الجواب منقوض بقوله تعالى في سورة النور او بيوت اعمامكم او بيوت اخوالكم
قلنا العم والخال ليسا مصدرين حقيقة بل على وزن المصدر فاعتبر ههنا شبههما بالمصدر
وهناك حقيقتهما عملا بالجهتين بخلاف السمع فانه لما كان مصدرا حقيقة ما جاء قط في الكلام
العزيز الا مفردا **فان قيل** كيف ذكر الاقارب في قوله تعالى لا جناح عليهن في ابائهن
الاية ولم يذكر العم والخال وحكمهما حكم من ذكر في رفع الجناح **قلنا** قد سبق مثل هذا
السؤال وجوابه في سورة النور في قوله تعالى ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن الاية فالاولى
ان تستتر المراة عند عمها وخالها لئلا يصف محاسنها عند ابنه فيفضي الى الفتنة **فان
قيل** السادة والكبراء بمعنى واحد فكيف عطف احدهما على الاخر في قوله تعالى
انا اطعنا سادتنا وكبراءنا **قلنا** هو من باب عطف اللفظ على اللفظ المغاير له
مع اتحاد معناهما كقولهم فلان عاقل لبيب وفيه حسن جميل وقول الشاعر وهند اتى
من دونها النأى والبعد
من كذب ومين **فان قيل** المراد بالانسان ادم عليه السلام في قوله تعالى وحملها الانسان
فكيف قال سبحانه انه كان ظلوما جهولا وقوله من اوصاف المبالغة فيقتضي تكرار الظلم

والجهل منه وانه منتف **قلنا** لما كان عظيم القدر رفيع المحل كان ظلمه وجهله اقبح وافحش
فقام عُظْمُ الوصف مقام الكثرة وقد سبق نظير هذا في سورة ال عمران في قوله تعالى
وان الله ليس بظلام للعبيد وقيل انما سماه ظلوما جهولا لتعدي ضرر ظلمه وجهله
الى جميع الناس فانهم أُخرجوا من الجنة بواسطته وسُلِّط عليهم وجنوده سورة
سبا **فان قيل** كيف قال تعالى اولم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء
والارض ولم يقل الى ما فوقهم وما تحتهم من السماء والارض **قلنا** ما بين يدي الانسان
هو كل شيء يقع نظره عليه من غير ان يحول وجهه اليه وما خلفه هو كل شيء
لا يقع نظره عليه حتى يحول وجهه اليه وكان اللفظ المذكور اعم مما ذكرتم **فان قيل**
هلا ذكر سبحانه الايمان والشمائل ههنا كما ذكرها في قوله تعالى ثم لاتينهم من بين ايديهم
ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم **قلنا** لانه وُجد ههنا ما يُغني عن ذكرها
وهو لفظ العموم وذكر السماء والارض ولا كذلك ثمه **فان قيل** كيف استجاز
سليمان عليه السلام عمل التماثيل وهي التصاوير **قلنا** ان عمل الصور لم يكن محرما
في شريعته ويجوز ان تكون صور غير الحيوان كالاشجار ونحوها وذلك غير محرم
في شريعتنا ايضا **فان قيل** كيف قال تعالى لقد كان لسبا في مساكنهم اية
جنتان ولم يقل ايتان جنتان وكل جنة كانت اية اي علامة على توحيد الله تعالى
قلنا لما تماثلتا في الدلالة واتحدت جهتهما فيها جعلهما اية واحدة ونظيره قوله تعالى
وجعلنا ابن مريم وأُمّه اية **فان قيل** كيف قال تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من
دون الله اي الذين زعمتموهم الهةً من دون الله مع ان المشركين ما زعموا غير
الله الها دون الله بل مع الله على وجه الشركة **قلنا** النص لا يدل على زعمهم حصر الالهية
في غير الله اصلًا بل يوهم ذلك ولو دل فنقول فيه تقديم وتاخير تقديره قل ادعوا
الذين من دون الله زعمتم شركاء لله **فان قيل** ما معنى التشكيك في قوله وانا
او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين **قلنا** قيل ان او ههنا بمعنى الواو في الموضعين
فيصير المعنى نحن على الهدى وانتم في الضلال وقيل معناه وانا لضالون او مهتدون
وانكم كذلك وهو من التعريض بضلالهم كما يقول الرجل لصاحبه اذا اراد تكذيبه
والله ان احدنا لكاذب ويعني به صاحبه **فان قيل** كيف قالت الملائكة في جواب

المشركين بل كانوا يعبدون الجن ولم ينقل عن احد من المشركين انه عبد الجن قلنا
معناه بل كانوا يطيعون الشياطين فيما يامرونهم به من عبادتنا اكثرهم بهم مومنون
اى اكثر المشركين مصدقون بالشياطين فيما يخبرونهم به من الكذب ان الملائكة
بنات الله سورة فاطر قال قيل فى قوله تعالى والله الذى ارسل سورة فاطر
الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فاحيينا به الارض بعد موتها كيف جاء
فتثير مضارعا دون ما قبله وما بعده قلنا هو مضارع وضع موضع الماضى كما فى قوله
تعالى واذ تقول للذى انعم الله عليه قال قيل ما معنى قوله تعالى وما يعمر من معمر
قلنا معناه وما يعمر من احد وانما سماه معمرا لما هو صاير اليه قال قيل كيف قال
تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير وكم امة كانت فى الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام
ولم يخل فيها نذير قلنا اذا كانت اثار النذارة باقية لم تخل من نذير الى ان تندرس
وحين اندرست اثار نذارة عيسى بعث الله تعالى محمدا عليهما السلام قال قيل
كيف اكتفى سبحانه بذكر النذير عن البشير فى اخر الاية بعد سبق ذكرهما فى اولها قلنا
لما كانت النذارة مشفوعة بالبشارة لا محالة استغنى بذكر احدهما عن الاخر بعد سبق
ذكرهما قال قيل ما الفرق بين النصب واللغوب حتى عطف احدهما على الاخر
قلنا النصب المشقة والكلفة واللغوب الفتور الحاصل بسبب النصب فهو نتيجة
النصب لا فرق بينهما الزمخشرى ويرد على هذا ان يكون انتفاء الثانى معلوما من انتفاء
الاول قال قيل ما فائدة قوله تعالى ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل مع انه
يوهم انهم يعملون صالحا اخر غير الصالح الذى عملوه وهم ما عملوا صالحا بل سيئا قلنا
هم كانوا يحسبون انهم على سيرة صالحة كما قال تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا
معناه غير الذى كنا نحسبه صالحا فنعمله سورة يس قال قيل كيف قال سورة يس
تعالى اولا انا اليكم مرسلون وقال تعالى ثانيا انا اليكم لمرسلون قلنا لان الاول ابتداء
اخبار فلم يحتج الى التاكيد باللام بخلاف الثانى فانه جواب بعد الانكار والتكذيب فاحتاج
الى التاكيد قال قيل كيف قال تعالى يا حسرة على العباد والتحسر على الله عز وجل محال
قلنا هو تحسير للخلق معناه قولوا يا حسرتنا على انفسنا لا التحسر من الله تعالى
قال قيل كيف اضاف الفطر الى نفسه بقوله فطرنى واضاف البعث اليهم بقوله تعالى

واليه ترجعون مع علمه بان الله تعالى فطرهم وفطرهم وسوف يبعثه ويبعثهم فهلا
قال فطرنا واليه نرجع او فطركم واليه ترجعون قلنا لان الخلق والايجاد نعمة من الله
تعالى يوجب الشكر والبعث بعد الموت وعيد وتهديد يوجب الزجر وكان اضافة
النعمة الى نفسه اظهر فى الشكر واضافته البعث اليهم ابلغ فى الزجر قال قيل
كيف نفى سبحانه الادراك عن الشمس للقمر دون عكسه وهو قوله لا الشمس ينبغى لها
ان تدرك القمر قلنا لان سير القمر اسرع فانه يقطع فلكه فى شهر والشمس
لا تقطع فلكها الا فى سنة فكانت الشمس جديرة بان توصف بنفى الادراك لبطى
سيرها والقمر خليقا بان يوصف بالسبق لسرعة سيره هذا سوال الزمخشرى
وجوابه ويرد عليه ان سرعة سير القمر يناسب ان ينفى الادراك عنه لانه اذا قيل لا القمر
ينبغى له ان تدرك الشمس لا ينبغى لها مع سرعة سيره علم بالطريق الاولى ان الشمس
لا ينبغى لها ان تدرك القمر مع بطى سيرها واما اذا قيل لا الشمس ينبغى لها ان تدرك
القمر امكن ان يقال انما لم تدركه لبطى سيرها واما القمر يجوز ان تدركها لسرعة
سيره قال قيل كيف قال تعالى واية لهم اى لاهل مكة انا حملنا ذريتهم اى ذرية
اهل مكة او ذرية قوم نوح عليه السلام فى الفلك المشحون والذرية اسم للاولاد والمحمول
فى سفينة نوح عليه السلام آباء اهل مكة لا اولادهم قلنا الذرية من الاضداد
تطلق على الاباء وعلى الاولاد بدليل قوله تعالى ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابرهيم وال
عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض فوصف جميع المذكورين بكونهم ذرية وبعضهم
اباء وبعضهم ابناء فمعناه حملنا اباء اهل مكة او حملنا ابناءهم لانهم كانوا فى ظهور اباءهم
المحمولين قال قيل كيف قال تعالى ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين يعنون
الوعد بالبعث والجزاء والوعد كان واقعا لا منتظرا قلنا معناه متى انجاز هذا الوعد
وصدقه بحذف المضاف او باطلاق اسم الوعد على الموعود كضرب الامير ونسج اليمن
قال قيل قولهم من بعثنا من مرقدنا سوال عن الباعث فكيف طابقه ما بعده
جوابا قلنا معناه بعثكم الرحمن الذى وعدكم البعث وانباكم به الرسل الا انه جى به
على هذه الطريقة تبكيتا لهم وتوبيخا قال قيل كيف قال تعالى فى صفة اهل الجنة هم وازواجهم
فى ظلال والظل انما يكون حيث يكون الشمس ولهذا لا يقال لما فى الليل ظل والجنة لا يكون فيها

شمس لقوله تعالى لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً قلنا ظل أشجار الجنة من نور العرش
لئلا تنبهر أبصار أهل الجنة فإنه أعظم من نور الشمس وقيل من نور قناديل العرش
فإن قيل كيف سمى سبحانه نطق اليد كلاماً ونطق الرجل شهادة في قوله تعالى وتكلمنا
أيديهم وتشهد أرجلهم قلنا لأن اليد كانت مباشرة والرجل حاضرة وقول الحاضر على غيره
شهادة وقول الفاعل على نفسه ليس بشهادة بل إقرار لما فعل وقلت ـــ وفي الجواب نظر
فإن قيل كيف قال تعالى وما علمناه الشعر مع أنه عليه الصلاة والسلام قد روي
عنه ما هو شعر وهو قوله عليه السلام أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب وقوله
عليه السلام هل أنت إلا إصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت قلنا هذا ليس
بشعر لأن الخليل لم يعد مشطور الرجز شعراً وقد روي أنه عليه السلام قال دميت ولقيت
بفتح الياء وسكون التاء وعلى هذا لا يكون شعراً ولكن الراوي حرفه فصار شعراً الثاني
أن حد الشعر قول موزون مقفى مقصود به الشعر والقصد منتف فيما روي عنه صلى الله
عليه وسلم فكان كما يتفق وجوده في كل كلام منثور من الخطب والرسائل ومحاورات الناس
ولا يعده أحد شعراً فإن قيل كيف قال تعالى مما عملت أيدينا أنعاماً والله تعالى
منزه عن الجارحة قلنا هو كناية عن الانفراد بخلق الأنعام والاستبداد به من غير شريك
ولا معين كما يقال في الحب وغيره من أعمال القلب هذا مما عملته يداك ويقال لمن لا يد له
يداك أوكتا وكذا قوله تعالى لما خلقت بيدي فإن قيل كيف سمى قوله من يحيي العظام وهي
رميم مثلاً وليس بمثل وإنما هو استفهام إنكار قلنا سماه مثلاً لما دل عليه من قصة
عجيبة شبيهة بالمثل وهو إنكاره قدرة الله تعالى على إحياء الموتى مع أن العقل والنقل
كلاهما يشهد بقدرته على ذلك سورة الصافات فإن قيل كيف
جمع سبحانه المشارق هنا وثناها في سورة الرحمن وكيف اقتصر هنا على ذكر المشارق
وذكر ثَمَّ المغربين أيضاً وكذلك أيضاً ذكر المغارب مع المشارق مجموعين في قوله تعالى فلا أقسم
برب المشارق والمغارب وذكرهما مفردين في قوله تعالى رب المشرق والمغرب وما بينهما إن
كنتم تعقلون قلنا لأن القرآن نزل بلغة العرب على المعهود من أساليب كلامهم وفنونه
ومن أساليب كلامهم وفنونه الإجمال والتفصيل والبسط والإيجاز فأجمل تارة بقوله تعالى
رب المشرقين ورب المغربين أراد مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما على الإجمال وفصل

سورة الصافات

تارة بقوله تعالى فلا أقسم برب المشارق والمغارب أراد جميع مشارق السنة ومغاربها
وهي تزيد على ستمائة وبسط مرة بقوله تعالى فلا أقسم برب المشارق والمغارب وأوجز
واختصر مرة بقوله تعالى ورب المشارق لدلالة المذكور وهو المشارق على المحذوف وهو المغارب
وكانت المشارق أولى بالذكر لأنها أشرف إما لكون الشروق سابقاً في الوجود على
الغروب أو لأن المشارق منبع الأنوار والأضواء فإن قيل كيف خص سبحانه سماء
الدنيا بقوله تعالى إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب مع أن غير سماء الدنيا مزينة
بالكواكب أيضاً قلنا إنما خصها بالذكر لأنا نحن إنما نرى سماء الدنيا لا غير فإن قيل
كيف وجه قراءة الضم في قوله تعالى بل عجبتُ وهي قراءة علي وابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم
واختيار الفراء والتعجب روعة تعتري الإنسان عند استعظام الشيء والله تعالى
لا تجوز عليه الروعة قلنا أراد بالتعجب الاستعظام وهو جائز من الله تعالى كما استعظم
كيد النساء وإنكار الكفار معجزات الأنبياء الثاني أن معناه قل يا محمد بل عجبتُ وكان
شريح يقرأ بالفتح ويقول إن الله تعالى لا يعجب من شيء وإنما يعجب من لا يعلم فقال
إبراهيم النخعي إن شريحاً كان يعجبه علمه وعبد الله أعلم منه وكان يقرأ بالضم
يريد عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال الزجاج وإنكار هذه القراءة غلط لأن
العجب من الله تعالى خلاف العجب من الآدميين ونظيره قوله تعالى ومكروا ومكر الله وقوله
سخر الله منهم وما أشبهه وفي الذي وقع منه العجب قولان أحدهما كفرهم بالقرآن والثاني
إنكارهم البعث فإن قيل كيف مدح سبحانه نوحاً عليه السلام بقوله تعالى إنه من
عبادنا المؤمنين مع أن مرتبة الرسل فوق مرتبة المؤمنين قلنا إنما مدحه بذلك تنبيهاً
لنا على جلالة محل الإيمان وشرفه وترغيباً في تحصيله والثبات عليه والازدياد منه كما قال تعالى
في مدح إبراهيم عليه السلام وإنه في الآخرة لمن الصالحين فإن قيل كيف قال تعالى فنظر نظرة
في النجوم والنظر إنما يتعدى بإلى قال الله تعالى ولكن انظر إلى الجبل وقال فانظر إلى آثار رحمة الله
قلنا في هنا بمعنى إلى كما في قوله تعالى فردوا أيديهم في أفواههم الثاني أن المراد به نظر الفكر
لا نظر العين ونظر الفكر إنما يتعدى بفي قال الله تعالى أولم ينظروا في ملكوت السموات
والأرض فصار المعنى فكر في علم النجوم أو في أحوال النجوم فإن قيل كيف استجاز إبراهيم
عليه السلام أن يقول إني سقيم ولم يكن سقيماً قلنا معناه سأسقم كما في قوله تعالى إنك ميت

هو من معاريض الكلام قاله ليتخلف عنهم اذا خرجوا الى عيدهم فيكيد اصنامهم
وقال ابن الانبارى اعلمه الله تعالى انه يمتحنه بالسقم اذا طلع نجم كذا فلما راه علم انه
سيسقم وقيل معناه انى سقيم القلب عليكم اذ عبدتم الاصنام وتكهنتم بنجوم
لا تضر ولا تنفع وقيل انه عرض له مرض وكان سقيما حقيقة وقال الزمخشرى
وقد جوز بعض الناس الكذب فى المكيدة فى الحرب والتقية وارضا الزوج والصلح
بين المتخاصمين والمتهاجرين قال والصحيح ان الكذب حرام الا اذا عرض وورى
وابرهيم عليه السلام عرض بقوله وورى وانه اراد ان من فى عنقه الموت
سقيم كما قيل كفى بالسلامة داء وقال لبيد ودعوت ربى بالسلامة جاهدا
ليصحنى فاذا السلامة داء وروى ان رجلا مات فجاءة فاجتمع عليه الناس
وقالوا مات وهو صحيح فقال اعرابى اصحيح من الموت فى عنقه **فان قيل**
لم لا يجوز النظر فى علم النجوم مع ان ابرهيم عليه السلام قد نظر فيه وحكم منه **قلنا**
انما كان المنجم كابرهيم عليه السلام فى ان الله تعالى اراه ملكوت السموات والارض ابيح له
النظر فى علم النجوم والحكم منه **فان قيل** قوله تعالى فراغ عليهم ضربا باليمين
فاقبلوا اليه يزفون اى يسرعون يدل على انهم عرفوا انه هو الكاسر لها وقوله تعالى فى
سورة الانبياء قالوا من فعل هذا بالهتنا وما بعده يدل على انهم ما عرفوا انه الكاسر
لها فكيف التوفيق بينهما **قلنا** يجوز ان يكون الذى عرفه وزف اليه بعضهم والذى جهله
وسال عنه بعض اخر ويجوز ان الكل جهلوه وسالوا عنه فلما عرفوا انه الكاسر لها زفوا
اليه كلهم **فان قيل** ما معنى قوله عليه السلام انى ذاهب الى ربى **قلنا** معناه الى
حيث امرنى ربى بالمهاجرة وهو الشام وقيل الى طاعة ربى ورضاه وقيل الى ارض ربى
وانما خصها بالاضافة الى الله تعالى تشريفا لها وتفضيلا لانها ارض مقدسة مباركة
فيها للعالمين كما فى قوله تعالى وان المساجد لله وقوله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على
الارض هونا **فان قيل** ما معنى قوله عليه السلام سيهدين وهو كان مهتديا **قلنا**
معناه سيثبتنى على ما انا عليه من الهدى ويزيدنى هدى وقيل معناه سيهدين
الى الجنة وقيل الى الصواب فى جميع احوالى ونظيره قول موسى عليه السلام كلا ان معى ربى سيهدين
فان قيل كيف شاور ابرهيم ولده عليهما السلام فى ذبحه بقوله فانظر ماذا ترى مع انه

كان

كان حتما على ابرهيم لانه امر به لان معنى قوله انى ارى فى المنام انى اذبحك انه امر بذبحه
فى المنام ورويا الانبياء حق فاذا راوا شيئا فى المنام فعلوه فى اليقظة كذا قاله قتادة والدليل على
ان منامه كان وحيا بالامر بالذبح قوله يا ابت افعل ما تؤمر **قلنا** لم يشاوره ليرجع الى
رايه فى ذلك ولكن ليعلم ما عنده من الصبر فيما نزل به من بلاء الله تعالى فيثبت قدمه
ان جزع ويامن عليه الزلل ان صبر وسلم وليعلم القصد فيوطن نفسه على الذبح ويهونه
عليها فيلقى البلاء وهو كالمستانس به ويكتسب الثواب بالانقياد لامر الله تعالى قبل
نزوله وليكون سنة فى المشاورة وقد قيل لو شاور آدم الملائكة فى اكل الشجرة لما فرط منه
ذلك **فان قيل** كيف قيل له قد صدقت الرويا وانما يكون مصدقا لها لو وجد منه الذبح
ولم يوجد **قلنا** قد فعلت غاية ما فى وسعك مما يفعله الذابح من الالقاء والذبح وامرار
الشفرة على حلقه ولكن الله تعالى منع الشفرة ان تقطع وقيل ان الذى راه فى المنام معالجة
الذبح فقط لا اراقة الدم وقد فعل ذلك فى اليقظة فكان مصدقا للرويا **فان قيل** اين
جواب لما فى قوله تعالى فلما اسلما **قلنا** قيل هو محذوف تقديره استبشرا واغتبطا وشكرا
الله تعالى على ما انعم به عليهما من الفداء وتقديره سعدا واجزل ثوابهما وقيل الجواب
هو قوله تعالى وناديناه والواو زائدة كما فى قول امرئ القيس فلما اجزنا ساحة الحى
وانتحى بنا بطن خبت ذى حقاف عقنقل اى فلما اجزنا ساحة الحى انتحى كذا نقله
ابن الانبارى فى شرحه **فان قيل** كيف قال تعالى فى اخر قصة ابرهيم عليه السلام كذلك نجزى
المحسنين وفى غيرها من القصص قبلها وبعدها انا كذلك نجزى المحسنين **قلنا** لما سبق
فى قصة ابرهيم عليه السلام مرة انا كذلك نجزى المحسنين طرحه فى الثانى تخفيفا واختصارا واكتفا
بذكره مرة بخلاف ساير القصص **فان قيل** كيف قال تعالى وان لوطا لمن المرسلين
اذ نجيناه واهله اجمعين وهو كان من المرسلين قبل زمان التنجية **قلنا** قوله تعالى اذ نجيناه
لا يتعلق بما قبله بل يتعلق بمحذوف تقديره واذكر لهم يا محمد اذ نجيناه او وانعمنا عليه اذ نجيناه
وكذا السوال فى قوله تعالى وان يونس لمن المرسلين اذ ابق الى الفلك المشحون **فان قيل** كيف
قال تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون واو كلمة شك والشك على الله تعالى محال
قلنا قيل او هنا بمعنى بل فلا شك وقيل بمعنى الواو كما فى قوله تعالى او لمستم النساء وقوله تعالى
عذرا او نذرا وقيل معناه او يزيدون فى تقديركم فلو رآهم احدكم لقال هم مائة الف او يزيدون

فالشك انما دخل في حكاية قول المخلوقين ونظيره قوله تعالى فكان قاب قوسين
او ادنى فان قيل ما فائدة تكرار الامر بالتولية والابصار قلنا فائدته تاكيد
التهديد والوعيد فان قيل كيف قال تعالى اولا وابصرهم ثم قال ثانيا وابصر
قلنا طرح ضمير المفعول تخفيفا واختصارا واكتفاء بسبق ذكره مرة وقيل معنى الاول
وابصرهم اذا نزل بهم العذاب ومعنى الثاني وابصر العذاب اذا نزل بهم ولا فرق بينهما
في المعنى سورة ص فان قيل اين جواب القسم في قوله تعالى ص سورة ص
والقران ذي الذكر قلنا فيه وجوه احدها انه لما ذكر حرفا من حروف المعجم على سبيل
التحدي والتنبيه على الاعجاز كما قيل في كل سورة مفتتحة بحرف اتبعه القسم محذوف
الجواب لدلالة التحدي عليه كانه قال والقران ذي الذكر انه لكلام معجز وكذلك
اذا كان الحرف مقسما به كانه قال اقسمت بص والقران ذي الذكر انه لكلام معجز
الثاني ان ص خبر مبتدا محذوف على انه اسم للسورة كانه قال هذه ص يعني هذه
السورة التي اعجزت العرب والقران ذي الذكر كما تقول هذا حاتم والله تريد هذا هو
المشهور بالسخاء والله الثالث ان جواب القسم كم اهلكنا واصله لكم اهلكنا فلما طال
الكلام حذفت اللام تخفيفا كما في قوله تعالى والشمس وضحيها قد افلح من زكيها الرابع انه
قوله تعالى ان ذلك لحق تخاصم اهل النار وهو قول الكسائي قال الفراء وهذا لا يستقيم
في العربية لتاخره جدا عن القسم فان قيل ما وجه المناسبة والارتباط بين قوله
تعالى اصبر على ما يقولون وبين قوله تعالى واذكر عبدنا داود قلنا وجه المناسبة بينهما
انه امر بان يتقوى على الصبر بذكر قوة داود على العبادة والطاعة الثاني ان المعنى
عندهم ان داود عليه السلام مع كرامته وشهرة طاعته وعبادته التي منها صوم يوم
دون يوم وقيام نصف الليل كان شديد الخوف من عذابي لا يزال باكيا مستغفرا
فكيف حال هؤلاء مع افعالهم فان قيل كيف قال الملكان لما دخلا على داود عليه
السلام خصمان بغى بعضنا على بعض والملائكة لا يوجد منهم البغي والظلم وكيف ان هذا
اخي له تسع وتسعون نعجة الى اخره ولم يكن كما قال قلنا انما قالا ذلك على طريق الفرض
والتصوير للمسالة ومثل ذلك لا يعد كذبا كما تقول في تصوير المسائل زيد له اربعون
شاة وعمرو له اربعون وانت تشير اليهما فخلطاها وحال عليهما الحول كم يجب فيهما وليس لهما

شيء وتقول لي اربعون شاة ولك اربعون فخلطناها وما لكما شيء فان قيل كيف
حكم داود عليه السلام على المدعى عليه بكونه ظالما قبل ان يسمع كلامه قلنا لم يحكم عليه
الا بعد اعترافه لانه نقل السدي الا انه حذف ذكر الاعتراف في القصة اختصارا لدلالة
الحال عليه كما تقول العرب امرته بالتجارة فكسب الاموال اي فاتجر فكسب الاموال
فان قيل ما معنى تكرار الحب في قوله عليه السلام احببت حب الخير وما معنى تعديته
بعن وظاهره احببت حبا مثل حب الخير كما تقول احببت حب زيد اي احببت حبا
مثل حب زيد قلنا احببت في الاية بمعنى آثرت كما تقول المخير بين الشيئين احببت
هذا اي آثرته وقد جاء استحب بمعنى آثر قال الله عز وجل واما ثمود فهديناهم
فاستحبوا العمى على الهدى اي آثروه لان من احب شيئا فقد آثره على غيره وعن
بمعنى على كما في قوله تعالى ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه فصار المعنى اني آثرت حب
الخيل على ذكر ربي الثاني وهو اختيار الجرجاني صاحب معاني القران اني احببت
بمعنى قعدت وتاخرت ماخوذ من احب الجمل اذا برك ومنه قول الشاعر :
دعتك اليها مقلتاها وجيدها فملت كما مال المحب على عمد فالمحب هنا الجمل
والعمد علة تكون في سنام الجمل وكل من ترك شيئا يحب ان يفعله فقد قعد عنه فتاويل
الاية اني قعدت عن ذكر ربي لحب الخير فيكون انتصاب حب على انه مفعول له فان قيل
كيف قال سليمان عليه السلام وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي وهذا يشبه الحسد
والبخل بنعم الله تعالى على عبيده بما لا يضر سليمان عليه السلام قلنا قال الحسن وقتادة
رضي الله عنهما المراد به لا ينبغي لاحد ان يسلبه مني في حياتي كما فعل الشيطان الذي
لبس خاتمه وجلس على كرسيه الثاني ان الله تعالى علم انه لا يقوم غيره من عباده بمصالح
ذلك الملك واقتضت حكمته تخصيصه به الثالث انه اراد بذلك ملكا عظيما فعبر
فالهمه ان ساله تخصيصه به
عنه بتلك العبارة ولم يقصد بذلك الا عظم الملك وسعته كما تقول لفلان ما ليس لاحد
من الفضل ومن المال وتريد بذلك عظم فضله وماله وان كان في الناس امثاله فان قيل
كيف قال تعالى في وصف ايوب عليه السلام انا وجدناه صابرا مع ان الصبر هو ترك الشكوى
من الم البلوى على ما قيل وهو قد شكا قلنا الشكوى الى الله عز وجل لا ينافي الصبر ولا تسمى
جزعا لما فيها من اظهار الخضوع والعبودية لله تعالى والافتقار اليه ويؤيده قول يعقوب

عليه السلام انما اشكوا بثي وحزني الى الله مع قوله فصبر جميل وقولهم الصبر ترك
الشكوى يعني الى العباد الثاني انه عليه السلام انما طلب الشفاء من الله تعالى بعد ما لم يبق
منه الا قلبه ولسانه خيفة على قومه ان يفتنهم الشيطان بما كان يوسوس اليهم به
ويقول انه لو كان ايوب نبيا لما ابتلي بما هو فيه ولدعا الى الله تعالى بكشف ضره وروي
انه عليه السلام قال في مناجاته الهي قد علمت انه لم يخالف لساني قلبي ولم يتبع قلبي
بصري ولم يلهني ما ملكت يميني ولم آكل الا ومعي يتيم ولم ابت شبعان ولا كاسيا
ومعي جايع او عريان فكشف الله تعالى ضره **فان قيل** قوله تعالى وان عليك لعنتي
الى يوم الدين يدل على ان غاية لعنة الله تعالى لابليس هي يوم القيامة ثم تنقطع **قلنا**
كيف تنقطع وقد قال تعالى فاذن مؤذن بينهم يعني يوم القيامة ان لعنة الله على الظالمين
وابليس اظلم الظلمة ولكن مراده في الاية ان عليه اللعنة في طول مدة الدنيا فاذا كان يوم القيامة
اقترن له باللعنة من انواع العذاب ما تنسى عنده اللعنة فكانها انقطعت **سورة الزمر**

سورة الزمر

فان قيل كيف قال تعالى ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار وكم من كاذب كفار
قد هداه الله تعالى فاسلم وصدق **قلنا** معناه لا يهديه الى الايمان ما دام على كفره وكذبه
وقيل معناه لا يهديه الى حجة يلزم بها المؤمنين **فان قيل** كيف يصح قوله تعالى لو اراد
الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء ردا لقول من ادعى ان له ولدا وابطالا لذلك
مع ان كل من نسب اليه ولدا قال انه اصطفاه من خلقه بجعله ولدا فاليهود يدعون
انه عزير والنصارى يدعون انه المسيح وطائفة من مشركي العرب يدعون ان
الملائكة بنات الله تعالى **قلنا** هذا ان جعل ردا على اليهود والنصارى كان معناه
لاصطفى الولد من الملائكة لا من البشر لان الملائكة اشرف من البشر بلا خلاف من اليهود
والنصارى وان كان ردا على مشركي العرب كان معناه لاصطفى له ولدا من جنس
يخلق كل شي يريده ليكون ولده موصوفا بصفته ولم تصطف من الملائكة الذين لا يقدرون
على الايجاد بعوضه ولا يرد على هذا خلق عيسى عليه السلام الطير لانه ليس بخالق اولانه
بمعنى التقدير من الطين ثم الله تعالى يخلقه حيوانا بنفخ عيسى اظهارا لمعجزته **فان قيل**
كيف قال تعالى خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وخلق حوا من ادم عليه السلام سابق
على خلقنا منه فكيف عطف عليه بكلمة ثم **قلنا** ثم هنا للعطف في الاخبار لا في الايجاد كما يقول

لصاحبك

لصاحبك اعطيتك اليوم كذا ثم اعطيتك امس اكثر منه اي ثم اخبرك بكذا ومنه قول
الشاعر ان من ساد ثم ساد ابوه ثم قد ساد قبل ذلك جده الثاني ان ثم متعلق
بمعنى واحد وعاطفة عليه لا على خلقكم معناه خلقكم من نفس وحدت وافردت
بالايجاد ثم شفعت بزوج الثالث ان ثم على ظاهرها لان الله تعالى خلق ادم ثم اخرج
اولاده من ظهره كالذر واخذ عليهم الميثاق ثم ردهم الى ظهره ثم خلق منه حوا فالمراد
بقوله تعالى خلقكم خلقنا يوم اخذ الميثاق دفعة واحدة لا هذا الخلق الذي نحن فيه الآن
بالتوالد والتناسل **فان قيل** كيف قال تعالى وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج مع
ان الانعام مخلوقة في الارض لا منزلة من السماء **قلنا** قيل ان الله تعالى خلق الازواج الثمانية
في الجنة ثم انزلها على ادم عليه السلام بعد انزاله الى الارض الثاني ان الله تعالى انزل
الماء من السماء والانعام لا توجد الا بوجود النبات والنبات لا يوجد الا بوجود الماء وكان
الانعام منزلة من السماء ونظيره قوله تعالى يا بني ادم قد انزلنا عليكم لباسا يواري
سواتكم وانما انزل الماء الذي لا يوجد القطن والكتان والصوف الا به **فان قيل**
كيف قال تعالى في وصف الذي جاء بالصدق وصدق به ليكفر الله عنهم اسوا الذي عملوا ويجزيهم
اجرهم باحسن الذي كانوا يعملون مع انه سبحانه وتعالى يكفر عنهم سيئ اعمالهم ويجزيهم بحسنها
ايضا **قلنا** قد سبق مثل هذا السوال وجوابه في سورة التوبة **فان قيل** كيف قال تعالى
قل لله الشفاعة جميعا مع انه جاء في الاخبار ان للانبياء والعلماء والشهداء والاطفال
شفاعة يوم القيامة **قلنا** معناه ان احدا لا يملكها الا بتمليكه كما قال تعالى من ذا الذي
يشفع عنده الا باذنه وقال تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى **فان قيل** كيف ذكر الضمير
في اوتيته وهو للنعمة في قوله تعالى ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما اوتيته **قلنا** انما ذكره نظرا
الى المعنى لان معنى نعمة منا شيئا من النعمة وقسما منها اولان النعمة والانعام بمعنى واحد
فان قيل كيف قال تعالى واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم والقران كله حسن **قلنا**
معناه واتبعوا الحسن وحيا او كتابا انزل اليكم من ربكم وهو القران كله وقيل احسن القران
الايات المحكمات وقيل احسنه كل اية تضمنت امرا بطاعة واحسان وقد مر نظير هذه الاية
في سورة الاعراف في قوله تعالى وامر قومك ياخذوا باحسنها والاجوبة المذكورة ثم تصلح هنا وكذا
الاجوبة المذكورة هنا تصلح ثم الا الجواب الاول **فان قيل** كيف قال تعالى ولقد اوحي اليك

والى الذين من قبلك لئن اشركت مع ان الوحى اليهم جماعة ولما اوحى الى من قبله لم يكن فى الوحى
اليهم خطابه **ولنا** معناه ولقد اوحى الى كل واحد منك ومنهم لئن اشركت الثانى ان فيه اضمارا
تقديره ولقد اوحى اليك والى الذين من قبلك التوحيد ثم ابتدا وقال لئن اشركت الثالث
ان فيه تقديما وتاخيرا تقديره ولقد اوحى اليك لئن اشركت وكذلك اوحى الى الذين من قبلك
فان قيل كيف عبر سبحانه عن الذهاب باهل الجنة والنار بلفظ السوق وفيه نوع اهانة
قلنا المراد بسوق اهل النار طردهم اليها بالهوان والعنف كما يفعل بالاسارى والخارجين
على السلطان اذا سيقوا الى حبس او قتل والمراد بسوق اهل الجنة سوق مراكبهم حثا واسراعا
بهم الى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين على السلطان فشتان
ما بين السوقين **فان قيل** كيف قال تعالى فى صفة النار فتحت ابوابها بغير واو وقال فى
صفة الجنة وفتحت ابوابها بالواو **قلنا** فيه وجوه احدها انها زائدة قاله الفراء وغيره الثانى
انها واو الثمانية وابواب الجنة ثمانية الثالث انها واو الحال معناه جاؤها وقد فتحت
ابوابها قبل مجيئهم بخلاف ابواب النار فانها انما فتحت عند مجيئهم والحكمة فى ذلك من وجوه احدها
ان يتعجل اهل الجنة الفرح والسرور اذا راوا الابواب مفتحة واهل النار يأتوا النار
وابوابها مغلقة لتكون اشد لحرها الثانى ان الوقوف على الباب المغلق نوع ذل وهوان
فصين عنه اهل الجنة لا اهل النار الثالث ان الكريم يعجل المثوبة ويوخر العقوبة
فلو وجد اهل الجنة بابها مغلقا لاثر انتظار فتحه فى كمال الكرم بخلاف اهل النار **سورة
المومن فان قيل** كيف قال تعالى ما يجادل فى ايات الله الا الذين كفروا مع ان
الذين امنوا ايضا يجادلون فيها هل هى منسوخة ام محكمة وهل فيها مجاز ام كلها حقيقة وهل
هى مخلوقة ام قديمة وغير ذلك **قلنا** المراد الجدال فيها بالتكذيب ودفعها بالباطل والطعن
بقصد ادحاض الحق واطفاء نور الله تعالى ويدل عليه قوله تعالى عقيبه وجادلوا بالباطل
ليدحضوا به الحق **فان قيل** ما فائدة قوله تعالى فى وصف حملة العرش ويومنون به ولا يخفى
على احد ان حملة العرش يومنون بالله تعالى **قلنا** فائدته اظهار شرف الايمان وفضله والترغيب
فيه كما وصف الانبياء عليهم السلام بالصلاح والايمان فى غير موضع من كتابه لذلك وكما عقب
اعمال الخير بقوله تعالى ثم كان من الذين امنوا **فان قيل** فى قوله تعالى قالوا ربنا امتنا اثنتين
واحييتنا اثنتين كيف صح ان يسمى خلقهم امواتا اماتة **قلنا** هذا كما تقول سبحان من

سورة المؤمن

صغر جسم البعوضة وكبر جسم الفيل وكما تقول للحفار ضيق فم الركية ووسع اسفلها
وليس فيهما نقل من كبر الى صغر ولا من صغر الى كبر ولا من سعة الى ضيق ولا من ضيق
الى سعة وانما اردت الانشاء على تلك الصفات والسبب فى صحته ان الصغر والكبر
جائزان معا على ذات المصنوع الواحد من غير ترجح لاحدهما وكذلك الضيق والسعة
فاذا اختار الصانع احد الجائزين وهو متمكن منهما على السواء فقد صرف المصنوع عن الجائز
الاخر فجعل صرفه عنه كنقله منه **فان قيل** قوله تعالى لا يخفى على الله منهم شئ بيان
وتقرير لبروزهم فى قوله تعالى يوم هم بارزون والله تعالى لا يخفى عليه منهم شئ برزوا او لم يبرزوا
قلنا معناه لا يخفى على الله منهم شئ فى اعتقادهم ايضا فانهم كانوا فى الدنيا يتوهمون انهم
اذا استتروا بالحيطان والحجب لا يراهم الله وتويده قوله تعالى ولكن ظننتم ان الله لا يعلم
كثيرا مما تعملون **فان قيل** كيف قال المومن فى حق موسى عليه السلام وان يك صادقا
يصبكم بعض الذى يعدكم مع انه صادق فى زعم القائل لهذا القول وفى نفس الامر ايضا ويلزم
من ذلك ان يصيبهم جميع ما وعدهم **قلنا** فيه وجوه احدها ان لفظة بعض صلة الثانى
انها بمعنى كل كما فى قول الشاعر ان الامور اذا الاحداث دبرها دون الشيوخ
ترى فى بعضها خللا ومنه قول لبيد او لم تكن تدرى نوار باننى وصال
عقد حبايل جذامها تراك امكنة اذا لم ارضها او يرتبط بعض النفوس
حمامها قلت ولقائل ان يقول ان لفظ بعض فى البيتين على حقيقتها وعنى لبيد ببعض
النفوس عن نفسه كانه قال اتركها الى ان اموت ولذا قدح ابن الانبارى على ان ابا عبيدة
قال ان بعضا فى الاية بمعنى كل واستدل ببيت لبيد وانكر الزمخشرى على ابى عبيدة
هذا التفسير على ان غير ابى عبيدة قد قال فى قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام ولابين
لكم بعض الذى تختلفون فيه ان بعضا فيه بمعنى كل الثالث انها على اصلها ثم
فى ذلك وجهان احدهما انه وعدهم النجاة ان امنوا والهلاك ان كفروا فذكر لفظ بعض
لانهم على احدى الحالتين لا محالة الثانى انه وعدهم على كفرهم الهلاك فى الدنيا والعذاب
فى الاخرة وكان هلاكهم فى الدنيا بعضا فمراده يصيبكم فى الدنيا بعض الذى يعدكم الرابع
انه ذكر البعض بطريق التنزل والتلطف وامحاض النصيحة من غير مبالغة ولا تاكيد
ليسمعوا منه ولا يتهموه فيردوا عليه وينسبوه الى ميل ومحاباة لموسى عليه السلام كانه قال

او يعلق

اقل ما يصيبكم البعض وفيه كفاية وبطن قول الشاعر قد يدرك المتأني
بعض حاجته وقد يكون من المستعجل الزلل كانه قال اقل ما يكون في التأني
ادراك بعض المطلوب واقل ما يكون في الاستعجال الزلل فقد ابان فضل التأني
على العجلة بما لا يقدر الخصم على دفعه ورده والوجه الرابع هو اختيار الزمخشري فان قيل
التولي والادبار واحد فما فائدة قوله تعالى يوم تولون مدبرين قلنا هو تاكيد كقوله تعالى فخر
عليهم السقف من فوقهم ونظايره كثيرة الثاني انه استثارة لحميتهم واستجلاب
لانفتهم لما في لفظ مدبرين من التعريض بذكر الدبر فصير نظير قوله تعالى ويولون
الدبر فان قيل ما فائدة التكرار في قوله عز وجل ابلغ الاسباب اسباب السموات وهلا
قال لعلي ابلغ اسباب السموات اي ابوابها وطرقها قلنا اذا ابهم الشيء ثم اوضح كان
تفخيما لشانه وتعظيما لمكانه فلما اراد تفخيم ما امل بلوغه من اسباب السموات
ابهمها ثم اوضحها فان قيل مثل السيئة سيئة فما معنى قوله تعالى من عمل سيئة فلا يجزى
الا مثلها قلنا معناه ان جزاء السيئة له حساب وتقدير لئلا يزيد على المقدار المستحق
فاما جزاء العمل الصالح فبغير تقدير وحساب كما قال تعالى في اخر الاية يرزقون فيها
اي في الجنة فان قيل قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ينافي ذلك قلنا ذلك لمنع
النقصان لا لمنع الزيادة كما قال تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة فان قيل كيف قال
تعالى وقال الذين في النار لخزنة جهنم ولم يقل وقال الذين في النار لخزنتها قلنا لان
في ذكر جهنم تهويلا وتفظيعا وقيل ان جهنم هي ابعد النار قعرا وخزنتها اعلا الملائكة
الموكلين بالنار مرتبة فانما قصدهم اهل النار بطلب الدعاء منهم لذلك فان قيل
كيف قال المشركون بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا مع قولهم هؤلاء الذين كنا ندعوا من
دونك قلنا معناه ان الاصنام التي كنا نعبدها لم تكن شيئا لانها لا تضر ولا تنفع
الثاني انهم قالوا ذلك جحودا كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين فان قيل كيف قال
تعالى وعلى الفلك تحملون ولم يقل وفي الفلك كما قال تعالى قلنا احمل فيها من كل زوجين
اثنين قلنا معنى الوعاء ومعنى الاستعلاء كلاهما صحيح في الفلك لانه وعاء لمن
يكون فيه وحمولة لمن يستعليه فلما صح المعنيان استقامت العبارتان معا سورة
السجدة فان قيل ما فائدة زيادة من في قوله تعالى ومن بيننا وبينك حجاب

سورة السجدة

مع ان المعنى حاصل بقوله تعالى وبيننا وبينك حجاب قلنا لو قيل كذلك لكان المعنى
ان حجابا حاصل وسط الجهتين واما بزيادة من فمعناه ان الحجاب ابتداؤه منا ومنك
فالمسافة المتوسطة بيننا وبينك مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها فان قيل قوله تعالى
ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين الى قوله تعالى فقضاهن سبع سموات
في يومين يدل على ان السموات والارض وما بينهما خلقت في ثمانية ايام وقال تعالى
في سورة الفرقان الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام فكيف التوفيق
بينهما قلنا معنى قوله تعالى في اربعة ايام في تتمة اربعة ايام لان اليومين الذين
خلق فيهما الارض من جملة الاربعة او معناه وكل ذلك في اربعة ايام يعني خلق الارض
وما ذكر بعده فصار المجموع ستة وهذا الاختلاف فيه بين المفسرين فان قيل
السموات وما فيها اعظم من الارض وما فيها باضعاف مضاعفة فما الحكمة في ان الله
تعالى خلق الارض وما فيها في اربعة ايام والسموات وما فيها في يومين قلنا لان
السموات وما فيها من عالم الغيب ومن عالم الملكوت ومن عالم الامر والارض
وما فيها من عالم الشهادة والملك والخلق والاول اسرع من الثاني ووجه اخر
وهو انه تعالى فعل ذلك لنعلم ان الخلق على سبيل التدريج والتمهل في الارض وما فيها
لم يكن للعجز عن خلقها دفعة واحدة بل كان لمصالح لا تحصل الا بذلك ولهذه الحكمة
خلق العالم الاكبر في ستة ايام والعالم الاصغر وهو الانسان في ستة اشهر
فان قيل كيف قال تعالى في وصف اهل النار فان يصبروا فالنار مثوى لهم
مع انهم ان لم يصبروا على عذاب النار وجزعوا فالنار مثوى لهم ايضا قلنا فيه
اضمار تقديره فان يصبروا او لا يصبروا فالنار مثوى لهم على كل حال ولا ينفعهم الصبر
في الاخرة كما ينفع في الدنيا ولهذا قيل الصبر مفتاح الفرج وقيل من صبر ظفر
الثاني ان هذا جواب لقول المشركين في حث بعضهم لبعض على ادامة عبادة
الاصنام ان امشوا واصبروا على الهتكم فقال الله تعالى فان يصبروا والمعنى على
عبادة الاصنام في الدنيا فالنار مثوى لهم في العقبى فان قيل كيف قال
تعالى في وصف الكفار ولنجزينهم اسوأ الذي كانوا يعملون اي باسوأ اعمالهم مع انهم
يجزون بسيئ اعمالهم مع انهم يجزون ايضا قلنا قد سبق نظير هذا السؤال في اخر

سورة التوبة والجواب الاول هناك يصلح جوابا هنا فان قيل ما فائدة قوله تعالى ولا للقمر
بعد قوله لا تسجدوا للشمس وهو مستفاد من الاول بالطريق الاولى قلنا فائدته
ثبوت الحكم باقوى الدليلين وهو النص سورة حم عسق فان قيل كيف قال سورة حم عسق
تعالى كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك بلفظ المضارع والوحي الى من قبله ماض
قلنا قال الزمخشري قصد بلفظ المضارع كون ذلك عادة وسنة لله تعالى وهذا لا يوجب
في لفظ الماضي قلت ويحتمل ان يكون باعتبار وضع المضارع موضع الماضي كما في قوله تعالى
قل الله يحييكم او باضمار واوحي الى الذين من قبلك فان قيل الى ماذا يرجع الضمير في قوله
تعالى يذرؤكم فيه قلنا معناه في هذا التدبير او في الجعل المذكور وقيل في الرحم الذي
دل عليه ذكر الازواج فان قيل كيف قال تعالى ليس كمثله شيء وظاهره يقتضي
اثبات المثل ونفي مثل المثل كما يقال ليس كدار زيد دار فانه يقتضي وجود الدار لزيد
قلنا فيه وجوه احدها ان المثل في لغة العرب كناية عن الذات ومنه قولهم مثلي لا يقال
له كذا ومثلك لا يليق به كذا فمعناه ليس كهو شيء الثاني ان الكاف زائدة للتاكيد والمعنى
ليس مثله شيء الثالث ان مثل زائدة فيصير المعنى ليس كهو شيء كما هو في الوجه
الاول والفرق بين الوجهين ان المثل في الوجه الاول كناية عن الذات وفي الوجه الثالث
زائد مطرح كانه لم يذكر فان قيل ما معنى قوله تعالى الا المودة في القربى ولم يقل سبحانه
الا مودة القربى اي القرابة او الا المودة للقربى قلنا جعلوا محلا للمودة ومقرا لها للمبالغة
كانه قال الا المودة الثابتة المستقرة في القربى كما يقال لي في آل فلان مودة ولي فيهم هوى
وحب شديد فان قيل كيف قال تعالى ومن آياته خلق السموات والارض وما بث
فيهما من دابة والدواب انما هي في الارض فقط قلنا فيهما بمعنى فيها باعتبار اطلاق لفظ
التثنية على المفرد كما في قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من احدهما وهو الملح
وقيل ان الملائكة لهم دبيب مع طيرانهم ايضا وهم مبثوثون في السماء ويؤيد ذلك قوله تعالى
وما من دابة في الارض فتقييده بالارض يدل على وجود الدابة في غير الارض من حيث
المفهوم فان قيل كيف قدم سبحانه الاناث على الذكور في قوله تعالى يهب لمن يشاء اناثا
الاية مع تقدمهم عليهن ثم رجع فقدمهم عليهن ولم نكر الاناث وعرف الذكور قلنا
انما قدم الاناث لان الاية سيقت لبيان عظمة ملكه ونفاذ مشيئته وانه فاعل ما يشاء لا ما يشاء

عبيده

عبيده فكان ذكر الاناث اللاتي من جملة ما لا يشاؤه عبيده اهم والاهم واجب
التقديم فلما قدمهن واخر الذكور لذلك المعنى تدارك تاخيرهم وهم احقاء بالتقديم
بتعريفهم لان التعريف تنويه وتشهير كانه قال ويهب لمن يشاء الفرسان
الاعلام المشهورين الذين لا يخفون عليكم ثم اعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه
من التقديم والتاخير وعرف ان تقديمهن لم يكن لتقدمهن ولكن لمقتضى اخر فقال
سبحانه ذكرانا واناثا كما قال انا خلقناكم من ذكر وانثى وقال تعالى فجعل منه الزوجين
الذكر والانثى فان قيل كيف يقال ان الله تعالى كلم محمدا صلى الله عليه وسلم
ليلة المعراج مواجهة بغير حجاب ولا واسطة وقد حصر الله تعالى تكليمه للبشر
في طريق الوحي وهو الالهام كما كلم ام موسى عليه السلام والاسماع من وراء الحجاب
كما كلم موسى عليه السلام وارسال الرسول كما كلم الانبياء عليهم السلام بواسطة جبريل
عليه السلام وكما كلم الامم بواسطة الرسل قلنا قيل المراد بالوحي الاول هنا
الاشارة ومنه قولهم وحي العين ووحي الحاجب اي اشارتهما وقوله تعالى فاوحى اليهم ان
سبحوا فتكليمه لمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج كان مواجهة بالاشارة فان قيل
في قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان كيف يصح ما كان يعلم الايمان قبل ان يوحى
اليه والايمان هو التصديق بوجود الصانع وتوحيده والانبياء عليهم السلام كلهم كانوا
مؤمنين بالله تعالى قبل ان يوحى اليهم بادلة عقولهم قلنا المراد بالايمان هنا شرايع
الايمان واحكامه كالصلوة والصوم ونحوهما وقيل المراد به الكلمة التي بها دعوة
الايمان والتوحيد وهي لا اله الا الله محمد رسول الله والايمان بهذا التفسير
سورة الزخرف انما علمه بالوحي لا بالعقل كما علم الكتاب وهو القران به سورة الزخرف فان قيل
كيف قال تعالى انا جعلناه قرانا عربيا ولم يقل قلناه او انزلناه والقران ليس بمجعول
لان الجعل هو الخلق ومنه قوله تعالى وجعل الظلمات والنور وقوله تعالى فجعل منه الزوجين
الذكر والانثى قلنا الجعل ايضا بمعنى القول ومنه قوله تعالى ويجعلون لله البنات
وقوله وجعلوا لله اندادا اي قالوا ووصفوا لا انهم خلقوا كذلك هنا فان قيل
كيف قال تعالى واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا والنبي عليه السلام ما لقيهم
ليسالهم قلنا فيه اضمار تقديره واسئل اتباع من ارسلنا من قبلك الثاني انه مجاز

عن النظر في ديانهم والبحث عن يليهم هل فيها ذلك الثالث ان النبي صلى الله عليه
وسلم حُشر له الانبياء عليهم السلام ليلة المعراج فلقيهم وامّهم في مسجد بيت المقدس
فلما فرغ من الصلوة نزلت عليه هذه الاية والانبيا حاضرون عليه لديه فقال لا اسال
قد لقيت وقيل انه خطاب له والمراد به أمّته فان قيل كيف قال تعالى وما نريهم من
اية الا هي اكبر من اختها يعني الايات التسع التي جاء بها موسى عليه السلام وان كان
المراد به ان كل واحدة منهن اكبر مما سواها لزم ان تكون كل واحدة فاضلة ومفضولة
وان كان المراد به ان كل واحدة منهن اكبر من اخت معينة لها فاتها هي الكبرى
واتها هي الصغرى قلنا المراد بذلك انهن موصوفات بالكبر لا يكدن يتفاوتن
فيه ونظيره بيت الحماسة من يلق منهم يقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي
يسري بها الساري فان قيل كيف قال عيسى عليه السلام لامته ولابين لكم بعض
الذي تختلفون فيه والنبي المبعوث الى امته يبين لهم كل ما يختلفون فيه قلنا كانوا
يختلفون فيما يعنيهم من امور اخرى فكان يبين لهم الشرايع والاحكام خاصة وقيل ان
البعض هنا بمعنى الكل كما سبق في سوره المومن في قوله تعالى وان يك صادقا يصبكم بعض
الذي يعدكم فان قيل ما فائدة قوله تعالى وهم لا يشعرون بعد قوله بغتة اي فجأة
قلنا فايدته انها تاتيهم وهم غافلون مشغولون بامور دنياهم كما قال تعالى ما ينظرون
الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلولا قوله تعالى وهم لا يشعرون جاز ان تاتيهم بغتة
وهم فطنون حذرون مستعدون لها فان قيل كيف وصف عانه اهل النار فيها بكونهم
مبلسين والمبلس هو الآيس من الرحمة والفرج ثم قال تعالى ونادوا يا مالك ليقض علينا
ربك فطلبوا الفرج بالموت قلنا تلك ازمنة متطاولة واحقاب ممتدة فتختلف
فيها احوالهم فتغلب عليهم الياس تارة فيسكتون وتشتد ما بهم من الم العذاب تارة
فيستغيثون فان قيل قوله تعالى وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله ظاهره يقتضي
تعدد الالهة لان النكرة اذا اعيدت تعددت كقوله له علي درهم ودرهم وانت طالق
وطالق ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنه لن يغلب عسر يسرين قلنا الاله هنا بمعنى
المعبود بالنقل كما في قوله تعالى وهو الله في السموات وفي الارض فصار المعنى وهو الذي هو في
السماء معبود وفي الارض معبود والمغايرة ثابتة بين معبوديته في السماء ومعبوديته في الارض

لان المعبودية من الامور الاضافية فيكفي في تغايرها التغاير من احد الطرفين
فاذا كان العابد في السماء غير العابد في الارض صدق ان معبوديته في السماء سورة الدخان
غير معبوديته في الارض مع ان المعبود واحد سورة الدخان فان قيل
الخلاف بين النبي صلى الله عليه وسلم ومنكري البعث انما كان في الحياة بعد الموت
الا في الموت فكيف قال تعالى ان هولاء ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى ولم يقل
ان هي الا حيوتنا الاولى كما قال تعالى في موضع اخر ان هي الا حيوتنا الدنيا وما معنى
وصف الموتة بالاولى كانهم وُعِدوا موتة اخرى حتى نفوها وجحدوها واثبتوا
الموتة الاولى قلنا لما وُعِدوا موتة حتى بعدها حيوة نفوا ذلك كانهم قالوا لا يقع
في الوجود موتة يكون بعدها حياة الا ما كانت فيه من موت العدم وبعثنا منه الى
حياة الوجود وقيل انهم نفوا بذلك الموتة الثانية في القبر بعد احيائهم لسوال منكر
ونكير فان قيل كيف قال تعالى ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم والعذاب
لا يُصَب وانما يصب الحميم كما قال تعالى في موضع اخر يصب من فوق رؤسهم الحميم قلنا
هو استعارة لتكون الوعيد اهول واهيب ونظيره قوله تعالى فصب عليهم ربك
سوط عذاب وقوله تعالى افرغ علينا صبرا وقول الشاعر صُبّت عليهم صروف
الدهر من صبب فان قيل كيف وعد الله تعالى اهل الجنة لبس الاستبرق وهو
غليظ الديباج مع ان لبس الغليظ من الديباج عند السعداء من اهل الدنيا عيب
ونقص قلنا كما ان رقيق ديباج الجنة وهو السندس لا يماثل رقيق ديباج الدنيا
الا في الاسم فقط فكذلك غليظ ديباج الجنة وقيل ان السندس لباس السادة من اهل
الجنة والاستبرق لباس العبيد والخدم اظهارا لتفاوت المراتب فان قيل كيف
قال تعالى في وصف اهل الجنة لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى مع ان الموتة الاولى
لم يذوقوها في الجنة قلنا قال الزجاج والفراء الا هنا بمعنى سوى كما في قوله تعالى الا ما قد
سلف وقوله تعالى الا ما شاء ربك الثاني ان الا بمعنى بعد كما قال بعضهم في قوله تعالى
الا ما قد سلف الثالث ان السعداء اذا حضرتهم الوفاة كُشف لهم الغطاء وعُرضت
عليهم منازلهم ومقاماتهم في الجنة وتلذذوا في حال النزع بروحها وريحانها
فكانهم ماتوا في الجنة وهذا قول ابن قتيبة سورة الجاثية فان قيل سورة الجاثية

كيف طابق الجواب السوال في قوله تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا بينات
ما كان حجتهم الا ان قالوا ائتوا بابائنا ان كنتم صادقين قل الله يحييكم
ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيمة لا ريب فيه قلنا وجه المطابقة انهم
الزموا بما هم مقرون به من ان الله تعالى هو الذي احياهم اولا ثم يميتهم
ومن كان قادرا على ذلك كان قادرا على جمعهم يوم القيامة فيكون قادرا
على احياء ابائهم قال قيل كيف اضاف الكتاب الى الامة واليه في قوله
تعالى كل امة تدعى الى كتابها ثم قال تعالى هذا كتابنا قلنا الاضافة تصح بادنى
ملابسة وقد لابسهم الكتاب بكون اعمالهم مثبتة فيه ولابسه بكونه سورة الاحقاف
مالكه وكونه امرا لملائكته ان يكتبوا فيه اعمالهم سورة الاحقاف
قال قيل كيف قال تعالى اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا
مع ان حسن ما عملوا يتقبل عنهم ايضا قلنا احسن هنا بمعنى حسن
وقد سبق نظيره في سورة الروم قال قيل كيف قال تعالى في
وصف الفريقين ولكل درجات مما عملوا مع ان اهل النار لهم دركات
لا درجات قلنا الدرجات هي الطبقات من المراتب مطلقا من غير
اختصاص الثاني ان فيه اضمارا تقديره ولكل فريق درجات او دركات
مما عملوا الا انه حذف اختصارا لدلالة المذكور عليه قال قيل كيف
طابق الجواب السوال في قوله تعالى فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين
قال انما العلم عند الله قلنا طابقه من حيث ان قولهم ذلك استعجال للعذاب
الذي توعدهم به بدليل قوله تعالى بعده بل هو ما استعجلتم به فقال لهم لا علم
لي بوقت تعذيبكم بل الله هو العالم به وحده قال قيل كيف قال
تعالى في وصف الريح تدمر كل شيء بامر ربها وكم من شيء لم تدمره
قلنا معناه تدمر كل شيء مرت به من اموال قوم عاد واملاكهم
قال قيل كيف قال تعالى يغفر لكم من ذنوبكم ولم يقل يغفر لكم ذنوبكم قلنا سورة محمد صلى الله
لان من الذنوب ما لا يغفر بالايمان كمظالم العباد ونحوها سورة محمد صلى الله
عليه وسلم قال قيل كيف قال تعالى كذلك يضرب الله للناس امثالهم ولم يسبق

ضرب مثل قلنا معناه كذلك يبين الله للناس امثال حسنات المومنين وسيات
الكافرين وقيل المراد به انه جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار واتباع الحق مثلا
لعمل المومنين او انه جعل الاضلال مثلا لخيبة الكفار وتكفير السيات مثلا
لفوز المومنين قال قيل كيف قال تعالى في حق الشهداء بعد ما قتلوا في سبيل
الله سيهديهم والهداية انما تكون قبل الموت لا بعده قلنا معناه سيهديهم الى
محاجة منكر ونكير وقيل سيهديهم يوم القيامة الى طريق الجنة قال قيل
ما معنى قوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار الى قوله تعالى كمن هو
خالد في النار قلنا قال الفراء معناه من كان في هذا النعيم كمن هو خالد في
النار وقال غيره تقديره امثل الجنة الموصوفة كمثل جزاء من هو خالد في النار
فحذف منه ذلك كله ايجازا واختصارا قال قيل كيف قال تعالى للنبي صلى الله
عليه وسلم فاعلم انه لا اله الا الله وهو عالم بذلك قبل ان يوحى اليه وبعده قلنا
معناه اثبت على ذلك العلم وقال الزجاج الخطاب له عليه السلام والمراد به امته سورة الفتح
كما ذكرنا في اول سورة الاحزاب سورة الفتح قال قيل كيف جعل سبحانه
فتح مكة علة للمغفرة فقال تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله قلنا لم يجعله
علة للمغفرة بل لاجتماع ما وعده من الامور الاربعة وهي المغفرة واتمام النعمة وهداية
الصراط المستقيم والنصر العزيز وقبل الفتح لم يكن اتمام النعمة حاصلا وان
كان الباقي حاصلا ويجوز ان يكون فتح مكة سببا للمغفرة من حيث انه جهاد للعدو
قال قيل قوله تعالى ما تقدم من ذنبك وما تاخر ان كان المراد بما تاخر ذنبا
متاخرا وجوده عن الخطاب بهذه الاية فهو معدوم عند نزولها فكيف يغفر الذنب
المعدوم وان كان المراد به ذنبا وجد قبل نزولها فهو متقدم فكيف سماه متاخرا
قلنا قيل المراد بما تقدم قصة مارية وبما تاخر قصة امراة زيد وقيل المراد بما تقدم
ما فرط منه قبل النبوة وبما تاخر ما فرط منه بعدها وقيل المراد بما تقدم ما وجد
منه وبما تاخر ما لم يوجد على معنى انه موعود مغفرته على تقدير وجوده او على معنى المبالغة
كقولهم فلان يضرب من يلقاه ومن لا يلقاه بمعنى يضرب كل احد كذا هذا معناه
ليغفر لك الله كل ذنب فالحاصل ان الذنب المتاخر متقدم على نزول الاية وان كان

متاخرا بالنسبة الى شيء اخر قبله او متاخرا عن نزولها وهو موعود بمغفرته
او على طريق المبالغة كما بينا **فان قيل** ما معنى قوله تعالى ويهديك صراطا مستقيما
وهو مهدي الى الصراط المستقيم ومهدي به امته ايضا **قلنا** معناه ويزيدك
هدى وقيل ويثبتك على الهدى وقيل معناه ويهديك صراطا مستقيما في كل
امر تحاوله **فان قيل** كيف يقال ان الايمان لا يقبل الزيادة والنقصان
وقد قال الله تعالى ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم **قلنا** الايمان الذي يقال انه لا يقبل
الزيادة والنقصان فاما الايمان هو الاقرار بوجود الله تعالى كما ان الهيئة
لا تقبل الزيادة والنقصان فاما الايمان بمعنى الامن او اليقين او التصديق فانه
يقبلهما وهو في الاية بمعنى التصديق لانهم بسبب السكينة التي هي الطمانينة
يزداد اليقين كلما نزلت فريضة وشريعة صدقوا بها فازدادوا تصديقا
مع تصديقهم **فان قيل** ما فايدة قوله سبحانه واهلها بعد قوله تعالى وكانوا
احق بها **قلنا** قيل الضمير في بها للكلمة التوحيد وفي اهلها للتقوى ولا تكرار
فان قيل ما وجه دخول التعليق بمشية الله تعالى في اخباره سبحانه وتعالى حتى قال
لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله **قلنا** فيه وجوه احدها ان ان بمعنى اذ كما في
قوله تعالى وذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مومنين الثاني انه استثناء من الله تعالى
فيما يعلم تعليما لعباده ان يستثنوا فيما لا يعلمون الثالث انه على سبيل الحكاية لرويا
النبي صلى الله عليه وسلم فانه راى ان قايلا يقول له لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله
امنين الرابع ان الاستثناء متعلق بقوله تعالى امنين فاما الدخول فليس فيه تعليق
فان قيل ما فايدة قوله تعالى لا تخافون بعد قوله سبحانه وتعالى امنين **قلنا** معناه
امنين في حال الدخول لا تخافون عدوكم ان يخرجكم منه في المستقبل **فان قيل**
قوله تعالى ليغيظ بهم الكفار تعليل لماذا **قلنا** لما دل عليه تشبيههم بالزرع من
نمائهم وقوتهم كانه تعالى قال انما كثرهم وقواهم ليغيظ بهم الكفار **فان قيل**
كيف قال تعالى وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما وكل
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم موصوفون بالايمان والعمل الصالح وبغيرهما من
الصفات الحميدة التي ذكرها الله تعالى في هذه الاية فما معنى التبعيض هنا **قلنا** من هنا

١٠٥

لبيان الجنس لا للتبعيض كما في قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان
سورة الحجرات **فان قيل** كيف قال تعالى يا ايها الذين امنوا
لا تقدموا والمراد به نهيهم عن ان يتقدموا عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم بقول او فعل لا ان يقدموا غيره **قلنا** قدم هنا لازم بمعنى تقدم
كما في قولهم بين وتبين وفكر وتفكر ووقف وتوقف ومنه قول الشاعر
اذا نحن سرنا سارت الناس خلفنا وان نحن اومانا الى الناس وقفوا
اي توقفوا وقيل معناه لا تقدموا فعلا قبل امر رسول الله صلى الله عليه
وسلم **فان قيل** ما فايدة قوله تعالى ولا تجهروا له بالقول بعد قوله سبحانه
لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي **قلنا** فايدته تحريم الجهر في مخاطبته
وان لم يتضمن رفع صوتهم على صوته وهذا غير مستفاد من النهي الاول
الثاني ان المراد بالثاني النهي عن مخاطبته عليه السلام باسمه نحو قولهم يا محمد
ويا احمد فهو امر لهم بتوقيره وتعظيمه في المخاطبة وان يقولوا يا رسول الله
يا نبي الله ونحو ذلك ونظيره قوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم
بعضا **فان قيل** كيف قال تعالى ان تحبط اعمالكم اي مخافة ان تحبط اعمالكم مع ان
الاعمال انما تحبط بالكفر لا بغيره من المعاصي ورفع الصوت في مجلس النبي
صلى الله عليه وسلم ليس بكفر كيف وقد روي ان الاية نزلت في ابي بكر وعمر رضي الله
عنهما لما رفعا اصواتهما بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي انها نزلت
في ثابت بن قيس بن شماس وكان جهوري الصوت فربما تاذى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بصوته **قلنا** معناه لا تستخفوا به فان الاستخفاف به
ربما ادى خطاوه الى عمده وعمده كفر يحبط العمل وقيل هبوط العمل هنا مجاز عن
نقصان المنزلة وانحطاط المرتبة **فان قيل** ما وجه الارتباط والتعلق
بين قوله تعالى ولكن الله حبب اليكم الايمان وبين ما قبله **قلنا** معناه فاتركوا
عادة الجاهلية فان الله تعالى لم يترككم عليها ولكن الله حبب اليكم الايمان
وقيل معناه فتثبتوا في الامور كما يليق بالايمان فان الله حبب اليكم الايمان
فان قيل ان كان الفسوق والعصيان بمعنى واحد فما فايدة الجمع بينهما

سورة الحجرات

اي برفع الصوت وجهر القول

وان كان العصيان اعم من الفسوق وذكره مغن عن ذكر الفسوق
للدخوله فيه فما فايدة الجمع بينهما **قلنا** قال ابن عباس رضي الله عنه المراد
بالفسوق هنا الكذب وبالعصيان بقية المعاصي وانما افرد الكذب
بالذكر لانه سبب نزول الاية **فان قيل** كيف يقال ان الايمان والاسلام
بمعنى واحد والله سبحانه يقول قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا **قلنا** المنفي
هنا الايمان بالقلب بدليل قوله تعالى ولما يدخل الايمان في قلوبكم يعني لم تصدقوا
بقلوبكم ولكن قولوا اسلمنا اي استسلمنا وانقدنا خوف السيف ولا شك في
الفرق بين الايمان والاسلام بهذا التفسير والذي يدعي اتحادهما لا يريد به انهما
حيث استعملا كانا بمعنى واحد بل يريد به ان احد معاني الايمان هو الاسلام
فان قيل كيف يقال ان العمل ليس من الايمان والله تعالى يقول انما المؤمنون
الاية **قلنا** معناه انما المؤمنون ايمانا كاملا كما في قوله تعالى انما يخشى الله من عباده
العلماء وقوله عليه السلام المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده وقولهم الرجل
من يصبر على الشدائد ويرد على هذا الجواب ان المنفي في اول الاية عن الاعراب
نفس الايمان لا الايمان الكامل ولا يناسب ان يكون المثبت بعد ذلك الايمان
الكامل بل نفس الايمان **سورة ق** **فان قيل** اين جواب
القسم في قوله تعالى ق والقران المجيد **قلنا** فيه وجوه احدها انه مضمر تقديره
انهم مبعوثون بعد الموت الثاني انه قوله تعالى قد علمنا ما تنقص الارض منهم
واللام محذوف لطول الكلام تقديره قد علمنا كما في قوله تعالى قد افلح من زكاها
الثالث انه قوله تعالى ما يلفظ من قول **فان قيل** كيف قال تعالى وحب
الحصيد واراد به الحصيد فاضاف الشيء الى نفسه والاضافة تقتضي المغايرة
بين المضاف والمضاف اليه **قلنا** معناه وحب الزرع الحصيد او النبت
الحصيد الثاني ان اضافة الشيء الى نفسه جائزة عند اختلاف اللفظين كما في
قوله تعالى حق اليقين وحبل الوريد ودار الاخرة ووعد الصدق **فان قيل**
كيف قال تعالى عن اليمين وعن الشمال قعيد ولم يقل قعيدان وهو وصف
للملكين اللذين سبق ذكرهما بقوله تعالى اذ يتلقى المتلقيان **قلنا** معناه

سورة ق

عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد الا انه حذف احدهما لدلالة المذكور
عليه كما قال الشاعر نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراي
مختلف وقال اخر رماني بامر كنت منه ووالدي بريا ومن اجل
الطوي رماني الثاني ان فعيلا يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع
قال الله تعالى والملائكة بعد ذلك ظهير وقيل انما لم يقل قعيدان رعاية
لفواصل السورة **فان قيل** كيف قال تعالى القيا والخطاب لواحد وهو
مالك خازن النار **قلنا** فيه وجوه احدها ما قاله المبرد ان تثنية الفاعل
اقيمت مقام تثنية الفعل للتاكيد باعتبار اتحادهما حكما فكانه تعالى قال
الق الق ونظيره قول امرئ القيس قفا نبك اي قف قف الثاني
ان العرب اكثر ما يرافق الرجل منهم اثنين فكثر على السنتهم خطاب
الاثنين فقالوا خليلي وصاحبي وقفا واسعدا وعوجا ونحو ذلك قال الفراء
سمعت ذلك من العرب كثيرا قال وانشدني بعضهم فقلت لصاحبي لا تحبسانا
بنزع اصوله واجتز شيحا وقال لا تحبسانا والخطاب لواحد بدليل
قوله لصاحبي وقوله واجتز قال وانشدني ابو ثروان فان تزجراني
يا ابن عفان انزجر وان تدعاني احم عرضا ممنعا وقال امرؤ القيس
خليلي مرا بي على ام جندب نقضي لبانات الفؤاد المعذب ثم قال الم تر اني
كلما جئت طارقا وجدت بها طيبا وان لم تطيب الثالث انه امر للملكين
الذين سبق ذكرهما بقوله تعالى وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد
فان قيل كيف قال تعالى غير بعيد ولم يقل غير بعيدة وهو وصف للجنة
قلنا لانه على زنة المصدر كالزئير والصليل والمصادر يستوي في الوصف
بها المذكر والمؤنث او على حذف الموصوف اي مكانا غير بعيد وكلا الجوابين للزمخشري
فان قيل ما فائدة قوله تعالى غير بعيد بعد قوله سبحانه ازلفت بمعنى قربت
قلنا فائدته التاكيد كقولهم هو قريب غير بعيد وعزيز غير ذليل **فان قيل**
كيف قال تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وكل انسان له قلب بل كل
حيوان **قلنا** المراد بالقلب هنا العقل كذا قاله ابن عباس وقال ابن قتيبة لما كان

القلب موضعا للعقل كنى به عنه الثانى ان المراد لمن كان له قلب واع لان
من لا يعى قلبه وكانه لا قلب له ويويد ذلك قوله تعالى ولقد ذرانا لجهنم كثيرا
من الجن والانس الاية سورة الذاريات فان قيل كيف قال سورة الذاريات
تعالى انما توعدون لصادق والصادق وصف الواعد لا وصف الوعد
قلنا قيل صادق بمعنى مصدوق كعيشة راضية وماء دافق وقيل معناه
لصدق فان المصدر قد جاء على وزن اسم الفاعل كقولهم قمت قائما وقولهم
لحقيقة الايعد اى اللوم فان قيل كيف قال تعالى ان المتقين فى جنات
وعيون والمتقون لا يكونون فى الجنة فى العيون قلنا انهم فى الجنات والعيون
الكثيرة محدقة بهم من كل ناحية وهم فى مجموعها لا فى كل عين ونظيره قوله
تعالى ان المتقين فى جنات ونهر لانه بمعنى انهار الا انه عدل عنها رعاية
للفواصل فان قيل كيف قال تعالى وتركنا فيها اية للذين يخافون العذاب
الاليم اى فى قرى قوم لوط عليه السلام وقرى قوم لوط ليست موجودة فكيف
توجد فيها العلامة قلنا الضمير فى قوله تعالى فيها عايد الى تلك الناحية والبقعة
لا الى مداين قوم لوط الثانى انه عايد اليها ولكن فى بمعنى من كما فى قوله تعالى
ويوم نبعث فى كل امة شهيدا وقوله تعالى وارزقوهم فيها ويويد هذا الوجه
مجيئه مصرحا به فى سورة العنكبوت بلفظ من فى قوله تعالى ولقد تركنا
منها اية بينة لقوم يعقلون ثم قيل الاية اثار منازلهم الخربة وقيل هى الحجارة
التى ابقاها الله تعالى حتى ادركها اوايل هذه الامة وقيل هى الماء الاسود الذى
يخرج من الارض فان قيل كيف قال تعالى ومن كل شىء خلقنا زوجين
اى صنفين مع ان العرش والكرسى واللوح والقلم لم يخلق منها الا واحد
قلنا قيل معناه ومن كل حيوان خلقنا ذكرا وانثى وقيل معناه ومن كل شىء
تشاهدونه خلقنا صنفين كالليل والنهار والصيف والشتاء والنور
والظلمة والخير والشر والحياة والموت والبر والبحر والسماء والارض
والشمس والقمر ونحو ذلك فان قيل كيف قال تعالى هنا ففروا الى الله وقال
سبحانه فى موضع اخر ويحذركم الله نفسه قلنا معنى قوله تعالى ففروا الى الله

اى الجؤا اليه بالتوبة وقيل معناه ففروا من عقوبته الى رحمته ومعنى قوله
تعالى ويحذركم الله نفسه اى يخوفكم عذاب نفسه او عقاب نفسه وقال الزجاج
معنى نفسه اياه كانه قال تعالى ويحذركم الله اياه كما قال سبحانه يريدون وجهه
اى اياه فظهر انه لا تناقض بين الايتين فان قيل كيف قال تعالى وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون واذا خلقهم للعبادة كان مريدا لها منهم فكيف ارادها
منهم ولم توجد منهم قلنا فيه وجوه احدها انه عام اريد به الخاص وهم المومنون
بدليل خروج البعض منه بقوله تعالى ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس
ومن خلق لجهنم لا يكون مخلوقا للعبادة الثانى انه على عمومه والمراد بالعبادة
التوحيد وقد وحده الكل يوم اخذ الميثاق وهذا الجواب يخص الانسان لان
اخذ الميثاق مخصوص بهم بالاية وقيل معناه الا ليكونوا عبيدا لى وقيل معناه
الا ليذلوا لى ويخضعوا وينقادوا لما قضيته وقدرته عليهم ولا يخرج عنه
احد منهم وقيل معناه الا ليعبدون ان اختاروا العبادة لا قسرا او الجاء وقيل
الا ليعبدون العبادة المرادة فى قوله تعالى ولله يسجد من فى السموات والارض
طوعا وكرها والعموم ثابت فى الوجوه الخمسة فان قيل ما فائدة قوله سبحانه
وما اريد ان يطعمون بعد قوله تعالى ما اريد منهم من رزق قلنا معناه ما اريد
منهم من رزق لانفسهم وما اريد ان يطعمون اى ان يطعموا عبيدى وانما اضاف
تعالى الاطعام الى ذاته المقدسة لان الخلق عياله وعبيده ومن اطعم عيال غيره
فكانه اطعمه ويويده ما جاء فى الحديث الصحيح ان الله عز وجل يقول يوم القيامة
سورة الطور يا ابن ادم استطعمتك فلم تطعمنى اى استطعمك عبدى فلم تطعمه سورة الطور
فان قيل كيف قال تعالى وزوجناهم بحور عين مع ان الحور العين فى
الجنة مملوكات ملك يمين لا ملك نكاح قلنا معناه قرناهم بهم من قولهم
زوجت ابلى اى قرنت بعضها الى بعض وليس من التزويج الذى هو عقد النكاح
ويويده ان ذلك لا يعدى بالباء بل بنفسه يقال زوجته امراة ولا يقال بامراة فان
قيل كيف قال تعالى فى وصف اهل الجنة كل امرى بما كسبت رهين اى
مرهون فى النار بعمله قلنا قال الزمخشرى كان نفس كل عبد رهن عند الله

بالعمل الصالح الذي هو مطالب به كما يرتهن الرجل عبده بدين عليه
وان عمل صالحا فكّها وخلّصها والّا اوبقها وقال غيره هذه جملة من صفات
اهل النار ووقعت معترضة في صفات اهل الجنة ويؤيده ما روي عن مقاتل
انه قال معناه كل امرئ كافر بما عمل من الكفر مرتهن في النار والمؤمن لا يكون
مرتهنا لقوله تعالى كل نفس بما كسبت رهينة الا اصحاب اليمين في جنات
قال قيل كيف قال تعالى في حق النبي صلى الله عليه وسلم فما انت بنعمة ربك بكاهن
ولا مجنون وكل احد غيره كذلك لا يكون كاهنا ولا مجنونا بنعمة الله تعالى قلنا معناه
ما انت بحمد الله وانعامه عليك بالصدق والنبوة بكاهن ولا مجنون كما يقول الكفار
وقيل الباء هنا بمعنى مع كما في قوله تعالى تنبت بالدهن وقوله سبحانه فتستجيبون
بحمده وقال اكلت الخبز بالتمر اي معه قال قيل ما معنى الجمع في قوله تعالى فانك
باعيننا قلنا معناه التفخيم والتعظيم والمراد بحيث نراك ونحفظك ونظيره في
معنى العين قوله تعالى ولتصنع على عيني ونظيره في الجمع للتفخيم والتعظيم قوله تعالى
تجري باعيننا وقوله تعالى اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما سورة النجم سورة النجم
قال قيل الضلال والغواية واحد فما فائدة قوله تعالى ما ضل صاحبكم وما غوى
قلنا قيل ان بينهما فرقا لان الضلال ضد الهدى والغي ضد الرشد وهما مختلفان
مع تقاربهما وقيل معناه ما ضل في قوله ولا غوى في فعله ولو ثبت اتحاد معناهما
يكون من باب التأكيد باللفظ المخالف مع اتحاد المعنى قال قيل كيف قال تعالى
فكان قاب قوسين او ادنى ادخل كلمة الشك والشك محال على الله تعالى
قلنا او هنا للتخيير لا للشك كانه قال سبحانه ان شئتم قدّروا ذلك القدر
بقاب قوسين وان شئتم قدّروه بادنى منهما وقيل معناه بل ادنى وقيل هو خطاب
لهم بما هو معهود بينهم وقيل هو تشكيك لهم لئلا يعلموا قدر ذلك القرب ونظيره
قوله تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون والكلام فيهما واحد قال قيل
قوله تعالى افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى من رؤية القلب لا من رؤية
البصر فاين مفعولها الثاني قلنا هو محذوف تقديره افرايتموها بنات الله
والانداد فانهم كانوا يزعمون ان الملائكة وهذه الاصنام بنات الله سبحانه وتعالى

عما يقولون علوا كبيرا قال قيل كيف قال تعالى الثالثة الاخرى ووصف
الثالثة بالاخرى والعرب انما تصف بالاخرى الثانية لا الثالثة وظاهر
اللفظ يقتضي ان تكون قد سبق ثالثة اولى ثم لحقتها الثالثة الاخرى لتكون
ثالثتان قلنا الاخرى نعت للعزى تقديره افرايتم اللات والعزى
الاخرى ومناة الثالثة لانها ثالثة الصنمين في الذكر وانما اخر الاخرى
رعاية للفواصل كما قال ولي فيها مآرب اخرى ولم يقل اخر رعاية للفواصل
قال قيل كيف قال تعالى وان الظن لا يغني من الحق شيئا اي لا يقوم مقام
العلم مع انه يقوم مقام العلم في صور القياس قلنا المراد به الظن الحاصل
من اتباع الهوى دون الظن الحاصل من النظر والاستدلال ويؤيده قوله
تعالى قبيل هذا ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس قال قيل
كيف قال تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى وقد صح في الاخبار وصول
ثواب الصدقة والغزاة والحج وغيرها الى الميت قلنا فيه وجوه احدها
ما قاله ابن عباس رضي الله عنه انها منسوخة بقوله تعالى واتبعناهم ذرياتهم
بايمان الحقنا بهم ذرياتهم معناه انه ادخل الابناء بصلاح الاباء قالوا وهذا لا يصح الجنة صح
لان الآيتين خبر ولا نسخ في الخبر الثاني ان ذلك مخصوص بقوم ابرهيم
وموسى عليهما السلام وهو حكاية ما في صحفهم فاما هذه الامة فلها ما سعت
وما سعي لها الثالث انه على ظاهره ولكن دعاء ولده وصديقه وقراءتهما وصدقتهما
عنه من سعيه ايضا بواسطة اكتسابه للقرابة او الصداقة او المحبة
من الناس بسبب التقوى والعمل الصالح قال قيل كيف قال تعالى بعد تعديد
النعم فباي آلاء ربك تتمارى والآلاء النعم قلنا انما قال سبحانه بعد تعديد
النعم والنقم نعم لما فيهما من المزاجر والمواعظ فمعناه فباي نعم ربك الدالة
على وحدانيته تتشكك يا وليد بن المغيرة سورة القمر قال قيل سورة القمر
ما فائدة اعادة التكذيب في قوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وهلا
قال كذبت قبلهم قوم نوح عبدنا قلنا معناه كذبوا تكذيبا بعد تكذيب
وقيل التكذيب الاول منهم بالتوحيد والثاني بالرسالة وقيل التكذيب الاول

منهم لله تعالى والثاني لرسوله عليه السلام فان قيل كيف قال
تعالى في وصف ماء الارض والسما فالتقى الماء ولم يقل فالتقى الماآن
قلنا اراد به جنس المياه فان قيل الجزاء انما يكون للكافر لا للمكفور
فكيف قال تعالى جزاء لمن كان كُفر قلنا جزاءً مفعول له ومعناه ففتحنا
ابواب السما وما بعده مما كان سبب اغراقهم جزاءً لله تعالى لانه مكفور به
بحذف الجار واوصل الفعل بنفسه كقوله تعالى واختار موسى قومه والجزاء
يضاف الى الفاعل والى المفعول كساير المصادر الثاني انه نوح عليه السلام
اما لانه مكفور به بحذف الجار كما مر من الكفر الذي هو ضد الايمان او
لان كل نبي نعمةٌ من الله على قومه ومنه قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة
للعالمين وقال رجل للرشيد الحمد لله عليك فقال ما معنى هذا فقال انت نعمة
حمدتُ الله تعالى عليها فكانه قال جزاء لهذه النعمةِ المكفورة وكفران النعمة
يتعدى بنفسه قال الله تعالى ولا تكفروه الثالث ان من بمعنى ما ومعناه
جزاءً لما كان كُفِر من نعم الله تعالى على العموم وقرا قتادة كَفَر بالفتح اي
جزاء للكافرين فان قيل كيف قال تعالى اعجاز نخل منقعر اي منقلع ولم يقل
منقعرة قلنا انما ذكّر الصفة لان الموصوف وهو النخل مذكرُ اللفظ ليس
فيه علامة تانيث فاعتبر اللفظ وفي موضع اخر اعتبر المعنى وهو كونه جمعا
فقال اعجاز نخل خاوية ونظيرهما قوله تعالى لآكلون من شجر من زقوم فمالئون
منها البطون فشاربون عليه من الحميم وقال ابو عبيدة النخل يذكر ويونث
يجمعَ القرآنُ اللغتين وقيل انما ذكّر رعاية للفواصل سورة الرحمن فان قيل
اي مناسبة بين رفع السماء ووضع الميزان حتى قرن بينهما قلنا لما صدّر هذه
السورةَ بتعداد نعمهِ تعالى على عبيدهِ ذكر من جملتها وضع الميزان الذي به نظامُ
العالم وقوامه لا سيما ان المراد بالميزان العدل في قول الاكثرين والقران في قول
والعقل في قول وكل ما تعرف به المقادير في قول كالميزان والمكيال والذراع
ونحوها فان قيل قوله تعالى ان لا تطغوا في الميزان اي لا تجاوزوا فيه العدل
مغنٍ عما بعده من الجملتين فما فايدتهما قلنا المراد بالطغيان فيه اخذ الزائد

وبالاخسار

١٠٩

وبالاخسارِ فيه اعطاءُ الناقص وامر بالتوسط الذي هو اقامة الوزن
بالقسط ونهى عن الطرفين المذمومين فان قيل كيف قال تعالى
هنا خلق الانسان من صلصال كالفخار وهو الطين اليابس الذي
لم يطبخ ولكن له صلصلةٌ اي صوت اذا نُقِر وقال سبحانه في موضع اخر
من صلصال من حماٍ مسنون وقال تعالى من طين لازب وقال سبحانه من تراب
قلنا الايات متفقة في المعنى لانه تعالى خلقه من تراب جعله طينا ثم حما مسنونا
ثم صلصالا فان قيل كيف قال تعالى هنا رب المشرقين ورب المغربين
فكرر ذكر الرب ولم يكرره في سورة المعارج بل افرده فقال تعالى فلا اقسم برب
المشارق والمغارب وكذا في سورة المزمل رب المشرق والمغرب لا اله الا هو
قلنا انما كرر ذكر الرب تاكيدا وكان التاكيد بهذا الموضع اليق منه بذينك الموضعين
لانه موضع الامتنان وتعديد النعم ولان الخطاب فيه مع جنسين وهما
الانس والجن فان قيل بعض الجمل المذكورة في هذه السورة ليست
من النعم كقوله تعالى كل من عليها فان وقوله تعالى يرسل عليكما شواظ من نار
ونحاس فلا تنتصران فكيف حسن الامتنان بعدها بقوله تعالى فباي الاء
ربكما تكذبان قلنا من جملة الالاء دفع البلاء وتاخير العقاب فابقاءُ من
هو مخلوق للفناء نعمةٌ وتاخيرُ العذاب عن العصاةِ ايضا نعمةٌ فلهذا امتن علينا
بذلك فان قيل كيف قال تعالى سنفرغ لكم ايها الثقلان والله تعالى لا يشغله
شيء قلنا قال الزجاج الفراغ في اللغة على ضربين احدهما الفراغ من شيء
والاخر القصد للشيء والاقبال عليه وهو تهديد ووعيد ومنه قولهم سأتفرغ
لفلان اي ساجعله قصدي فمعنى الاية سنقصد لحسابكم وعقابكم فان
قيل كيف وعد سبحانه الخائفَ جنتين فقط قلنا لان الخطاب للثقلين
فكانه قيل لكل خائف من الثقلين جنتان جنة للخائف الانسي وجنة للخائف
الجني وقيل المراد به ان لكل خائف جنتين جنةٍ لفعل الطاعات وجنة لترك المعاصي
وقيل جنة يثاب بها وجنة يتفضل بها عليه زيادةً لقوله تعالى للذين احسنوا الحسنى
وزيادة اي الجنة وزيادة فان قيل كيف قال تعالى فيهن قاصرات الطرف

ولم يقل سبحانه فيهما والضمير للجنتين قلنا الضمير لمجموع الآلاء المعدودة
من الجنتين والعينين والفاكهة وغيرهما مما سبق ذكره وقيل هو للجنتين
وانما جمعه لاشتمال الجنتين على اماكن وقصور ومنازل وقيل الضمير
للمنازل والقصور التي دل عليها ذكر الجنتين وقيل الضمير لمجموع الجنان
التي دل عليها ذكر الجنتين وقيل الضمير عائد الى الفرش لانها اقرب وعلى
هذا القول في بمعنى على كما في قوله تعالى ام لهم سلم يستمعون فيه فان قيل
كيف قال تعالى لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان اي لم يفتضهن ونساء الدنيا
لا يفتضهن الجان ايضا فما فائدة تخصيص الحور بذلك قلنا معناه ان تلك
القاصرات الطرف انسيات للانس وجنيات للجن فلم يطمث الانسيات
انسي ولا الجنيات جني وفي هذه الآية دليل على ان الجن يواقعون كما يواقع
الانس وقيل فيها دليل على ان الجني يغشى الانسية في الدنيا سورة الواقعة سورة الواقعة
فان قيل ما فائدة التكرار في قوله تعالى والسابقون السابقون قلنا فيه
وجهان احدهما انه تاكيد مقابل لما سبقه من التاكيدين في اصحاب الميمنة
واصحاب المشأمة كانه تعالى قال والسابقون هم المعروف حالهم المشهور
وصفهم ونظيره قول ابي النجم انا ابو النجم وشعري شعري الثاني ان
معناه والسابقون الى طاعة الله هم السابقون الى رحمته وكرامته ثم قيل
المراد بهم السابقون الى الايمان من كل امة وقيل الذين صلوا الى القبلتين وقيل
اهل القرآن وقيل السابقون هم الانبياء فهذه خمسة اقوال فان قيل كيف
قال الله تعالى يطوف عليهم ولدان مخلدون مع ان التخليد ليس صفة مخصوصة
بالولدان في الجنة بل كل اهل الجنة مخلدون فيها لا يشيبون ولا يهرمون
بل يبقى كل واحد ابدا على صفته التي دخل الجنة عليها قلنا معناه انهم لا يتحولون
عن شكل الولدان وهيئة الوصافة وقيل مقرطون وقيل مستورون
ولا اشكال على هذين القولين فان قيل كيف قال تعالى لآكلون من شجر
من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم انث ضمير الشجر
ثم ذكره قلنا قد سبق جوابه في سورة القمر فان قيل كيف قال تعالى نحن

خلقناكم

خلقناكم فلولا تصدقون اي فهلا تصدقون مع انهم مصدقون انه خالقهم
بدليل قوله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله قلنا هم وان كانوا مصدقين
بالسنتهم الا انهم لما كان مذهبهم خلاف ما يقتضيه التصديق فكانهم مكذبون به
الثاني انه تحضيض على التصديق بالبعث بعد الموت بالاستدلال بالخلق
الاول فكانه تعالى قال هو خلقكم اولا باعترافكم فلا يمتنع عليه ان يعيدكم
ثانيا فهلا تصدقون بذلك فان قيل كيف قال تعالى في الزرع لو نشاء
لجعلناه حطاما باللام وقال تعالى في الماء لو نشاء جعلناه اجاجا بغير لام
قلنا الاصل ان يذكر اللام في الموضعين اذ لا بد منها في جواب لو الا انها حذفت
في الثاني اختصارا وهي منوية لدلالة الاولى عليها الثاني ان اصل هذه
اللام التاكيد فذكرت مع المطعوم دون المشروب لان المطعوم مقدم وجودا
ورتبة لانه انما يحتاج الى الماء تبعا له ولهذا قدمت آية المطعوم على آية المشروب
فلما كان الوعيد بفقد المطعوم اشد واصعب اكد تلك الجملة مبالغة في التهديد
فان قيل التسبيح التنزيه من السوء فما معنى باسم في قوله تعالى فسبح باسم
ربك العظيم وهلا قال تعالى فسبح ربك العظيم قلنا فيه وجوه احدها ان
الباء زائدة والاسم بمعنى الذات فصار المعنى ما قلتم الثاني ان الاسم بمعنى الذكر
ومعناه فسبح بذكر ربك الثالث ان الذكر فيه مضمر ومعناه فاحدث التسبيح
بذكر ربك الرابع قال الضحاك معناه فصل باسم ربك افتتح الصلاة بالتكبير
فان قيل اذا كان القرآن صفة من صفات الله تعالى جل وعز قائمة بذاته
المقدسة فكيف قال تعالى انه لقرآن كريم في كتاب مكنون اي اللوح المحفوظ
او المصحف على اختلاف القولين قلنا معناه مكتوب في كتاب مكنون
ولا يلزم من كتابة القرآن في الكتاب ان يكون القرآن حالا في الكتاب كما لو كتب
انسان على كفه الف دينار لا يلزم منه وجود الف دينار في كفه وكذا لو كتب على
كفه العرش او الكرسي وكذا قال الله تعالى في صفة النبي صلى الله عليه وسلم يجدونه مكتوبا
عندهم في التوراة والانجيل الثاني ان القرآن لو كان حالا في المصحف فاما ان يكون جميعه حالا
في مصحف واحد او في كل مصحف او في كل مصحف بعضه لا سبيل الى الاول لان المصاحف

كاتبها سواء فى الحكم وفى كتابته فيها ولان البعض ليس اولى بذلك من البعض
ولا سبيل الى الثانى والا لزم تعدد القران وانه متحد ولا سبيل الى
الثالث لان كله مكتوب فى كل مصحف ولان هذا المصحف ليس اولى
بهذا البعض من ذلك المصحف وكذا الباقى فثبت انه ليس حالا فى شئ منها
بل هو كلام الله تعالى وكلامه صفة قديمة قايمة لا تفارقه **قال فيل**
فاذا لم تفارقه فكيف سماه منزلا وتنزيلا وقال سبحانه نزل به الروح
الامين ونظايره كثيرة واذا فارقه وباينه يكون مخلوقا لان كل مباين له
فهو غيره وكل ما هو غيره فهو مخلوق **قلنا** معنى انزاله سبحانه وتعالى
علمه لجبريل عليه السلام لحفظه وامره ان يعلمه للنبى صلى الله عليه
وسلم ويامره ان يعلمه لامته مع انه لم يزل ولا يزال صفة الله عز وجل سورة الحديد
قايمة به لا تفارقه **سورة الحديد** **قال قيل** كيف قال تعالى وما لكم
لا تومنون بالله ثم قال سبحانه ان كنتم مومنين **قلنا** معناه ان كنتم مومنين
بموسى وعيسى فان شريعتهما تقتضى الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم الثانى
ان كنتم مومنين بالميثاق الذى اخذه عليكم يوم اخرجكم من ظهر ادم عليه
السلام الثالث ان معناه اى عذر لكم فى ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه
ويتلو عليكم الكتاب الناطق بالبراهين والحجج وقد ركب الله تعالى فيكم العقول
ونصب لكم الادلة ومكنكم من النظر وازاح عللكم فما لكم لا تومنون
ان كنتم مومنين بموجب ما فان هذا الموجب لا مزيد عليه **قال قيل**
كيف قال تعالى لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل ولم يذكر مع من
لا يستوى والاستواء لا يتم الا بذكر اثنين كقوله تعالى قل لا يستوى الخبيث
والطيب لا يستوى اصحاب النار واصحاب الجنة **قلنا** هو محذوف تقديره
ومن انفق وقاتل من بعد الفتح وانما حذف لدلالة ما بعده عليه **قال قيل**
كيف قال ان اعلى الدرجات بعد درجة الانبياء درجة الصديقين والله تعالى
قد حكم على كل مومن بكونه صديقا بقوله تعالى والذين امنوا بالله ورسله اولئك
هم الصديقون **قلنا** قال ابن مسعود ومجاهد رضى الله عنهما كل مومن صدوق

الثانى ان الصديق هو الكثير الصدق والصديق هو الذى كل اقواله وافعاله
واحواله صدق فعلى هذا يكون المراد به بعض المومنين لا كلهم وقد
روى عن الضحاك انها نزلت فى ثمانية نفر سبقوا اهل الارض
فى زمانهم الى الاسلام وهو ابو بكر وعثمان وعلى وحمزة بن عبد
المطلب وطلحة والزبير وسعد وزيد والحق بهم عمر رضى الله عنهم
فصار واسعة **قال قيل** كيف وصف سبحانه هولاء المذكورين بكونهم
شهداء ومنهم من لم يقتل **قلنا** معناه ان لهم اجر الشهداء الثانى
انه جمع شهيد بمعنى شاهد فمعناه انهم شاهدون عند ربهم على
انفسهم بالايمان الثالث انه مبتداء منقطع عما قبله لا معطوف عليه
فمعناه والشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم **قال قيل** كيف قال تعالى
سابقوا الى مغفرة من ربكم والمسابقة من المفاعلة التى لا تكون الا بين
اثنين كقولك سابق زيد عمرا **قلنا** قيل معناه سارعوا مسارعة المسا بقين
لاقرانهم فى الميدان ويويد هذا القول مجيئه بلفظ المسارعة فى سورة ال
عمران وقيل سابقوا ملك الموت قبل ان يقطعكم بالموت عن الاعمال التى
توصلكم الى الجنة وقيل سابقوا ابليس قبل ان يصدكم بغروره وخداعه
عن ذلك **قال قيل** كيف قال تعالى هنا وجنة عرضها كعرض السما والارض
وقال تعالى فى سورة ال عمران وجنة عرضها السموات والارض فكيف يكون
عرضها كعرض السماء الواحدة وكعرض السموات السبع **قلنا** المراد
بالسماء جنس السموات لا سماء واحدة كان المراد بالارض فى الايتين جنس
الارضين فصار التشبيه فى الايتين بعرض السموات السبع والارضين السبع
قال قيل كيف قال تعالى لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم ولا احد
يملك نفسه عند مضرة تنالة ان لا يحزن ولا عند منفعة تنالها ان لا يفرح
ولا يتروح كل واحد منا فى ذلك الى نفسه **قلنا** ليس المراد بذلك الحزن
والفرح الذى لا ينفك عنه الانسان بطبعه قسرا وقهرا بل المراد به
الحزن المخرج لصاحبه الى الذهول عن الصبر والتسليم لامر الله تعالى ورجاء

ثواب الصابرين والفرح المطغي الملهي عن الشكر نعوذ بالله منهما قال قيل
كيف قال تعالى وانزلنا معهم الكتاب والميزان والميزان لم ينزل من السماء قلنا
قيل المراد بالميزان هنا العدل وقيل العقل وقيل السلسلة التي انزلها الله
تعالى على داود عليه السلام وقيل هو الميزان المعروف انزله جبريل عليه السلام
فدفعه الى نوح عليه السلام وقال له مر قومك يزنوا به قال قيل كيف
قال تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وامنوا برسوله مع ان المومنين يومنون برسوله
قلنا معناه يا ايها الذين امنوا بموسى وعيسى امنوا بمحمد فيكون خطابا لليهود
والنصارى خاصة وعليه الاكثرون وقيل معناه يا ايها الذين امنوا يوم الميثاق
اتقوا الله وامنوا برسوله اليوم وقيل معناه يا ايها الذين امنوا بالله في العلانية
باللسان اتقوا الله وامنوا برسوله في السر بتصديق القلب سورة المجادلة سورة المجادلة
قال قيل لاي معنى خص تعالى الثلاثة والخمسة بالذكر في النجوى دون غيرهما
من الاعداد قلنا لان قوما من المنافقين تحلقوا للتناجي على هذين العددين
مغايظة للمومنين فنزلت الاية على صفة حالهم تعريضا بهم وتسميعا لهم
وزيد فيها ما يتناول كل متناجين غير تلك الطائفتين وهو قوله تعالى ولا ادنى
من ذلك ولا اكثر قال قيل ما فايدة قوله تعالى ويحلفون على الكذب وهم
يعلمون قلنا فايدته الاخبار عن المنافقين انهم يحلفون على انهم ما سبوا رسول الله
عليه السلام واصحابه مع اليهود كاذبين متعمدين الكذب وهي اليمين الغموس
فكان ذلك نهاية في ذمهم سورة الحشر قال قيل كيف قال تعالى سورة الحشر
والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم والايمان ليس مكانا لتبوء الا ان معنى
التبوء اتخاذ المكان منزلا قلنا فيه اضمار تقديره واخلصوا الايمان كقول
الشاعر علفتها تبنا وماء باردا اي وسقيتها ماء باردا الثاني انه على
ظاهره بغير اضمار ولكنه مجاز ومعناه انهم جعلوا الايمان مستقرا ومستوطنا لهم
لتمكنهم منه واستقامتهم عليه كما جعلوا دار الهجرة كذلك وهي المدينة قال قيل
كيف قال تعالى ولئن نصروهم بعد الاخبار بانهم لا ينصرونهم وحرف الشرط انما
يدخل على ما يحتمل وجوده وعدمه قلنا معناه ولئن نصروهم على الفرض والتقدير

كقوله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم لئن اشركت ليحبطن عملك
وقوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا والله تعالى يعلم ما يكون
قبل كونه وهو يعلم ما لا يكون انه لو كان كيف يكون قال قيل ما معنى قوله
تعالى للمومنين لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله اي في صدور
المنافقين او اليهود على اختلاف القولين فظاهره لانتم اشد خوفا من الله
فان كان من الله متعلقا باشد لزم ثبوت الخوف لله تعالى كما تقول زيد
اشد خوفا في الدار من عمرو وذلك محال وان كان من الله متعلقا بالخوف
فاين الذي فضل عليه المخاطبون وايضا فان الاية تقتضي اثبات رهبة الخوف
للمومنين وليس المراد ذلك باتفاق المفسرين قلنا رهبة مصدر رهب
مبنيا لما لم يسم فاعله فكانه قيل اشد مرهوبية يعني انكم في صدورهم اهيب
من الله فيها كذا فسره ابن عباس رضي الله عنه ونظيره قولك زيد اشد ضربا
في الدار من عمرو يعني مضروبية قال قيل كيف يستقيم التفضيل وهم ما كانوا
يرهبون الله لانهم لو رهبوه لتركوا النفاق والكفر قلنا معناه ان رهبتهم
في السر منكم اشد من رهبتهم من الله التي يظهرونها لكم وكانوا يظهرون
للمومنين رهبة شديدة من الله تعالى قال قيل كيف قال ابليس اني
اخاف الله وهو لا يخاف الله تعالى لانه لو خافه لما خالفه ثم اضل عبيده
قلنا قد سبق هذا السوال وجوابه في سورة الانفال قال قيل ما فايدة
تنكير النفس والغد في قوله تعالى ولتنظر نفس ما قدمت لغد قلنا اما
تنكير النفس فلاستقلال الانفس النواظر فيما قدمن للاخرة كانه قال ولتنظر
نفس واحدة في ذلك واين تلك النفس واما تنكير الغد فلتعظيمه وابهام امره
كانه قال لغد لا يعرف كنهه لعظمه قال قيل كيف قال تعالى لغد واراد به
يوم القيامة والغد عبارة عن يوم بينه وبيننا ليلة واحدة قلنا الغد له
مفهومان احدهما ما ذكرتم والثاني مطلق الزمان المستقبل ومنه قول الشاعر
واعلم ما في اليوم والامس قبله   ولكنني عن علم ما في غد عمي   واراد به مطلق
الزمان المستقبل كما اراد بالامس مطلق الزمان الماضي فصار لكل واحد منهما مفهومان

ويؤيده ايضا قوله تعالى كان لم تغن بالامس وقيل انما اطلق على يوم القيامة
اسم الغد تقريبا له كقوله تعالى اقتربت الساعة وقوله تعالى وما امر الساعة
الا كلمح البصر او هو اقرب فكانه قال ان يوم القيامة لقربه شبيه بما ليس
بينكم وبينه الا ليلة واحدة ولهذا روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اعمل
لليلة صبيحتها يوم القيامة قالوا اراد بتلك الليلة ليلة الموت **فان قيل**
ما معنى قوله تعالى لو انزلنا هذا القران على جبل الاية **قلنا** معناه انه سبحانه
لو جعل في جبل على قساوته تمييزا كما جعل في الانسان ثم انزل عليه القران
لتشقق خشية من الله تعالى وخوفا ان لا يؤدي حقه في تعظيم القران
والمقصود توبيخ الانسان على قسوة قلبه وقلة خشوعه عند تلاوة القران
واعراضه عن تدبر قوارعه وزواجره **فان قيل** ما الفرق بين الخالق
والباري حتى عطف تعالى احدهما على الاخر **قلنا** الخالق هو المقدر لما يوجده
والباري هو المميز بعضه عن بعض بالاشكال المختلفة وقيل الخالق المبدي
والباري المعيد **سورة الممتحنة** **فان قيل** ما ذا استثنى قوله تعالى
الا قول ابرهيم لابيه **قلنا** من قوله تعالى قد كانت لكم اسوة حسنة في ابرهيم
لانه تعالى اراد بالاسوة الحسنة قوله الذي حكاه عنه وعن اتباعه واشياعه
ليقتدوا به فيه ويتخذوه سنة يستنون بها واستثنى سبحانه استغفاره
لابيه لانه كان عن موعدة وعدها اياه **فان قيل** فان كان استغفاره
لابيه او وعده لابيه بالاستغفار مستثنى من الاسوة فكيف عطف عليه
قوله وما املك لك من الله من شيء وهو لا يصح استثناؤه الا ترى الى قوله تعالى
قل فمن يملك لكم من الله شيئا **قلنا** المقصود بالاستثناء هو الجملة الاولى فقط
وما بعدها ذكر لانه من تمام كلام ابرهيم عليه السلام لا لقصد الاستثناء كانه
قال انا استغفر لك وما في طاقتي الا الاستغفار **فان قيل** ما فائدة قوله تعالى
ولا يعصينك في معروف ومعلوم ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يامر باسر
الا بمعروف فهلا اقتصر على قوله تعالى ولا يعصينك **قلنا** فائدته سرعة
تبادر الافهام الى قبح المعصية منهن لو وقعت من غير توقف الفهم على

المقدمة التي اوردتم في السؤال **سورة الصف** **فان قيل**
ما فائدة قد في قوله وقد تعلمون اني رسول الله اليكم **قلنا** فائدتها التوكيد
كانه قال وتعلمون علما يقينا لا شبهة لكم فيه هذا جواب الزمخشري
وقال غيره فائدتها التكثير لان قد مع الفعل المضارع تارة تاتي للتقليل
كقولهم ان الكذوب قد يصدق وتارة تاتي للتكثير كقول الشاعر قد اعسف
النازح المجهول معسفه في ظل اغطف تدعو هامه اليوم وانما يتمدح
بما يكثر وجوده منه لا بما لا يقل **فان قيل** كيف قال عيسى عليه السلام
ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد ولم يقل محمد ومحمد اشهر اسماء
النبي صلى الله عليه وسلم **قلنا** انما قال اسمه احمد لانه مذكور في الانجيل
بعبارة تفسيرها احمد لا محمد وانما كان كذلك لان اسمه في السماء احمد
وفي الارض محمد فنزل في الانجيل اسمه السماوي وقيل ان احمد ابلغ في معنى
الحمد من محمد من جهة كونه مبنيا على صيغة التفضيل وقيل محمد ابلغ من
جهة كونه مبنيا على صيغة التفعيل الذي هو للتكثير **فان قيل** كيف قال
تعالى فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين ولم يقل سبحانه هذه والمشار
اليه البينات وهي مؤنث **قلنا** معناه هذا الذي جئت به فالاشارة
الى ما اتى به **فان قيل** ما وجه صحة التشبيه وظاهره تشبيه كونهم انصار
الله بقول عيسى عليه السلام من انصاري الى الله **قلنا** التشبيه محمول
على المعنى تقديره كونوا انصار الله كما كان الحواريون انصارا لعيسى
عليه السلام حين قال لهم من انصاري الى الله **سورة الجمعة** **فان**
كيف قال تعالى فاسعوا الى ذكر الله والسعي العدو والى كل صلوة مكروه
قيل المراد بالسعي القصد وقال الحسن ليس هو السعي على الاقدام ولكنه
على النيات والقلوب ويؤيده قول الحسن قوله تعالى وان ليس للانسان
الا ما سعى وقول الداعي في دعاء القنوت واليك نسعى ونحفد وليس المراد به
العدو والاسراع بالقدم **فان قيل** كيف قال تعالى انفضوا اليها والمذكور
شيئان اللهو والتجارة **قلنا** قد سبق جواب هذا في سورة التوبة في قوله تعالى

ولا ينفقونها في سبيل الله والذي يريده هنا ما قاله الزجاج معناه واذا راوا
تجارة انفضوا اليها ولهوا انفضوا اليه فحذف احدهما لدلالة المذكور عليه
وقرا ابن مسعود اليهما بضمير التثنية سورة المنافقين فان قيل ما فائدة
قوله تعالى والله يعلم انك لرسوله قلنا لو قال تعالى قالوا نشهد انك لرسول الله
والله يشهد انهم لكاذبون لكان يوهم ان قولهم هذا كذب وليس المراد
ان شهادتهم هذه كذب بل المراد انهم كاذبون في غير هذه الشهادة وقال
اكثر المفسرين انه تكذيب لهم في هذه الشهادة لانهم اضمروا خلاف ما اظهروا
ولم يعتقدوا انه رسول الله بقلوبهم فسماهم كاذبين لذلك فعلى هذا يكون
ذلك تاكيدا فان قيل المنافقون ما برحوا على الكفر فكيف قال تعالى
ذلك بانهم امنوا ثم كفروا قلنا معناه ذلك الكذب الذي حكم عليهم به او ذلك
الاخبار عنهم بانهم ساء ما كانوا يعملون بسبب انهم امنوا بالسنتهم ثم كفروا بقلوبهم
فطبع على قلوبهم كما قال تعالى في وصفهم واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا
الى شياطينهم الاية الثاني ان المراد به اهل الردة منهم فان قيل كيف قال تعالى
يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو ولم يقل هي العدو قلنا عليهم هو ثاني
مفعولي يحسبون تقديره يحسبون كل صيحة واقعة عليهم اي لجبنهم وقلقهم
والوقف على قوله تعالى عليهم وقوله سبحانه هم العدو ابتداء كلام وقيل
ان المفعول الثاني هو قوله تعالى هم العدو ولكن تقديره يحسبون اهل كل
صيحة عليهم هم العدو والاول اظهر بدليل عدم نصب العدو سورة التغابن
فان قيل كيف قال تعالى فمنكم كافر ومنكم مومن قدم الكافر في الذكر قلنا
الواو لا تعطي رتبة ولا تقتضي ترتيبا كما قال تعالى فمنهم شقي وسعيد وقال
سبحانه لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة وقال تعالى فمنهم ظالم
لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات وقال تعالى يهب لمن يشاء اناثا ويهب
لمن يشاء الذكور وقد ذكرنا في الاية الاخيرة معنى اخر في موضعها فان قيل
قوله تعالى وتولوا واستغنى الله يوهم وجود التولي والاستغناء معا بعد مجي
رسلهم اليهم والله تعالى لم يزل غنيا قلنا معناه وظهر استغنا الله سبحانه

سورة المنافقين

سورة التغابن

عن ايمانهم وعبادتهم حيث لم يلجيهم الى الايمان ولم يضطرهم اليه مع
قدرته على ذلك فان قيل كيف قال تعالى ومن يومن بالله يهد قلبه
مع ان الهداية سابقة على الايمان لانه لو لا تسبق الهداية لما وجد الايمان
قلنا ليس المراد به يهد قلبه للايمان بل المراد به يهد قلبه لليقين عند
نزول المصايب فيعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطاه لم يكن ليصيبه
الثاني يهد قلبه للرضا والتسليم عند نزول المصايب الثالث يهد قلبه
للاسترجاع عند نزول المصايب وهو ان يقول انا لله وانا اليه راجعون
الرابع يهد قلبه اي يجعله ممن اذا ابتلي صبر واذا انعم عليه شكر واذا ظلم
غفر الخامس يهد قلبه لاتباع السنة اذا صح ايمانه وقري يهدأ قلبه
بفتح الدال وبالهمزة من الهدو وهو السكون فمعناه ومن يومن بالله ايمانا
خالصا يسكن قلبه ويطمين عند نزول المصايب والمحن فلا يجزع ويقلق
سورة الطلاق فان قيل كيف قال تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النسا افرد
الخطاب اولا ثم جمعه ثانيا قلنا افرد سبحانه النبي صلى الله عليه وسلم اولا
بالخطاب لانه امام امته وقدوتهم اظهارا لتقدمه ورياسته وانه وحده
في حكم كلهم وساد مسد جميعهم الثاني ان معناه يا ايها النبي قل لامتك اذا طلقتم
النساء فان قيل كيف قال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من
حيث لا يحتسب ونحن نرى كثيرا من الاتقياء مضيقا عليهم رزقهم قلنا قيل
معناه يجعل له مخلصا من هموم الدنيا والاخرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدايد يوم القيامة
وقال ابن عباس رضي الله عنه ينجيه من كل كرب في الدنيا والاخرة والصحيح
ان هذه الاية عامة وان الله تعالى يجعل لكل متق مخرجا من كل ما يضيق
على من لا يتقي ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم اني لاعلم اية لو اخذ الناس
بها لكفتهم ومن يتق الله وجعل يقراها ويعيدها واما تضييق رزق الاتقياء
فهو مع ضيقه وقلته ياتيهم من حيث لا يأملون ولا يرجون وتقليله لطف بهم
ورحمة ليتوفر حظهم في الاخرة ويخف حسابهم ولتقل عوايقهم وعلايقهم عن الاشغال

سورة الطلاق

بمواهم ولا تشغلهم الرخاء والسعة عما خلقوا له من الطاعة والعبادة
ولهذا اختار الانبياء والاولياء والصديقون الفقر على الغنا فان قيل
كيف قال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه اى وثق واثق به فيما نابه
كفاه الله تعالى ما اهمه وقد راينا كثيرا من الناس يتوكل على الله فى بعض اموره
وحوايجه ولا يكفيه الله سبحانه همهما قلنا محال انه يتوكل على الله حق
توكله ولا يكفيه الله همه بل ربما قلق وضجر واستبطأ قضاء حاجته
بقلبه او بلسانه ايضا فيفسد توكله واليه الاشارة بقوله تعالى ان الله
بالغ امره اى نافذ حكمه يبلغ ما يريده ولا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب
وبقوله تعالى قد جعل الله لكل شىء قدرا اى جعل لكل شىء من الفقر والغنى
والمرض والصحة والشدة والرخاء ونحو ذلك اجلا ومنتهى ينتهى اليه لا يتقدم عنه
ولا يتاخر فان قيل كيف قال تعالى واللائى يئسن من المحيض من نسائكم ان
ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر علقه بشككنا مع ان عدتهن ذلك سواء وجد
شككنا ام لا قلنا المراد بالشك الجهل بمقدار عدة الايسة والصغيرة وانما علقه به
لانه لما نزل بيان عدة ذوات الاقراء فى سورة البقرة قال بعض الصحابة رضى الله عنهم
قد بقى الكبار والصغار لا ندرى كم عدتهن فنزلت هذه الاية على هذا السبب
فلذلك جاءت مقيدة بالشك والجهل فان قيل اذا كانت المطلقة طلاقا
باينا يجب لها النفقة عند بعض العلماء فما فائدة قوله تعالى وان كن اولات حمل
فانفقوا عليهن عند ذلك القايل قلنا فايدته ان لا يتوهم انه اذا طالت
مدة الحمل بعد الطلاق حتى مضت مدة عدة الحامل سقطت النفقة فنفى هذا
الوهم بقوله تعالى حتى يضعن حملهن فان قيل كيف قال تعالى هنا سيجعل
الله بعد عسر يسرا وقال تعالى فى موضع اخر ان مع العسر يسرا فكيف التوفيق
بينهما قلنا المراد بقوله تعالى بعد بعده لان الضدين لا يجتمعان فان قيل
كيف قال تعالى وكاين من قرية عتت عن امر ربها ورسله فحاسبناها حسابا
شديدا وعذبناها عذابا نكرا فنسب العتو اليها وقال تعالى فحاسبناها
وعذبناها والعذاب المرتب على الحساب يكون فى الاخرة لا فى الدنيا

قلنا معناه عتا اهلها وانما جى به على لفظ الماضى تحقيقا وتقريرا
لان المنتظر من وعد الله تعالى ووعيده آت لا محالة وما هو كاين
فكان قد ونظيره قوله تعالى ونادى اصحاب النار وما اشبهه سورة التحريم
فان قيل قوله تعالى وصالح المؤمنين ان كان المراد به الفرد فاى فايدة
هو وايضا فانه لا يناسب مقابلة الملايكة الذين هم جمع وان كان المراد به
الجمع فهلا كان مكتوبا فى المصحف بالواو قلنا هو فرد اريد به الجمع
كقولك لا يفعل هذا الفعل الصالح من الناس يريد به الجنس كقولك
لا يفعله من صلح منهم وقوله تعالى ان الانسان خلق هلوعا وقوله
سبحانه ان الانسان لفى خسر وقوله تعالى والملك على ارجايها وقوله
تعالى ثم نخرجكم طفلا ونظايره كثيرة الثانى انه يجوز ان يكون جمعا ولكنه
كتب فى المصحف بغير واو على اللفظ كما جاءت الفاظ كثيرة فى المصحف
على اللفظ دون اصلاح الخط فان قيل كيف قال تعالى والملايكة بعد
ذلك ظهير ولم يقل ظهراء وهو خبر عن الجمع وهم الملايكة قلنا هو فرد
وضع موضع الجمع كما سبق الثانى انه اسم على وزن المصدر كالذميل
والذبيب والصليل فيستوى فيه الفرد والتثنية والجمع الثالث انه فعيل
يستوى فيه الواحد والاثنان والجمع بدليل قوله تعالى عن اليمين وعن
الشمال قعيد فان قيل قوله تعالى بعد ذلك تعظيم للملايكة ومظاهرتهم
وقد تقدمت نصرة الله تعالى وجبريل وصالح المؤمنين ونصرة الله سبحانه اعظم
قلنا مظاهرة الملايكة من جملة نصرة الله تعالى وكانه فضل نصرته بهم
على ساير وجوه نصرته لفضلهم وشرفهم ولا شك ان نصرته بجميع الملايكة
اعظم من نصرته بجبريل وحده او بصالح المؤمنين فان قيل كيف قال
تعالى عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات
الى اخر الاية فاثبت الخيرية لهن باتصافهن بهذه الصفات وانما تثبت
لهن الخيرية بهذه الصفات لو لم تكن تلك الصفات ثابتة فى نساء النبى
صلى الله عليه وسلم وهى ثابتة فيهن قلنا المراد به خيرا منكن فى حفظ

قلبه ومتابعة رضاه مع اتصافهن بهذه الصفات المستركد بينكن
وبينهن فان قيل كيف اخليت الصفات كلها عن الواو واثبتت بين
الثيبات والابكار قلنا لانهما صفتان متنافيتان لا يجتمعان فيهن
اجتماع ساير الصفات فلم يكن بد من الواو ومن جعلها واو الثمانية فقد
سهى لان واو الثمانية لا تفسد الكلام بحذفها بخلاف هذا فان قيل
هذه الصفات انما ذكرت في معرض المدح فاى مدح في كونهن ثيبات قلنا
التثييب اقبل للحبل بالنقل واكثر تجربة وعقلا والبكارة مدح من جهة
فانها اطهر واطيب واكثر مداعبة وملاعبة فان قيل ما فائدة قوله تعالى
ويفعلون ما يؤمرون بعد قوله سبحانه لا يعصون الله ما امرهم قلنا قيل
المراد بالامر الاول الامر بالعبادات والطاعات وبالامر الثاني الامر بتعذيب
اهل النار وقيل هو تاكيد فان قيل كيف قال تعالى توبة نصوحا ولم يقل
سبحانه نصوحة قلنا لان فعولا من اوزان المبالغة التي يستوى
في لفظه الذكور والاناث كقولهم امراة صبور وشكور ونحوهما
فان قيل ما فائدة قوله تعالى من عبادنا بعد قوله سبحانه كانتا تحت عبدين
قلنا فائدته مدحهما والثناء عليهما باضافتهما اليه اضافة التشريف
والتخصيص كما في قوله تعالى وعباد الرحمن وقوله تعالى فادخلي في عبادي
وهو مبالغة في المعنى المقصود وهو ان الانسان لا ينفعه الا صلاح نفسه
لا صلاح غيره وان كان ذلك الغير في اعلاء مراتب الصلاح والقرب
من الله تعالى فان قيل كيف قال تعالى وكانت من القانتين ولم يقل سبحانه
من القانتات قلنا معناه وكانت من القوم القانتين اى المطيعين
لله تعالى يعنى رهطها واهلها وكانه تعالى قال وكانت من بنات الصالحين
وقيل ان الله تعالى لما تقبلها في النذر واعطاها مرتبة الذكور الذين كان
لا يصح النذر الا بهم عاملها معاملة الذكور في بعض الخطاب اشار الى
ذلك فقال تعالى واركعي مع الراكعين وقال تعالى وكانت من القانتين
سورة الملك فان قيل ما فائدة تقديم الموت على الحياة في قوله تعالى الذى سورة الملك

خلق

خلق الموت والحياة قلنا انما قدم سبحانه الموت لانه هو المخلوق اولا قال
ابن عباس رضى الله عنه المراد به خلق الموت في الدنيا والحياة في الاخرة
ولو سلم ان المراد به الحياة في الدنيا فالموت سابق عليها لقوله تعالى
وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم فان قيل كيف قال تعالى
ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت مع ان في خلقه سبحانه تفاوتا عظيما
فان الاضداد كلها من خلقه عز وجل وهي متفاوتة والسموات ايضا
متفاوتة في الصغر والكبر والارتفاع والانخفاض وغير ذلك قلنا المراد
بالتفاوت ههنا الخلل والعيب والنقصان في مخلوقه الذى هو السموات
ويؤيده قوله تعالى فارجع البصر هل ترى من فطور اى من شقوق وصدوع
في السماء فان قيل كيف قال تعالى اامنتم من في السماء والله سبحانه وتعالى
ليس في السماء ولا في غير السماء بل هو سبحانه منزه عن كل مكان قلنا
معناه من ملكوته في السماء لانها مسكن ملائكته ومحل عرشه وكرسيه
واللوح المحفوظ ومنها تنزل اقضيته وكتبه واوامره ونواهيه الثاني
انهم كانوا يعتقدون التشبيه وانه تعالى في السماء فخوطبوا على حسب اعتقادهم
سورة نون سورة النون فان قيل كيف قال تعالى ولا يستثنون اى ولا يقولون
ان شاء الله فسمى الشرط استثناء قلنا انما سماه استثناء لانه في معناه
فان معنى قولك لا اخرج ان شاء الله ولا اخرج الا ان يشاء الله واحد
وقال عكرمة المراد به حقيقة الاستثناء اى انهم لا يستثنون حق المساكين
والجمهور على الاول فان قيل كيف سمى الاستثناء تسبيحا فقال
الم اقل لكم لولا تسبحون اى لولا تستثنون قلنا انما سماه تسبيحا لاشتراكهما
في معنى التعظيم لان الاستثناء تفويض الى الله واقرار بانه لا يقدر احد ان يفعل
فعلا الا بمشيئته سبحانه والتسبيح تنزيه له عن السوء الثاني انه كان
استثناؤهم قول سبحان الله الثالث ان معناه لولا تنزهون انفسكم
واموالكم عن حق الفقراء فان قيل كيف قال تعالى ويدعون الى السجود
ولا تكليف في الدار الاخرة قلنا لا يدعون اليه تكليفا وتعبدا ولكن توبيخا

وتعنيفا على تركه في الدنيا فان قيل كيف قال تعالى وقد كانوا يدعون
الى السجود وانما كانوا يدعون الى الصلوة فان المراد بالاية دعاوهم الى وهم
الجماعات بالاذان والموذن انما يقول حي على الصلاه قلنا عبر سبحانه عن
الصلوة بالسجود لانه من اركانها بل هو اعظم الاركان وغايتها كما عبر عنها
بالركوع وبالقران فان قيل كيف قال تعالى وهم سالمون اي صحيحون
مع ان الصحه ليست شرطا لوجوب الصلوة قلنا وجوب الخروج الى
الصلاه بالجماعه مشروط بالصحة وهو المراد سورة الحاقة فان قيل سورة الحاقة
كيف قال تعالى بريح صرصر ولم يقل صرصرة كما قال عاتية وصرصر لمونث
لانها الشديدة الصوت او الشديدة البرد قلنا لان الصرصر
وصف مخصوص بالريح لا يوصف به غيرها فاشبه باب حائض وطامث
وحامل بخلاف عاتية فان غير الريح من الاسماء المونثة يوصف به
فان قيل كيف قال تعالى فترى القوم فيها صرعى اي في تلك الليالي
والايام والنبي صلى الله عليه وسلم ما راهم فيها قلنا فيها طرف لقوله تعالى
صرعى لا لقوله فترى والروية هنا من روية العلم والاعتبار فصار المعنى
فتعلمهم صرعى في تلك الليالي والايام باعلامنا حتى كانك تشاهدهم فان
قيل كيف قال تعالى فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة الى قوله سبحانه يومئذ
تعرضون والمراد بها النفخة الاولى وهي نفخة الصعق بدليل ما ذكر بعدها
من فساد العالم العلوي والسفلي والعرض انما يكون بعد النفخة الثانية
وبين النفختين من الزمان ما شا الله تعالى فكيف قال سبحانه يومئذ تعرضون
قلنا وضع اليوم موضع الوقت الواسع الذي يقع فيه النفختان وما بعدهما
فان قيل كيف قال تعالى اني ظننت اني ملاق حسابيه قلنا معناه تيقنت
والظن يطلق بمعنى اليقين كما في قوله تعالى الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم
اليه راجعون فان قيل كيف قال تعالى في وصف اهل النار فليس له
اليوم ههنا حميم ولا طعام الا من غسلين وقال سبحانه في موضع اخر
ليس لهم طعام الا من ضريع وفي موضع اخر ان شجرة الزقوم طعام الاثيم

وفي موضع اخر ثم انكم ايها الضالون المكذبون لاكلون من شجر من زقوم
وفي موضع اخر اولئك ما ياكلون في بطونهم الا النار قلنا معناه الا من غسلين
وما اشبهه او وضع الغسلين موضع كل طعام موذ كريه الثاني ان
العذاب الوان والمعذبون طبقات فمنهم اكلة الزقوم ومنهم اكلة الغسلين
ومنهم اكلة الضريع لكل باب منهم جزء مقسوم فان قيل كيف قال تعالى
انه لقول رسول كريم يعني ان القران قول جبريل عليه السلام مع انه قول
الله لا قول جبريل قلنا الاكثرون على ان المراد به النبي صلى الله عليه وسلم
والمعنى انه تقوله ويتكلم به على وجه الرسالة من عند الله تعالى لا من تلقاء
نفسه كما تزعمون فان قيل كيف قال تعالى فما منكم من احد عنه حاجزين
فوصف الفرد بالجمع قلنا قد سبق مثل هذا السوال وجوابه في اخر سورة
البقرة سورة المعارج فان قيل كيف قال تعالى ان الانسان خلق سورة المعارج
هلوعا وتفسيره ما بعده والانسان في حال خلقه ما كان موصوفا بهذه الصفات
قلنا هلوعا حال مقدرة والمعنى مقدرا فيه الهلع كما في قوله تعالى محلقين
روسكم وهم ليسوا محلقين حال الدخول فان قيل كيف قال تعالى الا الذين
هم على صلوتهم دايمون ثم قال ثانيا والذين هم على صلوتهم يحافظون فهل بينهما
فرق قلنا المراد بالدوام عليها المواظبة والملازمة ابدا وقيل المراد به سكونهم
فيها بحيث لا يلتفتون يمينا وشمالا واختاره الزجاج وقال اشتقاقه من الدايم
بمعنى الساكن كما جاء في الحديث انه صلى الله عليه وسلم نهى عن البول في الما الدايم
قلنا وقوله تعالى على ينفي هذا المعنى فانه لا يقال هو على صلاته ساكن بل
يقال هو في صلاته ساكن والمراد بالمحافظة عليها اداوها على اكمل وجوهها
جامعة لجملة سننها واداتها فالدوام يرجع الى نفس الصلوة والمحافظة الى
احوالها سورة نوح عليه السلام فان قيل كيف قال تعالى ويوخركم الى سورة نوح عليه السلام
اجل مسمى فان كان المراد به تاخيرهم عن الاجل المقدر لهم في الازل فهو محال
لقوله تعالى ولن يوخر الله نفسا اذا جاء اجلها وقوله تعالى ان اجل الله اذا
جاء لا يوخر وان كان المراد به تاخيرهم الى مجي الاجل المقدر لهم في الازل

فما فائدة تخصيصهم بهذا وهم وغيرهم في ذلك سواء على تقدير وجود الايمان
منهم وعدم وجوده **قلنا** معناه ويؤخركم عن العذاب الى منتهى آجالكم
على تقدير الايمان فلا يعذبكم في الدنيا كما عذّبت غيركم من الامم الكافرة
الثاني ان الله سبحانه وتعالى قضى انهم ان آمنوا عمرهم الف سنة وان لم يؤمنوا
اهلكهم بالعذاب لتمام خمسمائة فقيل لهم آمنوا يؤخركم الى ذلك الاجل
فان قيل كيف امرهم بالاستغفار والاستغفار انما يصح من المؤمن دون
الكافر **قلنا** معناه استغفروا ربكم من الشرك بالتوحيد **فان قيل**
كيف قال والله انبتكم من الارض نباتا والحيوان ضد النبات فكيف يطلق
على الحيوان انه نبات **قلنا** هو استعارة للانشاء والاخراج من الارض
بواسطة ادم عليه السلام **فان قيل** كيف دعا نوح عليه السلام على
قومه بقوله ولا تزد الظالمين الا ضلالا مع انه ارسل ليهديهم ويرشدهم
قلنا انما دعا عليهم بذلك بعد ما اعلمه الله تعالى انهم لا يؤمنون **فان قيل**
كيف قال ولا يلدوا الا فاجرا كفارا **قلنا** معناه انهم لا يلدون الا من يفجر
ويكفر اذا بلغ وانما علم ذلك باعلام الله سبحانه وتعالى **سورة الجن** **فان قيل**
كيف قال تعالى وانه لما قام عبد الله ولم يقل سبحانه رسول الله او نبي الله
والمراد به النبي صلى الله عليه وسلم **قلنا** لانه صلى الله عليه وسلم لم يكن
في ذلك المقام مرسلا اليهم بل اتفق مروره بهم وجوازه عليهم فلو قال
رسول الله او نبي الله لاوهم ذلك قصد اداء الرسالة اليهم **فان قيل**
كيف قال تعالى قل ان ادري اقريب ما توعدون ام يجعل له ربي امدا
الامد اسم للغاية والغاية تكون زمانا قريبا وزمانا بعيدا ويؤيده قوله تعالى
يود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا **قلنا** اراد بالقريب الحال وبالمجعول له الامد
المؤجل سواء كان الاجل قريبا او بعيدا **سورة المزمل** **فان قيل**
ما معنى وصف القران بالثقل في قوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا **قلنا**
فيه وجوه احدها انه كان يثقل نزول الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم حتى
يعرق عرقا شديدا في اليوم الشاتي الثاني ان العمل بما فيه من التكاليف

ثقيل

ثقيل يشاق الثالث انه ثقيل في الميزان يوم القيامة الرابع انه ثقيل
على المنافقين الخامس انه كلام له وزن ورجحان كما يقال للرجل العاقل
هو رزين راجح السادس انه ليس بسفساف لان السفساف
من الكلام يكون خفيفا **فان قيل** كيف قال تعالى السماء منفطر به
ولم يقل سبحانه منفطرة به والسماء مؤنثة **قلنا** هو على النسب
اي ذات انفطار وقيل ذكّر السماء على معنى السقف وقيل معناه السماء
شيء منفطر به وقيل السماء يذكر ويؤنث **فان قيل** كيف قال تعالى
والله يقدر الليل والنهار علم ان لن تحصوه ولم يقل سبحانه ان لن تحصوهما
اي لن تعرفوا تحقيق مقادير ساعات الليل والنهار **قلنا** الضمير عائد
الى مصدر يقدّر ومعناه لن تحصوا تقديرهما **سورة المدثر** **فان قيل**
ما فائدة قوله تعالى غير يسير بعد قوله سبحانه فذلك يومئذ يوم عسير على
الكافرين **قلنا** قيل معناه انه عسير لا يرجى ان يرجع يسيرا كما يرجى
تيسير العسير من امور الدنيا وقيل انه تأكيد **فان قيل** ما فائدة التكرار
لا تبقي ولا تذر ومعناهما واحد **قلنا** معناه لا تبقي للكفار لحما ولا تذر
لهم عظما وقيل معناه لا تبقيهم احياء ولا تذرهم امواتا **فان قيل**
كيف قال تعالى ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون وما سبق
من وصفهم بالاستيقان وازدياد الايمان دل على انتفاء الارتياب والجمل
كلها متعلقة بعدد خزنة النار فالمعنى ليستيقن الذين اوتوا الكتاب
ان ما جاء به محمد عليه السلام حق حيث اخبر عن عدد خزنة النار بمثل
ما في التورية ويزداد الذين امنوا من اهل الكتاب ايمانا بالنبي صلى الله عليه
وسلم والقران حيث وجدوا ما اخبرهم به مطابقا لما في كتابهم **قلنا** فائدته
التأكيد والتعريض بحال من عداهم من الشاكين وهم الكافرون
والمنافقون ومعناه ولا يرتاب هؤلاء كما ارتاب اولئك **فان قيل** كيف قال
تعالى ماذا اراد الله بهذا مثلا يعني حصر عدد الخزنة في تسعة عشر وذلك
ليس بمثل **قلنا** هو استعارة من المثل المضروب لما وقع غريبا وبديعا

في الكلام استغرابا منهم لهذا العدد واستبعادا له والمعنى اي شيء اراد الله
بهذا العدد العجيب واي حكمة قصد في جعل الخزنة تسعة عشر لا عشرين
الثاني ان المثل هنا بمعنى الصفة كما في قوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون
والمعنى ماذا اراد الله بهذا العدد صفة للخزنة فان قيل كيف طابق قوله تعالى
ما سلككم في سقر وهو سؤال للمجرمين قوله تعالى يتساءلون عن المجرمين وهو
سؤال عنهم وانما المطابق الظاهر يتساءلون المجرمين ما سلككم في سقر ويتساءلون
عن المجرمين ما سلككم في سقر اي سأل اهل الجنة بعضهم بعضا عن اهل النار
قلنا قوله تعالى ما سلككم ليس بيانا للتساؤل عنهم وانما هو حكاية قول
المسؤولين عن المجرمين فالمسؤولون من اهل الجنة القوا الى السائلين ما جرى بينهم
وبين المجرمين وذلك ان المؤمنين اذا اخرجهم الله تعالى من النار بعدما عذبهم بقدر
ذنوبهم وادخلهم الجنة سألهم بعض اصحاب اليمين عن حال المجرمين وسبب تخليدهم
فقال المسؤولون قلنا لهم ما سلككم في سقر الابد وهؤلاء المؤمنون بعد اخراجهم
من النار وادخالهم الى الجنة صاروا من اصحاب اليمين وقيل المراد باصحاب اليمين
الملائكة وقيل الاطفال لانهم لا يرتهنون بذنوب اذ لا ذنوب لهم **سورة**
القيامة **فان قيل** ما معنى قوله تعالى فاذا قرأناه فاتبع قرآنه والقارئ له على النبي صلى الله
عليه وسلم انما هو جبريل عليه السلام **قلنا** معناه فاذا جمعناه في صدرك ويؤيده
اول الاية ان علينا جمعه وقرآنه اي ان علينا جمعه في صدرك ولا تعجل بقراءته
قبل ان يتم حفظه وقيل انما اضيف القراءة الى الله تعالى لا الى جبريل عليه السلام
لقراءته بامره كما تضاف الافعال الى الملوك والامراء بحكم الامر مع ان المباشر
لها اعوانهم واتباعهم **فان قيل** كيف قال تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة
والذي يوصف بالنظر الذي هو الابصار والادراك انما هو العين دون الوجه **قلنا**
قيل ان المراد بالوجوه هنا السعداء واهل الوجاهة يوم القيامة لا الوجه الذي
هو العضو ولا ارى هذا الجواب مطابقا لقوله تعالى وجوه يومئذ باسرة لان العبوس
والقطوب انما يوصف بهما الوجه الذي هو العضو وانما يؤيد ان المراد بقوله تعالى
وجوه يومئذ ناضرة الاعضاء المعروفة قوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم

سورة القيامة

فان قيل

فان قيل النطفة المني فما فائدة قوله تعالى الم يك نطفة من مني يمنى
قلنا النطفة استعملت هنا بمعنى القطرة لان النطفة تطلق على الماء
القليل والكثير ومنه الحديث حتى يسير الراكب بين النطفتين
لا يخشى جورا اراد بحر المشرق والمغرب **سورة الانسان** **فان قيل** كيف
قال تعالى من نطفة امشاج فوصف المفرد وهو النطفة بالجمع وهو الامشاج
لانه جمع مشيج والامشاج الاخلاط والمراد انه مخلوق من نطفة مختلطة
من ماء الرجل والمرأة **قلنا** قال الزمخشري امشاج لفظ مفرد لا جمع كقولهم
بُرْمَةٌ أَعْشَارٌ وبَيْتٌ أَكْبَاشٌ وبُرْدٌ أَهْدَامٌ وقال غيره الموصوف به اجزاء
النطفة وابعاضها **فان قيل** كيف قال تعالى نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا
والابتلاء متاخر عن جعله سميعا بصيرا **قلنا** قال الفراء فيه تقديم وتاخير
تقديره فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه وقال غيره معناه ناقلين له من
حال الى حال نطفة ثم علقة ثم مضغة فسمى ذلك ابتلاء استعارة **فان قيل**
كيف قال تعالى قوارير من فضة والقوارير اسم لما يتخذ من الزجاج **قلنا** معناه
ان تلك الاكواب مخلوقة من فضة وهي مع بياض الفضة وحسنها في صفاء
القوارير وشفيفها قال ابن عباس رضي الله عنه لو ضربت فضة الدنيا
حتى جعلتها مثل جناح الذباب لم ير الماء من ورائها وقوارير الجنة من
فضة ويرى ما فيها من ورائها **فان قيل** ما معنى قوله تعالى كانت قوارير **قلنا**
معناه تكونت فهو من قوله تعالى كن فيكون وكذا قوله تعالى كان مزاجها كافورا
فان قيل كيف شبه تعالى الولدان باللؤلؤ المنثور دون المنظوم **قلنا** انما شبههم
سبحانه باللؤلؤ المنثور لانه اراد تشبيههم باللؤلؤ الذي لم يثقب بعد لانه اذا ثقب
نقصت مائيته وصفاؤه واللؤلؤ الذي لم يثقب لا يكون الا منثورا وقيل انما
شبههم تعالى باللؤلؤ المنثور لان اللؤلؤ المنثور على البساط احسن منظرا من
المنظوم وقيل انما شبههم سبحانه باللؤلؤ المنثور لانتشارهم وانبثاثهم
في مجالسهم ومنازلهم وتفرقهم في الخدمة بدليل قوله تعالى ويطوف عليهم ولو كانوا

سورة الانسان

وقوفًا صفًا لتشبيههم بالمنظوم قال قيل كيف قال تعالى وحلّوا اساور
من فضة مع ان ذلك في الدنيا انما هو عادة الاماء ومن في معنى منهن
قلنا القران اول من خوطب به العرب وكان من عادة رجالهم ونسائهم
من بيت المملكة التحلي بالذهب والفضة منفردين ومجتمعين الثاني ان الاسم
وان كان مشتركا بين فضة الدنيا والاخرة ولكن شتان بينهما قال النبي صلى الله عليه
وسلم المقال من فضة الاخرة خير من الدنيا وما فيها وكذا الكلام في السندس
والاستبرق وغيرهما مما وعد الله تعالى في الجنة قال قيل اي شرف لتلك
الدار بسقي الله تعالى عباده الشراب الطهور فيها مع انه في الدنيا سقاهم ذلك
بدليل قوله تعالى واسقيناكم ماء فراتا وقوله تعالى وانزلنا من السماء ماء
فاسقيناكموه قلنا المراد به في الاخرة سقيهم بغير واسطة وشتان بين
الشرابين والانيتين ايضا قال قيل قوله تعالى ولا تطع منهم اثما او كفورا
الضمير لمشركي مكة بلا خلاف فما معنى تقسيمهم الى الاثم والكفور وكلهم اثم
وكلهم كفور قلنا المراد بالاثم عتبة بن ربيعة فانه كان ركابا للماثم
متعاطيا لانواع الفسوق والمراد بالكفور الوليد بن المغيرة فانه كان
غاليا في الكفر شديد الشكيمة فيه مع ان كليهما كافر واثم والمراد به نهيه
عن طاعتهم فيما كانوا يدعونه اليه من ترك الدعوة وموافقتهم فيما كانوا عليه
من الكفر والضلال قال قيل ما معنى النهي عن طاعة احدهما وهلا نهى
عن طاعتهما قلنا قال بعضهم ان او هنا بمعنى الواو كما في قوله تعالى او الحوايا
الثاني انه لو قال سبحانه ولا تطعهما لجاز له ان يطيع احدهما واما اذا قيل ولا تطع
احدهما كان منهيا عن طاعتهما بالضرورة قال قيل كيف قال تعالى هنا وشددنا
اسرهم اي خلقهم وقال تعالى في موضع اخر وخلق الانسان ضعيفا قلنا
قال ابن عباس رضي الله عنه والاكثرون المراد به انه ضعيف عن الصبر عن النساء
فلذلك اباح الله تعالى نكاح الامة كما سبق قبل هذه الاية وقال الزجاج معناه
انه يغلبه هواه وشهوته فلذلك وصف بالضعف واما قوله تعالى وشددنا

اسرهم فمعناه ربطنا اوصالهم بعضها الى بعض بالعروق والاعصاب — عجب الذنب
وقيل المراد بالاسر العصعص في الانسان في القبر يصير رفاتا الا عصعصه
فانه لا يتفتت وقال مجاهد المراد بالاسر مخرج البول والغايط فانه يسترخي
حتى يخرج منه الاذى ثم ينقبض ويجتمع ويشتد بقدرة الله تعالى سورة — المرسلات
المرسلات قال قيل قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون ينفي وجود الاعتذار
منهم لان الاعتذار انما يكون بالنطق فما فائدة نفي الاعتذار بعد نفي النطق
قلنا معناه انهم لا ينطقون ابتداء بعذر مقبول وحجة صحيحة ولا بعد ان يؤذن
لهم في ذلك فان الاسير والجاني الخايف قد لا ينطلق لسانه بعذره وحجته ابتداء
لفرط خوفه ودهشته ولكن اذا اذن له في اظهار عذره وحجته انبسط فانطلق
لسانه فكانت الفائدة في الجملة الثانية نفي هذا المعنى اي لا ينطقون بعذر
ابتداء ولا بعد الاذن قال قيل قوله تعالى يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم يدل
على وجود الاعتذار منهم فكيف التوفيق بينه وبين ما نحن فيه قلنا قيل المراد
بتلك الاية الظالمون من المسلمين وبما نحن فيه الكافرون واخر تلك الاية — سورة النبا
يضعف هذا الجواب سورة النبا قال قيل كيف اتصل وارتبط
قوله تعالى الم نجعل الارض مهادا بما قبله قلنا لما كان النبأ العظيم الذي
يتساءلون عنه هو البعث والنشور وكانوا ينكرونه قيل لهم الم نخلق من وعد
بالبعث والنشور هذه المخلوقات العظيمة العجيبة الدالة على كمال قدرته
فما وجه انكاركم قدرته على البعث قال قيل لو كان النبأ العظيم الذي
يتساءلون عنه ما ذكرتم لما قال تعالى الذي هم فيه مختلفون لان كفار مكة لم يختلفوا
في امر البعث بل اتفقوا على انكاره قلنا كان فيهم من يقطع القول بانكاره وفيهم
من يشك فيه ويتردد فثبت الاختلاف لان جهة الاختلاف لا تنحصر في الجزم
باثباته والجزم بنفيه الثاني ان بعضهم صدق به وامن وبعضهم كذب به
فبقي على كفره فثبت الاختلاف بالاثبات والنفي الثالث ان الضمير في يتساءلون
وفي هم عايد الى الفريقين من المسلمين والمشركين وكلهم كانوا يسألون عنه
لعظم شانه عندهم فصدق به المسلمون واثبتوه وكذب به المشركون ونفوه •

فان قيل قوله تعالى فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا ان كان قوله تعالى
اتخذ الى ربه مآبا هو جزاء الشرط فاين الشرط وشاء وحده لا يصلح
شرطا لانه لا يفيد بدون ذكر مفعوله وان كان كل المذكور هو الشرط
فاين الجزاء قلنا معناه فمن شاء النجاة من اليوم الموصوف اتخذ الى ربه مرجعا
بطاعته الثاني ان معناه فمن شاء ان يتخذ الى ربه مآبا اتخذ الى ربه مآبا
كقوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر اى فمن شاء الايمان فليؤمن
فمن شاء الكفر فليكفر سورة النازعات فان قيل كيف قال تعالى سورة النازعات
والنازعات والناشطات بلفظ التانيث وكذا ما بعده والكل وصاف
للملائكة والملائكة ليسوا اناثا قلنا هو قسم بطوائف الملائكة وفرقها والطوائف
والفرق مؤنثة فان قيل كيف اضاف تعالى الابصار الى القلوب في قوله تعالى
قلوب يومئذ واجفة ابصارها خاشعة اى ذليلة لمعاينة العذاب
والمراد بها الاعين بلا خلاف قلنا المراد ابصار اصحابها بدليل قوله تعالى
يقولون فان قيل كيف قال تعالى فاراه الاية الكبرى مع ان موسى عليه السلام
اراه الايات كلها بدليل قوله تعالى ولقد اريناه اياتنا كلها وكل اياته كانت كبرى
قلنا الاخبار في هذه الاية عن اول ملاقاته اياه وانما اراه في اول ملاقاته العصا
واليد فاطلق عليهما الاية الكبرى لاتحاد معناهما وقيل اراد بالاية الكبرى
العصا لانها كانت المقدمة والاصل والاخرى كالتبع لها لانه كان يتقيها
بيده فقيل له ادخل يدك في جيبك فان قيل كيف اضاف تعالى الليل
الى السماء بقوله تعالى واغطش ليلها مع ان الليل انما يكون في الارض لا في السماء
قلنا انما اضافه اليها لانه اول ما يظهر عند غروب الشمس انما يظهر من افق
السماء مع موضع الغروب واما قوله تعالى واخرج ضحيها فالمراد به ضوء
الشمس بدليل قوله تعالى والشمس وضحيها اى وضوئها فلا اشكال في اضافته
اليها سورة عبس فان قيل كيف قال تعالى كلا انها تذكرة ثم قال سورة عبس
سبحانه فمن شاء ذكره ولم يقل ذكرها قلنا الضمير المؤنث لايات القران
او لهذه السورة والضمير في قوله تعالى ذكره راجع الى القران وقيل انه راجع الى معنى

التذكرة

التذكرة وهو الوعظ والتذكير لا الى لفظها فان قيل في قوله تعالى وفاكهة
وابا روي ان عمر رضي الله عنه قرا هذه الاية وقال كل هذا عرفناه فما الاب
ثم قال هذا لعمر الله التكلف وما عليك يا عمر ان لا تدري ما الاب ثم قال
اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه وهذا شبه النهي عن تتبع
معاني القران والبحث عن مشكلاته قلنا لم يرد بقوله ما ذكرت ولكن
الصحابة كانت اكثر همتهم عاكفة على العمل وكان الاشتغال بعلم لا العمل به
تكلفا عندهم فاراد ان الاية مسوقة في الامتنان على الانسان بمطعمه واستدعاء
شكره وقد علم من فحوى الاية ان الاب بعض ما انبته الله تعالى للانسان
متاعا له او لانعامه فكانه قال عليك بما هو الاهم وهو الشكر على ما تبين لك
ولا يشكل مما عدد من نعمه ولا تتشاغل عنه بطلب معنى الاب ومعرفة النبات
الخاص واكتف بمعرفته جملة الى ان يتبين لك في وقت اخر وعن ابو بكر الصديق
رضي الله عنه انه سئل عن الاب فقال اي سماء تظلني واي ارض تقلني اذا قلت
في كتاب الله تعالى بما لا علم لي به واكثر المفسرين قالوا الاب كل ما ترعاه البهائم
سورة التكوير فان قيل كيف قال تعالى واذا الموؤدة سئلت باي سورة التكوير
ذنب قتلت والسؤال انما يحسن من القاتل لا من المقتول قلنا سؤالها
لتبكيت قاتلها وتوبيخه بما تقوله من الجواب فانها تقول قتلت بغير ذنب
ونظيره في التبكيت والتوبيخ قوله تعالى لعيسى عليه السلام انت قلت للناس
حتى قال سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق فان قيل كيف قال تعالى
علمت نفس ما احضرت فاثبت العلم لنفس واحدة مع ان كل نفس تعلم
ما احضرت يوم القيامة بدليل قوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا
قلنا هذا مما اريد به عكس مدلوله وهو كثير في كلام الله تعالى ربما يود الذين
كفروا لو كانوا مسلمين فان رب هنا بمعنى كم للتكثير وقوله تعالى حكاية عن موسى
عليه السلام لقومه وقد تعلمون اني رسول الله اليكم وقول الشاعر
قد اترك القرن مصفرا انامله كان اثوابه مجت بفرصاد سورة الانفطار
الانفطار فان قيل لاي فائدة ذكر صفة الكريم دون سائر صفاته

في قوله تعالى ما غرك بربك الكريم قلنا قال بعض العلماء انما قال
ذلك لطفا بعبده وتلقينا له حجته وعذره ليقول غرني كرم الكريم
وقال الفضيل لو سألني الله تعالى هذا السؤال لقلت غرني
ستورك المرخاة وروي ان عليا رضي الله عنه صاح بغلام له مرات
فلم يلبه ثم اقبل فقال له ما لك لم تجبني فقال لثقتي بحلمك وامني
من عقوبتك فاستحسن جوابه واعتقه ولهذا قالوا من كرم الرجل
سوء ادب غلمانه والحق ان الواجب على الانسان ان لا يغتر بكرم
الله تعالى وجوده في خلقه اياه واسباغه النعمة الظاهرة والباطنة
عليه فيعصيه ويكفر نعمه اغترارا بتفضله الاول فان ذلك
امر منكر خارج عن حد الحكمة ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما قراها غره جهله وقال عمر رضي الله عنه غره حمقه وجهله وقال
الحسن غره والله شيطانه الخبيث الذي زين له المعاصي وقال
له افعل ما شئت فان ربك كريم فان قيل كيف قال تعالى يوم لا تملك
نفس لنفس شيئا والنفوس المقبولة الشفاعة تملك لمن شفعت فيه شيئا
وهو الشفاعة قلنا المنفي ثبوت النصرة بالملك والسلطنة والشفاعة
ليست بطريق الملك والسلطنة فلا يدخل في النفي ويؤيده قوله تعالى والامر
يومئذ لله وقال مقاتل المراد بالنفس الثانية الكافرة والاصح انه على
العموم في النفسين سورة المطففين فان قيل هلا قال تعالى اذا اكتالوا (سورة المطففين)
واتزنوا على الناس يستوفون كما قال تعالى في مقابلته واذا كالوهم او وزنوهم
يخسرون قلنا لان المطففين كانت عادتهم انهم لا ياخذون ما يكال
ولا ما يوزن الا بالمكيال لان استيفاء الزيادة بالمكيال كان امكن لهم
واهون عليهم منه بالميزان واذا اعطوا كالوا ووزنوا لتمكنهم من البخس فيهما
فان قيل كيف فسر سبحانه سجينا بكتاب مرقوم فقال تعالى وما ادراك
ما سجين كتاب مرقوم وكذا فسر تعالى عليين به مع ان سجينا اسم للارض
السابعة او هو فعيل من السجن وعليين اسم للجنة او لاعلى الامكنة والسماء

السابعة

السابعة او لسدرة المنتهى قلنا قوله تعالى كتاب مرقوم وصف لكتاب
(سورة الانشقاق) الفجار ولكتاب الابرار لا تفسير لسجين وعليين تقديره وهو كتاب مرقوم سورة
الانشقاق فان قيل اين جواب في قوله تعالى اذا السماء انشقت قلنا فيه
وجوه احدها انه متروك لتكرر مثله في القرآن الثاني انه اذنت الثانية والواو
فيها زائدة الثالث انه محذوف تقديره بعد قوله تعالى وحقت بعثتم او جوزيتم
او لاقيتم ما عملتم ودل على هذا المحذوف قوله تعالى فملاقيه الرابع ان فيه تقديما
(سورة البروج) وتاخيرا تقديره يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه اذا السماء
انشقت سورة البروج فان قيل اين جواب القسم قلنا فيه وجوه
احدها انه متروك الثاني قوله تعالى قتل اي لقد قتل اي لعن الثالث انه
(سورة الطارق) قوله تعالى ان بطش ربك لشديد الرابع انه محذوف تقديره لتبعثن
او نحوه الخامس انه قوله تعالى ان الذين فتنوا سورة الطارق فان قيل
اين جواب القسم قلنا ان كل نفس وان بمعنى ما ولما بالتشديد بمعنى الا
فيكون المعنى ما كل نفس الا عليها حافظ ولما بالتخفيف ما فيه زائدة
وان هي المخففة من الثقيلة فيكون المعنى ان كل نفس لعليها حافظ والقسم
تتلقى بها وبان فان قيل ما وجه ارتباط قوله تعالى فلينظر الانسان بما قبله
قلنا وجهه انه سبحانه لما ذكر ان على كل نفس حافظا اتبعه بوصية
الانسان بالنظر في اول امره ونشاته الاولى ليعلم ان من انشاه قادر
على اعادته ومجازاته فيعمل ليوم الاعادة والجزاء ولا يملي على حافظه الا ما يسره
(سورة الاعلى) في عاقبته فان قيل ما فائدة الجمع بين مهل وامهل ومعناهما واحد قلنا
التاكيد وانما خولف بين اللفظين طلبا للخفة سورة الاعلى فان قيل
كيف قال تعالى فذكر ان نفعت الذكرى مع انه كان مامورا بالذكرى
نفعت او لم تنفع قلنا معناه اذ نفعت وقيل معناه قد نفعت والثاني نفع
حذف احدهما لدلالة المذكور عليه وذكر الماوردي انها بمعنى ما وكانه
اراد ما الظرفية وان بمعنى ما الظرفية ليس بمعروف فان قيل كيف
قال تعالى لا يموت فيها ولا يحيى مع ان الحيوان لا يخلو عن الاتصاف باحد هذين

الوصفين قلنا معناه لا يموت موتا يستريح به ولا يحيى حياة ينتفع بها
وقال ابن جرير تصعد نفسه الى حلقومه ثم لا تفارقه فيموت ولا ترجع الغاشية
الى موضعها من الجسم فيحيى سورة الغاشية قال قيل كيف قال
تعالى وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية مع ان جميع
ابدانهم ايضا تصلى النار قلنا الوجه يطلق ويراد به جميع البدن كما في قوله تعالى
وعنت الوجوه للحي القيوم وقيل المراد بالوجوه هنا الاعيان والرؤساء
كما يقال هؤلاء وجوه القوم ويا وجه العرب اي يا وجيههم ويؤيد هذا
القول ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال المراد به الرهبان
واصحاب الصوامع قال قيل كيف ارتبط قوله تعالى افلا ينظرون الى
الابل بما قبله واي مناسبة بين الابل والسماء والجبال والارض حتى
جمع بينها قلنا لما وصف الله تعالى الجنة بما وصف عجب من ذلك الكفار
فذكرهم غرائب صنعه وقال قتادة لما ذكر ارتفاع سرر الجنة
قالوا كيف نصعدها فنزلت هذه الاية افلا ينظرون الى الابل
نظر اعتبار كيف خلقت للنهوض بالاثقال وحملها الى البلاد البعيدة
وجعلت تبرك حتى تحمل وبركت عن قرب ويسر ثم تنهض بما حمل
فليس في الدواب ما يحمل وهو بارك ويطيق النهوض الا هي
وسخرت لكل من قادها حتى الصبي الصغير ولما جعلت سفاين
البر اعطيت الصبر على احتمال العطش عشرة ايام فصاعدا وجعلت
ترعى كل نبات في البراري والمفاوز مما لا يرعاه ساير البهائم وانما
لم يذكر الفيل والزرافة والكركدن وغيرها مما هو اعظم من الجمل
لان العرب لم يروا شيئا من ذلك ولا كانوا يعرفونه ولان الابل
كانت انفس اموالهم واكثرها لا يفارقهم ولا يفارقونها وانما جمع
بينها وبين ما بعدها لان نظر العرب قد انتظم هذه الاشياء في
اوديتهم وبواديهم فانتظمها الذكر على حسب ما انتظمها نظرهم
ولكثرة ملابستهم ومخالطتهم ومن فسر الابل بالسحاب فانما قصد
فذلك

فذلك طلب المناسبة بطريق تشبيه الابل بالسحاب في السير
وفي الشكل ايضا في بعض الاوقات لا انه اراد ان الابل من اسماء
السحاب حقيقة وقد جاء في اشعار العرب تشبيه السحاب بالابل
كثيرا وقد شبهها ابن دريد ايضا بالسحاب في قصيدته وقرأ ابي
ابن كعب وعائشة الابل بتشديد اللام قال ابو عمرو وهو اسم للسحاب
سورة الفجر الذي يحمل الماء سورة الفجر قال قيل كيف نكر تعالى الليالي العشر
دون ساير ما اقسم به وهلا عرفها تعالى بلام العهد وهي ليال معلومة
معهودة فانها ليالي عشر ذي الحجة في قول الجمهور قلنا لانها مخصوصة
من بين جنس الليالي العشر بفضيلة ليست لغيرها فلم يجمع بينها
وبين غيرها بلام الجنس وانما لم تعرف بلام العهد لان التنكير ادل
على التفخيم والتعظيم بدليل قوله تعالى والهكم اله واحد ونظيره قوله
تعالى لا اقسم بهذا البلد فعرفه ثم قال ووالد فنكره والمراد به ادم او
ابراهيم او محمد عليهم السلام ولان الاحسن ان تكون اللامات كلها
متجانسة ليكون الكلام ابعد عن الالغاز والتعمية وهي في الثاني للجنس
فان قيل كيف ذم تعالى الانسان على قوله ربي اكرمن مع انه صادق
فيما قال لان الله تعالى اكرمه بدليل قوله تعالى فاكرمه ونعمه وكيف وان
هذا تحدث بالنعمة وهو مامور به قلنا المراد به انه يقول ذلك مفتخرا به
على غيره ومتطاولا به عليه ومعتقدا استحقاق ذلك على ربه كما في قوله
انما اوتيته على علم عندي ومستدلا به على علو منزلته في الدار الاخرة
وكل ذلك منهي عنه واما اذا قاله على وجه الشكر والتحدث بنعمة الله فليس
بمذموم ولا منهي عنه فان قيل كيف قال تعالى في الجملة الاولى فاكرمه ولم يقل
سبحانه في الجملة الثانية فاهانه قلنا لان بسط الرزق اكرام لانه انعام
وافضال من غير سابقة وقبضه ليس باهانة لان ترك الانعام
والافضال لا يكون اهانة بل هو واسطة بين الاكرام والاهانة فان
المولى قد يكرم عبده وقد يهينه وقد لا يكرمه ولا يهينه وتضييق الرزق

ليس الاعتبار عن ترك اعطاء القدر الزائد الا ترى انه يحسن ان تقول
زيد اكرمني اذا اهدى لك هدية ولا يحسن ان تقول اهانني اذا لم يهد
لك **قال فهل** كيف قال تعالى وجاء ربك والحركة والانتقال على الله تعالى محال
لانهما من خواص الكائن في جهة **قلنا** قال ابن عباس رضي الله عنه معناه وجاء
امر ربك لان في القيامة تظهر جلايل ايات الله تعالى ونظيره قوله تعالى
هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة او ياتي ربك وقيل معناه وجاء ظهور ربك
لضرورة معرفته يوم القيامة ومعرفة الشيء بالضرورة تقوم مقام ظهوره
ورؤيته بمعناه زالت الشكوك وارتفعت الشبه كما يرتفع عند مجيء الشيء
الذي كان يشك فيه **سورة البلد قال فهل** كيف قال تعالى وما ولد
ولم يقل سبحانه ومن ولد **قلنا** لان في ما من الابهام ما ليس في من فقصد به
التفخيم والتعظيم كانه تعالى قال واي شيء عجيب غريب ولد ونظيره قوله
تعالى والله اعلم بما وضعت **سورة الشمس قال فهل** كيف نكر تعالى النفس
دون سائر ما اقسم به **قلنا** لانه لا سبيل الى لام الجنس لان نفوس الحيوانات
غير الانسان خارجة عن ذلك بدليل قوله تعالى فالهمها فجورها وتقواها
ولا سبيل الى لام العهد لان المراد ليس نفسا واحدة معهودة وعلى قول من
قال ان المراد نفس ادم عليه فالتنكير للتعظيم والتفخيم كما سبق في سورة
الفجر **قال فهل** اين جواب القسم **قلنا** قال الزجاج وغيره انه قوله تعالى
قد افلح وحذفت اللام لطول الكلام وقال ابن الانباري جوابه محذوف وقال
الزمخشري تقديره ليدمدمن الله تعالى على اهل مكة لتكذيبهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحا عليه السلام واما
قد افلح من زكاها فكلام تابع لما قبله على طريق الاستطراد وليس من جواب
القسم في شيء **سورة الليل قال فهل** كيف قال تعالى لا يصليها الا الاشقى
مع ان الشقي ايضا يصليها اي يقاسي حرها وعذابها **قلنا** قال ابو عبيدة
الاشقى هنا بمعنى الشقي والمراد به كل كافر والعرب تستعمل افعل في موضع فاعل
ولا تريد به التفضيل وقد سبق تقرير ذلك والشواهد عليه في سورة الروم

في قوله تعالى وهو اهون عليه وقال الزجاج هذه نار موصوفة معينة فهي
دركة مخصوصة ببعض الاشقياء ورد عليه ذلك بقوله تعالى وسيجنبها
الاتقى والاتقى يجنب عذاب انواع نار جهنم كلها والمراد بالاتقى هنا ابو بكر
رضي الله عنه باجماع المفسرين ولهذا قال الزمخشري ان الاشقى ليس بمعنى
الشقي بل هو على ظاهره والمراد به ابو جهل او امية بن خلف فالاية واردة
للموازنة بين حالتي اعظم المومنين واعظم المشركين فبولغ في صفتيهما المتناقضتين
وجعل هذا مختصا بالصلي كان النار لم تخلق الا له لوفور نصيبه منها
وجاء قوله تعالى وسيجنبها الاتقى على موازنة ذلك ومقابلته مع ان
كل تقي يجنبها قال بعض العلماء هذه الاية تدل على ان ابا بكر رضي الله
عنه افضل الصحابة لانه وصفه بالاتقى وقال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم
واذا كان اكرم عند الله كان اعظم افضل **سورة الضحى قال فهل**
كيف وصفه عليه السلام بالضلال وهو نبي تما معاذ الله لا نكون ضالا
اي كافرا لا قبل النبوة ولا بعدها والضال اكثر ما ورد في القران بمعنى الكافر
قلنا المراد به هنا انه تعالى وجده ضالا عن معالم النبوة واحكام الشريعة
فهداه اليها هذا قول الجمهور الثاني انه ضل وهو صغير في شعاب مكة
فرده الله تعالى الى جده عبد المطلب الثالث ان معناه ووجدك ناسيا
فهداك الى الذكر لان الضلال جاء بمعنى النسيان ومنه قوله تعالى ان تضل
احداهما فتذكر احداهما الاخرى **قال فهل** لو كان الضلال بمعنى النسيان
لما جمع بينهما في قوله تعالى لا يضل ربي ولا ينسى **قلنا** لا نسلم انه حيث ذكر
كان بمعنى النسيان فهو في تلك الاية بمعنى الخطاء وقيل بمعنى الغفلة الرابع
ان معناه ووجدك جاهلا بحكمة **قال فهل** كيف من تعالى عليه باخراجه من
الفقر الى الغنى بقوله سبحانه ووجدك عائلا فاغنى اي فقيرا والعائل
الفقير سواء كان له عيال او لم يكن **قلنا** قال ابن السائب واختاره الفراء
انه لم يكن غناه بكثرة المال ولكن الله تعالى ارضاه بما اتاه ولم يكن له ذلك الرضا
قبل النبوة وذلك حقيقة الغنى ويؤيده قوله عليه السلام الغنا غنى القلب

سورة الضحى
والحكمة والكتاب وقرأ ... الى الايمان ... ووجدك ضالا ... فهداهم ... ضالا ... والمومنين ... على الضلال ... او في محالة ... في الضلال في الدين

سورة الم نشرح

وقال غيره المراد به انه اغناه بمال خديجة عن مال ابي طالب
والمراد به الاغناء بتسهيل ما لا بد منه وتيسيره لا الاغناء بفضول
المال الذي لا يجامع صفة الفقر **سورة الم نشرح لك** **قال قيل** اي
فائدة في زيادة لك وعنك والكلام تام بدونه **قلنا** فائدته الابهام ثم
الايضاح وهو نوع من انواع البلاغة فلما قال تعالى الم نشرح لك فهم ان ثم
مشروحا له ثم قال صدرك فاوضح ما علم مبهما وكذا الكلام في عنك **قال قيل**
كلمة مع للمصاحبة والقران فما معنى اقتران العسر واليسر **قلنا** سبب
نزول هذه الاية ان المشركين عيروا رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه رضي الله عنهم بالفقر والضائقة التي كانوا فيها فوعدهم الله تعالى
يسرا قريبا من زمان عسرهم واراد تأكيد الوعد لتسليتهم وتقوية قلوبهم
فجعل اليسر الموعود كالمقارن للعسر في سرعة مجيئه **قال قيل** ما معنى
قول ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما لن يغلب عسر يسرين ويروى ذلك
عن النبي صلى الله عليه وسلم ايضا **قلنا** هذا عمل على الظاهر وبناء على قوة
الرجاء ان وعد الله تعالى لا يحمل الا على احسن ما يحتمله اللفظ واكمله واما
حقيقة القول فيه فهو انه يحتمل ان تكون الجملة الثانية تأكيدا للاولى كما
في تكرار قوله تعالى ويل يومئذ للمكذبين وما اشبهه وكما في قولك جاءني رجل
جاءني رجل وانت تعني واحدا بعينه في الجملتين فعلى هذا اتحد العسر واليسر
ويكون تعريف العسر لانه حاضر معهود وتنكير اليسر لانه غائب مفقود
او للتفخيم والتعظيم ويحتمل ان تكون الجملة الثانية وعدا مستانفا فتعدد اليسر
حينئذ على ما قيل ويؤكد ان الجملة الثانية للتأكيد انه ليس في مصحف عبد الله بن
مسعود رضي الله عنه الا مرة واحدة **قال قيل** فاذا ثبت في قراءته غير مكرر
فكيف قال والذي نفسي بيده لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر حتى يدخل
عليه انه لن يغلب عسر يسرين **قلنا** كانه نزل ما فيه من التفخيم والتعظيم بالتنكير
منزلة التثنية لان المعنى يسرا واي يسر واما من فسره بيسرين فانه قال
احد اليسرين ما تيسر من الفتوح في زمن النبي صلى الله عليه وسلم والثاني ما تيسر

بعده

سورة التين

سورة العلق

بعده في زمن الخلفاء وقيل هما يسر الدنيا ويسر الاخرة كقوله تعالى
قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين وهما حسنى الظفر وحسنى
الثواب **سورة التين** **قال قيل** كيف وجه صحة الاستثناء في قوله
تعالى الا الذين امنوا وعملوا الصالحات **قلنا** قال الاكثرون المراد بالانسان
هنا الجنس وبرده اسفل سافلين ادخاله النار فعلى هذا يكون الاستثناء
متصلا ظاهر الاتصال ويكون قوله تعالى فلهم اجر غير ممنون قائما مقام قوله
سبحانه فلا نردهم اسفل سافلين واما على قول من فسر الرد اسفل
سافلين بالهرم والخرف وقال السافلون هم الضعفاء والزمنى والاطفال
والشيخ الهرم اسفل هؤلاء كلهم فعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا
بمعنى لكن ومعنى قوله تعالى فلهم اجر غير ممنون اي غير مقطوع بالهرم والضعف
الحاصل من الكبر اي الذين امنوا وعملوا الصالحات في حال شبابهم وقوتهم فانهم
اذا عجزوا عن العمل كتب لهم ثواب ما كانوا يعملونه من الطاعات والحسنات
الى وقت موتهم وهذا معنى قول ابن عباس رضي الله عنه عنه من قرأ القران
لم يرد الى ارذل العمر وقال بعض العلماء الذين امنوا وعملوا الصالحات في شبابهم
وقوتهم فانهم لا يردون الى الخرف وارذل العمر وان عمروا طويلا وتمسك
بظاهر قول ابن عباس رضي الله عنه **سورة العلق** **قال قيل** اين
مفعول خلق الاول **قلنا** يحتمل وجهين احدهما ان لا يقدر له مفعول
بل يكون المراد الذي حصل منه الخلق واستاثر به لا خالق سواه كما في قوله
تعالى الا يعلم من خلق في احد الوجهين وقولهم فلان يعطي ويمنع ويصل
ويقطع والثاني ان يكون مفعوله مضمرا تقديره الذي خلق كل شيء ثم افرد الانسان
بالذكر تشريفا له وتفضيلا **قال قيل** كيف قال تعالى خلق الانسان من علق
على الجمع ولم يقل من علقة **قلنا** لان الانسان في معنى الجمع بدليل قوله تعالى
ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا والجمع انما خلق من جمع علقة لا من علقة
قال قيل هذا الجواب يرده قوله تعالى يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث
فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة **قلنا** المراد ثم فانا خلقنا اباكم

سورة العلق

من تراب ثم خلقنا كل واحد من اولاده من نطفة وقيل اغا قال من علق رعاية للفاصلة الاولى وهى خلق **سورة القدر قال قيل** ما معنى قوله تعالى من كل امر وتنزل لهم من الامر لا معنى له **قلنا** من ههنا بمعنى الباء كما فى قوله تعالى يحفظونه من امر الله وقوله تعالى يلقى الروح من امره اى بكل امر قضاه الله تعالى فى تلك السنة من ليلة القدر الى مثلها تنزل الملائكة به من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا وقيل الى الارض **سورة البينة قال قيل** المراد بالرسول هنا محمد صلى الله عليه وسلم بلا اختلاف فكيف قال تعالى يتلو صحفا وظاهره يدل على قراءة المكتوب من الكتاب وهو منتف فى حقه عليه السلام لانه كان اميا **قلنا** المراد يتلو ما فى الصحف عن ظهر قلبه لانه هو المنقول عنه صلى الله عليه وسلم بالتواتر **قال قيل** ما الفرق بين الصحف والكتب حتى قال تعالى صحفا مطهرة فيها كتب **قلنا** الصحف القراطيس وقوله تعالى مطهرة اى من الشرك والباطل وقوله سبحانه فيها كتب قيمة اى مكتوبات مستقيمة ناطقة بالعدل والحق يعنى الايات والاحكام **قال قيل** كيف قال تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة اى النبى صلى الله عليه وسلم او القران والمراد باهل الكتاب اليهود والنصارى وهم ما زالوا متفرقين مختلفين يكفر كل فريق منهم الاخر قبل مجئ البينة وبعدها **قلنا** المراد به تفرقهم عن تصديق النبى صلى الله عليه وسلم والايمان به قبل ان بعث فانهم كانوا مجمعين على ذلك متفقين عليه باخبار التورية والانجيل فلما بعث اليهم تفرقوا فمنهم من امن ومنهم من كفر وقال بعض العلماء المراد بالبينة ما فى التورية والانجيل من الايمان بنبوته ويؤيد هذا القول ان اهل الكتاب افردوا بالذكر فى هذا التفرق مع وجود التفرق من المشركين ايضا بعد ما جمعوا مع المشركين فى اول السورة فلا بد ان يكون مجئ البينة امرا اخصهم ومجئ النبى صلى الله عليه وسلم والقران لا اخصهم

سورة الزلزلة

سورة الزلزلة قال قيل ما معنى اضافة الزلزال الذى هو المصدر الى الارض وهلا قال تعالى زلزالا كما قال سبحانه كلا اذا دكت الارض دكا دكا وما اشبهه **قلنا** معناه الزلزال الذى تستوجبه فى حكمة الله تعالى وتستحقه فى ذلك اليوم وهو الزلزال

الذى

١٢٦

الذى ليس بعده زلزال وهو نظير قولك اكرم التقى اكرامه واهن الفاسق اهانته تريد ما يستوجبانه من الاكرام والاهانة ويجوز ان يكون المراد بالاضافة الاستغراق معناه زلزالها كله الذى هو ممكن لها **قال قيل** كيف قال تعالى فمن يعمل مثقال ذرة على العموم وحسنات الكافر محبطة بالكفر وسيئات المومن معفو عنه مغفورة باجتناب الكباير فكيف تثبت روية كل عامل جزاء عمله **قلنا** معناه فمن يعمل مثقال ذرة خيرا من فريق السعداء ومن يعمل مثقال ذرة شرا من فريق الاشقياء لانه جاء بعد قوله تعالى يصدر الناس اشتاتا وذكر مقاتل انها نزلت فى رجلين من اهل المدينة كان احدهما يستقل ان يعطى السايل الكسيرة او التمرة ويقول انما نوجر على ما نعطيه ونحن نحبه وكان الاخر يتهاون بالذنب اليسير ويقول انما اوعد الله تعالى النار على الكباير

سورة العاديات

سورة العاديات قال قيل لم قال تعالى ان ربهم بهم يومئذ لخبير مع انه تعالى خبير بهم فى كل زمان فاوجه تخصيص ذلك اليوم **قلنا** معناه ان ربهم سبحانه مجازيهم يومئذ على اعمالهم والعلم مجاز عن المجازاة ونظيره قوله تعالى اولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم معناه يجازيهم على ما فيها لان علمه شامل لما فى قلوب كل العباد ويقرب منه قوله تعالى يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شئ

سورة القارعة

سورة القارعة قال قيل كيف قال تعالى واما من خفت موازينه اى رجحت سيئاته على حسناته فامه هاوية اى مسكنه النار واكثر المومنين سيئاتهم راجحة على حسناتهم **قلنا** قوله تعالى فامه هاوية لا يدل على خلوده فيها فيسكن المومن فيها بقدر ما تقتضيه ذنوبه ثم يخرج منها الى الجنة وقيل المراد بخفة الموازين خلوها من الحسنات بالكلية وتلك موازين الكفار

سورة التكاثر

سورة التكاثر قال قيل اين جواب لو تعلمون **قلنا** هو محذوف تقديره لو تعلمون الامر يقينا لشغلكم ما تعلمون عن التكاثر والتفاخر ثم ابتداء سبحانه بوعيد اخر فقال تعالى لترون الجحيم **قال قيل** كل احد لا يخلو عن نيل نعيم فى الدنيا ولو مرة واحدة فما النعيم الذى يسال عنه العبد **قلنا** فيه سبعة اقوال احدها انه الامن والصحة

الثاني انه الماء البارد الثالث انه خبز البر والماء العذب الرابع
انه كل ماكول ومشروب لذيذ الخامس انه الصحة والفراغ السادس
انه كل لذة من لذات الدنيا السابع انه دوام الغداء والعشاء وقيل
ان السؤال خاص للكفار والصحيح انه عام في كل انسان وفي كل نعيم فالكافر
يسال توبيخا والمؤمن يسال عن شكرها ويؤيد هذا ما جاء في الحديث انه عليه
السلام قال يقول الله تعالى ثلاث لا اسال عبدي عن شكرهن واساله عما
سوى ذلك بيت يكنه وما يقيم به صلبه من الطعام وما يواري به عورته
من اللباس **سورة العصر** فان قيل الاستثناء الذي في السورة لا يدل — سورة العصر
على ان المؤمنين الموصوفين في ربح مع ان الاستثناء انما سيق لمدحهم بفضيلة
حالهم بخلاف من يتناوله الاستثناء قلنا الاستثناء ان لم يدل بصريحه على انهم
في ربح ولكن اتصافهم بتلك الصفات الاربع الشريفة يدل على انهم في اعظم ربح
مع انا لو قدرنا انهم ليسوا في ربح فالمدح حاصل ايضا لانهم ليسوا في خسر
بمقتضى الاستثناء **سورة الهمزة** فان قيل ما الفرق بين الهمزة واللمزة — سورة الهمزة
قلنا قيل انهما بمعنى واحد لا فرق بينهما وانما الثاني تاكيد للاول وقيل انهما
مختلفان فقيل الهمزة المغتاب واللمزة العياب وقيل الهمزة العياب في
الوجه واللمزة العياب في القفا وقيل الهمزة الطعان في الناس واللمزة الطعان
في انساب الناس وقيل الهمز يكون بالعين واللمز باللسان وقيل عكسه
فهذه ستة اقوال **سورة الفيل** فان قيل ما معنى الابابيل وهل هو — سورة الفيل
واحد او جمع قلنا معناها جماعات في تفرقة اي حلقة حلقة وقيل هو الذي
يتبع بعضها بعضا وقيل الكثيرة وقيل المختلفة الالوان قال الفراء وابو عبيدة
لا واحد لها وقيل واحدها ابالة وابول وابيل **سورة قريش** فان قيل — سورة قريش
باي شيء يتعلق اللام في قوله تعالى لايلاف قريش قلنا قيل انها متعلقة
باخر السورة التي قبلها اي فجعلهم كعصف ماكول لايلاف قريش ويؤيد
هذا انهما في مصحف ابي رضي الله عنه سورة واحدة بلا فصل والمعنى انه
اهلك اصحاب الفيل الذين قصدوهم ليتسامع الناس بذلك فيهابوهم

ويحترموهم فينتظم لهم الامن في رحلتيهم ولا يجترئ عليهم وقيل
معناه اهلكهم ليالف قريش رحلة الشتاء والصيف بهلاك من كان
يخيفهم ويمنعهم وقيل انها متعلقة بما بعدها وهو قوله تعالى
فليعبدوا رب هذا البيت لايلافهم رحلة الشتاء والصيف معناه
ان نعم الله تعالى عليهم لا تحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه
لهذه النعمة الظاهرة وقيل هو لام التعجب معناه اعجبوا لايلاف قريش
وكانت لقريش في كل سنة رحلتان للتجارة بها معاشهم رحلة في الشتاء
الى اليمن ورحلة في الصيف الى الشام ثم قيل الايلاف هنا مصدر بمعنى
الالف يقول آلفته ايلافا بالمد كما يقول ألفته الفا بالقصر كلاهما
متعد الى مفعول واحد فيكون معنى لايلاف قريش لالف قريش
اي لحبهم الرحلتين وقيل آلف بالمد متعد الى مفعولين يقول آلف
زيد المكان وآلف زيد عمرا المكان فيكون معنى الاية لايلاف الله تعالى
قريشا الرحلتين فعلى هذا الوجه يكون المصدر مضافا الى المفعول وعلى
الوجه الاول يكون مضافا الى الفاعل واما تكرار اضافة المصدر
في قوله تعالى لايلاف قريش ايلافهم فقيل ان يكون الثاني بدلا
من الاول وقيل انه للتاكيد كما يقول اعطيتك المال لصيانته
وجهك صيانته عن ذل السؤال **سورة الماعون** فان قيل — سورة الماعون
كيف يتوعد الله تعالى الساهي عن الصلاة والحديث ينفي مؤاخذته وهو
قوله صلى الله عليه وسلم رفع عن امتي الخطاء والنسيان قلنا المراد بالسهو
عنها التغافل عنها والتكاسل في ادائها وقلة الالتفات اليها وذلك فعل
المنافقين او الفسقة الشطار من المسلمين وليس المراد ما يتفق فيها
من السهو بوسوسة الشيطان او حديث النفس مما لا صنع للعبد
فيه ولا اختيار وهو المراد في الحديث وكان النبي صلى الله عليه وسلم
يقع له السهو في صلاته فضلا عن غيره ولهذا قال تعالى عن صلاتهم ولم يقل
سبحانه في صلاتهم وعن انس رضي الله عنه انه قال الحمد لله على ان لم يقل في صلاتهم

سورة الكوثر

سورة الكوثر قال قيل ما الكوثر قلنا فيه قولان احدهما وهو قول
ابن عباس رضي الله عنه انه الخير الكثير فوعل من الكثرة كقولهم
رجل نوفل اى كثير النوافل ومنه قول الشاعر وانت كثير
يا ابن مروان طيب وكان ابوك ابن العقايل كوثرا وقيل
لاعرابية رجع ابنها من سفر بم آب ابنك فقالت آب بكوثر
ولقد اعطى الله عز وجل النبي صلى الله عليه وسلم خيرا كثيرا فانه
اتاه الحكمة ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ومنهم من
فسر هذا الخير الكثير بالنبوة ومنهم من فسره بالعلم والحكمة ومنهم
من فسره بالقران والقول الثاني ان الكوثر اسم نهر في الجنة وهو قول
اكثر المفسرين وقد جاء في الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال الكوثر نهر وعدنيه ربي في الجنة عليه خير كثير ترد
عليه امتي يوم القيامة وعنه ايضا في الحديث الصحيح انه قال بينا انا اسير
في الجنة فاذا بنهر حافتاه قباب اللولو المجوف فقلت ما هذا يا جبريل
قال هذا الكوثر الذي اعطاك ربك فضرب الملك بيده فاذا طينه
المسك الاذفر وروى في صفته انه احلى من العسل واشد بياضا
من اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد حافتاه الزبرجد واوانيه
من فضة عدد نجوم السماء لا يظما من شرب منه ابدا سورة قل يا ايها
الكافرون قال قيل كيف قال تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد ولم يقل من
فيه وجهان احدهما انه انما قال سبحانه ما رعاية للمقابلة في قوله
لا اعبد ما تعبدون الثاني ان ما مصدرية اى لا اعبد عبادتكم ولا تعبدون
عبادتي وقال الزمخشري انما قال ما لان المراد الصفة كانه قال لا اعبد
الباطل ولا تعبدون الحق وقال غيره ما في الكل بمعنى الذي والعايد محذوف
قال قيل ما فائدة التكرار قلنا فيه وجهان احدهما انه للتاكيد وقطع اطماعهم
فيما طلبوه منه الثاني ان الجملتين الاوليين لنفي العبادة في الحال والجملتين
الاخريين لنفي العبادة في الاستقبال فلا تكرار وهذا قول ثعلب والزجاج

سورة قل يا ايها الكافرون

والخطاب

والزجاج والخطاب لجماعة اعلمه الله تعالى انهم لا يؤمنون وقال الزمخشري
لا يرد الوجه الثاني وذلك انه قال لا اعبد اريدت به العبادة فيما يستقبل
لان لا لا تدخل الا على مضارع في معنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل
الا على مضارع في معنى الحال فالجملتان الاوليان لنفي العبادة في الاستقبال
والجملتان الاخريان لنفي العبادة في الماضي فقوله ولا انا عابد ما عبدتم اى
ما عهدت مني عبادة الاصنام في الجاهلية فكيف ترجى مني بعد الاسلام
وقوله ولا انتم عابدون ما اعبد اى وما عبدتم في وقت ما انا على عبادته
ويرد على قوله والجملتان الاخريان لنفي العبادة في الماضي ان اسم الفاعل
المنون العامل عمل الفعل لا يكون الا بمعنى الحال والاستقبال وعابد هنا
عامل فيما وكذلك عابدون وجوابه انه على الحكاية كما في قوله تعالى
وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد واورد على هذا التقرير سؤالا فقال
فان قيل هلا قال ولا انتم عابدون ما عبدت بلفظ الماضي كما قال ولا انا
عابد ما عبدتم قلنا لانهم كانوا يعبدون الاصنام قبل بعثته وهو ما كان
يعبد الله تعالى قبل بعثته بل بعد بعثته ويرد على هذا التقريرات اعظم
العبادات التوحيد وكل الانبياء كانوا موحدين بعقولهم قبل البعثة وقال
بعض العلماء انما جاء الكلام مكررا لانه ورد جوابا لسؤالهم العبادة مناوبة
وكان سؤالهم مكررا فانهم قالوا يا محمد تعبد الهتنا كذا مدة ونعبد الهك
كذا مدة ثم تعبد الهتنا كذا مدة ونعبد الهك كذا مدة فورد الجواب مكررا مطابق
السؤال وهذا وجه حسن لطيف سورة النصر قال قيل اى مناسبة
بين الامر بالاستغفار وبين ما قبله فان مجي الفتح والنصر والظفر يناسب
الشكر والحمد لا الاستغفار والتوبة قلنا قال ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت
هذه السورة علم النبي صلى الله عليه وسلم انه قد نعيت اليه نفسه وقال
الحسن اعلم النبي صلى الله عليه وسلم انه قد اقترب اجله فامر بالتسبيح والتوبة
ليختم له في اخر عمره بالزيادة في العمل الصالح فكان يكثر من قول سبحانك اللهم اغفر لي
انك انت التواب وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان هذه السورة تسمى سورة

سورة النصر

سورة تبت

التوديع وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم عاش بعدها ثمان سنين
سورة تبت قال قيل كيف ذكر الله تعالى بكنيته دون اسمه مع ان
ذلك اكرام واحترام قلنا فيه وجوه احدها انه يجوز انه لم يعرف له اسم
ولم يشتهر الا بكنيته فذكره بما اشتهر به لنباهة تشهيره بدعوة السوء
عليه الثاني انه نقل انه كان اسمه عبد العزى وهو كان عبد الله لا عبد
العزى فلو ذكره باسمه لكان خلاف الواقع الثالث انه ذكره بكنيته لموافقة
حاله لكنيته فان مصيره الى النار ذات اللهب وانما كنى بذلك لتلهب وجنتيه
واشراقهما سورة الاخلاص قال قيل المشهور في كلام العرب ان الاحد
يستعمل بعد النفي والواحد يستعمل بعد الاثبات يقال في الدار واحد وما في الدار
احد وجاءني واحد وما جاءني احد ومنه قوله تعالى والهكم اله واحد وقوله تعالى
لله الواحد القهار وقوله سبحانه ولا تصل على احد منهم لا نفرق بين احد لستن
كاحد فما منكم من احد فكيف جاء هنا احد في الاثبات قلنا قال ابن عباس
رضي الله عنه لا فرق بين الواحد والاحد في المعنى واختاره ابو عبيد ويؤيده قوله
تعالى فابعثوا احدكم بورقكم وقوله احد عشر وما اشبهه واذا كانا بمعنى
واحد لا يختص احدهما بمكان دون مكان وان غلب استعمال احدهما في النفي والاخر
في الاثبات ويجوز ان يكون العدول عن الغالب هنا رعاية لمقابلة الصمد سورة
الفلق قال قيل قوله تعالى من شر ما خلق يتناول كل ما بعده فما الفائدة في
اعادته قلنا خص شر هذه الاشياء الثلاثة بالذكر تعظيما لشرها كما في عطف
الخاص على العام تعظيما لشرفه وفضله او خصها بالذكر لخفاء شرها وانه يلحق
الانسان من حيث لا يشعر به ولهذا قيل شر الاعداء المداجي وهو الذي يكيد الانسان
من حيث لا يعلم قال قيل كيف عرف سبحانه النفاثات ونكر ما قبلها وما بعدها
قلنا لان كل نفاثة لها شر وليس كل غاسق وهو الليل له شر وكذا ليس كل
حاسد له شر بل رب حسد محمود وهو الحسد في الخيرات ومنه قوله صلى الله عليه
وسلم لا حسد الا في اثنين الحديث وقال ابو تمام وما حاسد في المكرمات
بحاسد وقال ان العلى حسن في مثلها الحسد سورة الناس قال قيل

ولهذا اكسبه ... مسعود ... واحد

سورة الاخلاص

سورة الفلق

سورة الناس

كيف خص الناس بالذكر في قوله تعالى قل اعوذ برب الناس وهو رب كل شيء
قلنا انما خصهم بالذكر تشريفا لهم وتفضيلا على غيرهم لانهم اهل العقل والتمييز
الثاني انه لما امر بالاستعاذة من شرهم ذكر مع ذلك انه ربهم ليعلم انه هو الذي
يعيذ من شرهم الثالث ان الاستعاذة وقعت من شر الموسوس الى الناس
بربهم الذي هو الههم ومعبودهم كما يستغيث بعض العبيد اذا اعتراه خطب
بسيده ومخدومه ووالي امره قال قيل قوله تعالى من الجنة والناس
بيان للذي يوسوس على ان الشيطان الموسوس ضربان جني وانسي كما قال
تعالى شياطين الانس والجن او بيان للناس الذي اضيفت الوسوسة الى صدورهم
والناس المذكور اخرا بمعنى الانس قلنا قال بعض ائمة التفسير المراد المعنى
الاول كانه قال من شر الوسواس الجني ومن شر الوسواس الانسي فهو استعاذة
بالله من شر الموسوسين من الجنسين وهو اختيار الزجاج وفي هذا الوجه اطلاق
لفظ الخناس على الانسي والنقل انه اسم للجني وقال بعضهم المراد المعنى الثاني
كانه قال من شر الوسواس الجني الذي يوسوس في صدور الناس جنيهم وانسيهم
وسمى الجن ناسا كما سماهم نفرا ورجالا في قوله تعالى انه استمع نفر من الجن وقوله
يعوذون برجال من الجن فهو استعاذة بالله من شر الوسواس الذي يوسوس
في صدور الجن كما يوسوس في صدور الانس وهو اختيار الفراء والمراد بالجنة
هنا الشياطين من الجن على الوجه الاول ومطلق الجن على الوجه
الثاني لان الشيطان منهم هو الذي يوسوس لا غيره ومطلقهم
يوسوس اليه واختاره الزمخشري الوجه الاول وقال
ما احق ان اسم الناس ينطلق على الجن لان الجن سموا جنا
لاجتنانهم اي لاستتارهم والناس سموا ناسا لظهورهم من
الايناس وهو الابصار كما سموا بشرا لظهورهم من البشرة
ولو صح هذا الاطلاق لم يكن هذا المحل مناسبا لفصاحة القران
قال واجود منه ان يراد بالناس الاول الناسي كقوله تعالى
يوم يدع الداع وكما قرئ من حيث افاض الناس ثم بين بالجنة والناس

لان الثقلين هما الجنسان الموصوفان بنسيان حقوق الله عز
وجل والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

تم الكتاب بعون الله وحسن توفيقه
على يدي العبد الضعيف الفقير
الى رحمة ربه القوي الغني
عفا الله سيئاته اصلح الله شانه
وصانه عما شانه غرة محرم الكريم
سنة تسع واربعين وسبعمائة
في مدينة [illegible] حماها الله تعالى
عن البلايا والآفات

فان قلت الىس فى قوله فاذا هى ثعبان مبين
كانها جان فهو ركن جمعت فيه مبدلا بال عن خرنيه ولا جان
من الاصطلاف قلت ليس باختلاف عند المتدبرين مكه

فان قلت كانوا كافرين بعيسى عم اعداله عامدين لحكمه
لقتله بمعونة الساحرابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة
فكيف قالوا انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله قلت
قالوه على وجه الاستهزاء كقول فرعون ان رسولكم الذى ارسل اليكم
لمجنون ويجوز ان يضع الله الذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح فى الحكاية عنهم
رفعا لعيسى عم عما كانوا يذكرونه به وتعظيما لما ارادوا بمثله كقوله ليقولن
خلقهن العزيز العليم الذى جعل لكم الارض

فان قلت الاستدراك لا بد له من مستدرك
فما معنى قوله لكن الله يشهد قلت لما سال اهل الكتاب
انزال الكتاب من السماء وتعنتوا بذلك واحتج عليهم
بقوله انا اوحينا اليك قال لكن الله يشهد بمعنى انهم لا
يشهدون ولكن الله يشهد وقيل لما نزل انا اوحينا
اليك قالوا ما نشهد لك فنزل ولكن الله ومعنى شهادة الله
بما انزل اليه اثباته لصحته باظهار المعجزات كما تثبت الدعاوى
بالبينات وشهادة الملائكة شهادتهم بانه حق وصدق ده

فان قلت شبه مسند الى ماذا ان جعلته
مسندا الى المسيح فالمسيح مشبه به وان اسندته
الى المقتول فالمقتول لم يجر له ذكر قلت
هو مسند الى الجار والمجرور وهو لهم كقولك خيل
اليه كانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه [illegible] ان يسند
الى ضمير المقتول لان قوله انا قتلنا يدل عليه كانه
قيل ولكن شبه لهم من قتلوه ده